الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مدينة ورقلة و دورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي

مذكرة مكمّلة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

نفيسة بلخضر

إشراف الدكتور:

صالح بوسليم

لجنة المناقشة:

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيسا
صالح بوسليم	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	مشرفا ومقررا
محمد الصالح حوتية	أستاذ التعليم العالي	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
محمد الزين	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
نور الدين بن عبد الله	أستاذ محاضر أ	جامعة الجلفة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1436-1437هـ/2015-2016 م.

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير والإمتنان لأستاذي الفاضل الدكتور:

"صالح بوسليم"

على اهتمامه الكبير بموضوع رسالتي،والذي تجلى في توجيهاته واقتراحاته ونصائحه..

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من أمدني بالمراجع وسهَّل لي سبل الوصول إليها وأخص بالذكر: الأساتذة الأفاضل :سليمان بومعقل ،أحمد بجاج، عطية عومار ،ومركز الوثائق والدراسات الصحراوية(غرداية)،مكتبة الآباء البيض(ورقلة)،دار الثقافة(ورقلة)،مكتبة أبي اسحاق طفيش(غرداية)

الإهـــداء

إلى الوالدين الكريمين حفظهما الله،وأنعم عليهما بالصحة والعافية حباً وعرفاناً وتقديراً.

إلى زوجي الفاضل محمد.

إلى بنتاي :خديجة،و سيرين.

إلى كل إخوتي وأخواتي وأصدقائي.

إلى زملائي في دفعة ماجستير 2013-2014م

إلى سكان ورقلة الطيبين الذين أحاطوني بمشاعر الحب والاحترام أثناء تواجدي بينهم.

قائمة المختصرات:

1- العربية:

ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
ج	جزء
ص	صفحة
ط	طبعة
ع	العدد
ق	القرن
م	ميلادي
م.ش.ج	المطبعة الشعبية للجيش
م.و.ب.ح.و.ث.أ.ن	المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر
مج	مجلد
هـ	هجري

2-الأجنبية:

R.H	Revue Hespéris
Edi	Edition
P	Page
R.A	Revue.Africain
R.O.M.M	Revue de l'occident musulman et de la méditérranée
Tra	Traduit
Vol	Volume

مقـــدمـــة

تأسست بالصحراء الإفريقية الكبرى العديد من الحواضر التي ربطت فيما بينها وبين بقية الحواضر الأخرى ببلاد المغرب و إفريقيا جنوب الصحراء ،وقد شهدت هذه الحواضر الكثير من التحولات والتغيرات في مختلف المجالات خاصة الجانب الاجتماعي والاقتصادي ،من بينها مدينة ورقلة التي تعبر من أهم المراكز التجارية الصحراوية التي تجتمع وتنطلق منها القوافل العابرة للصحراء، فقد كانت منطقة حيوية يتم فيها تبادل البضائع والسلع السودانية والمغاربية على حد سواء، ومحطة أساسية لقوافل الحجيج المغربية التي تقف عندها للاستراحة والتزود بما تحتاجه، وهو ما انعكس إيجابا على الوضع العام بها، فصارت من المدن القوية والمزدهرة اقتصاديا، التي يقصدها التجار من مختلف الجهات.

دوافع اختيار الموضوع:

لقد ارتأيت في هذا البحث الموسوم ب:"**مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي** " تسليط الضوء على واقع النشاط التجاري في الحواضر الصحراوية بالجنوب الجزائري ،ومعرفة دور مدينة ورقلة في تجارة القوافل الصحراوية ،وذلك من أجل التعرف أكثر على نشاطها الاقتصادي قبل وبعد الاحتلال الفرنسي ،وتوضيح النتائج المترتبة عن الاحتلال من الناحية الاقتصادية على وجه الخصوص ، وفي الواقع هناك دوافع أخرى شجعتني للبحث في هذا الموضوع نذكر منها:

- قلة الدراسات والأبحاث التي تطرقت للموضوع .
- ميلي لدراسة التاريخ المحلي للجزائر ومحاولة المساهمة ولو بشيء بسيط في الكتابة في هذا الموضوع الذي لا تزال الكثير من جوانبه غير مدروسة بشكل كاف.
- تشجيع الأستاذ المشرف على الخوض في تفاصيل الموضوع،و محاولة تسليط الضوء على تاريخ هذه الحاضرة الصحراوية وأهميتها كمركز تجاري على مر العصور.

الهدف من الدراسة:

إنّ الهدف من هذه الدراسة هو محاولة إبراز دور مدينة ورقلة في تجارة القوافل الصحراوية، وعلاقاتها التجارية القوية مع بلاد السودان و بلاد المغرب الكبير،و مدى تأثرها بالاحتلال الفرنسي

الذي كان يهدف من الوهلة الأولى إلى السيطرة على هذه التجارة والتحكم فيها لخدمة مصالحه الاقتصادية من خلال التطرق للسياسة المنتهجة من قبل الإدارة الفرنسية لتحقيق ذلك.

الإطار الزماني والمكاني:

بالنسبة للإطار الزماني للدراسة؛ فقد شمل القرن التاسع عشر للميلاد،نظرا لما شهدته مدينة ورقلة خلاله من أحداث سياسية متنوعة بداية بالصراعات الداخلية بين أفراد الأسرة الحاكمة، وما صاحبها من انتشار للفوضى ،مهّدت الطريق لتدخل مشيخة نقوسة للسيطرة عليها، وصولا للاحتلال الفرنسي الذي كان له تأثير كبير على الأوضاع العامة للمدينة خاصة القطاع التجاري الذي شهد تراجعاً كبيراً بسبب الإجراءات الفرنسية المتنوعة التي وظّفتها من أجل السيطرة على تجارة القوافل الصحراوية.

أمّا بالنسبة للإطار المكاني؛ فهو يشمل مدينة ورقلة وعلاقاتها التجارية مع بلاد المغرب الكبير ومختلف بلدان السودان الغربي والأوسط.

إشكالية الدراسة:

ينطلق موضوع هذه الدراسة من إشكالية رئيسة هي:

مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي.

وتتفرع من هذه الإشكالية مجموعة التساؤلات الآتية وهي:

- كيف نشأت مدينة ورقلة وماهي عوامل تطورها ؟
- كيف كانت أوضاعها الاقتصادية قبل الاحتلال الفرنسي؟.
- ما هي أهم المراكز التجارية المغاربية والسودانية التي كان يتردد عليها تجار ورقلة؟
- فيما تتمثل السلع والبضائع التي يتم تبادلها بين الطرفين؟
- كيف كانت الأوضاع السياسية للمدينة قبل الاحتلال الفرنسي؟ وكيف وظّفتها السلطات الفرنسية للتوغل والسيطرة على المدينة؟
- ماهي دوافع الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية عموما وبورقلة خصوصا؟
- ماهي السياسة التي انتهجتها فرنسا للسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية بورقلة؟

- وكيف كانت انعكاساتها على سكان ورقلة عموما وعلى تجارها خصوصا؟

- الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع البحث:

فيما يتعلق بالدراسات السابقة التي تطرقت للموضوع أو جانبا من جوانبه، فهناك كتاب التجارة الخارجية للشرق الجزائري مابين 1792-1830م للدكتور محمد العربي الزبيري الذي سلّط فيه الضوء على التجارة بمنطقة الشرق الجزائري بما فيها مدينة ورقلة غير أن معلوماته تكتفي بالعقود الثلاث الأولى من القرن التاسع عشر للميلاد.

بالإضافة إلى بعض المذكرات التي تحدثت عن تاريخ المدينة ونشاطها التجاري؛كمذكرة:"**مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (4-10هـ/10-16م)**" للباحث إلياس بن عمر حاج عيسى، التي نوقشت سنة 2008-2009 بقسم التاريخ لجامعة الجزائر، لكن معلوماتها تقف عند حدود القرن السادس عشر ميلادي.

و يضاف إلى ذلك مذكرة أخرى بعنوان:" **حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي (1591-1883م)**"، من إعداد الباحث أحمد ذكار ،التي نوقشت سنة 2009-2010م بقسم التاريخ بجامعة أدرار، والتي خصصت لدراسة علاقة ورقلة مع منطقة السودان الغربي فقط.

- المنهج المتبع في الدراسة:

أما المنهج الذي اتّبعته في دراسة هذا الموضوع فهو:

المنهج التاريخي الوصفي، وذلك من أجل وصف الأحداث التاريخية التي مرّت بها مدينة ورقلة من حيث الزمان والمكان وفقاً للتدرج الزمني .

كما وظّفت المنهج التحليلي باعتباره مهم لدراسة مختلف الوقائع والأحداث ومناقشتها وتحليلها انطلاقا من المعلومات المتوفرة.

- خطة البحث:

اتبعت في دراستي لهذا الموضوع على خطة ،تتكون من مقدمة، وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: خصّصته "**لنشأة وتطور المدينة** " تحدثت فيه عن مدلول التسمية ،وعن موقعها الجغرافي وخصائصه، ثم تتبعت تطورها التاريخي بداية من العصور القديمة ثم الفترة الإسلامية وصولا إلى

العهد العثماني، واستنتجت من خلالها العوامل التي ساهمت في تطور المدينة وازدهارها عبر العصور، وبعدها تحدثت عن تركيبة المدينة الاجتماعية، وضواحيها والمناطق المحيطة بها.

وفي الفصل الثاني: تطرقت إلى" **الوضع الاقتصادي للمدينة خلال القرن التاسع عشر ميلادي**" من خلال الإشارة إلى نشاطها الزراعي والصناعي، وأهم المنتجات الفلاحية التي كانت تنتجها المدينة، والحرف التقليدية السائدة بها، ثم تطرقت بعدها إلى تجارتها الداخلية والخارجية، وعلاقاتها مع البلدان المغاربية والسودانية، وأهم المراكز التجارية الموجودة بهما، وعن طبيعة التبادل التجاري بينهما من خلال عرض أهم السلع والبضائع التي يتم تبادلها ،وطرق البيع والشراء سواء عن طريق المقايضة أو العملات أو باستخدام المكاييل والموازين والمقاييس ،مع الإشارة إلى المسالك التجارية التي يتم السير عبرها.

أمّا الفصل الثالث فقد خصّصته لدراسة " **الاحتلال الفرنسي لورقلة وأثره على تجارة القوافل الصحراوية**" وفيه تحدثت عن أوضاعها السياسية ،من صراعات داخلية حول الحكم وتحرشات من سلاطين نقوسة،ثم الاحتلال الفرنسي للمدينة والمقاومة الشعبية ،و دوافع الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائر، ثم السياسة المنتهجة من طرفها للسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية ،وصولا إلى تحليل النتائج المترتبة عن هذه السياسة على صعيد التجارة الصحراوية.

أمّا الخاتمة فكانت مخصصة لتقديم استنتاجات وملاحظات عامة حول موضوع الدراسة.

– التعريف بأهم المصادر والمراجع الخاصة بالموضوع:

–المصادر:

–"**الرحلة العياشية**"لأبي سالم محمد بن عبد الله العياشي الذي زار مدينة ورقلة أثناء رحلته للحج،في القرن السابع عشر ميلادي و قدّم معلومات قيمة عنها بغاية الأهمية، استفدت منها في معرفة أوضاعها السياسية والثقافية ونشاطها التجاري في تلك الفترة.

–"**وصف إفريقيا**" للحسن الوزان الذي قدّم معلومات متنوعة عن ورقلة وبعض المراكز التجارية الأخرى الواقعة ببلاد السودان أو بلاد المغرب متعلقة بنشاطها التجاري ومواردها الطبيعية.

–المصادر الأجنبية:

Daumas : **Le Sahara Algérien**.

كتاب الصحراء الجزائرية للمشير دوماس، الذي خصّصة للحديث عن مدن الصحراء الجزائرية ومن بينها ورقلة التي قدم عنها معلومات متنوعة تتعلق بموقعها وأوضاعها السياسية ،نشاطها التجاري، والحرف السائدة بها ،ومسالكها التجارية، والقرى التابعة لها.

Trumelet :**Les Français dans les Désert**.

ترومليي:الفرنسيين في الصحراء، وهو من المصادر الهامة التي اعتمدتها لمعرفة الأوضاع السياسية لمدينة ورقلة خلال القرن التاسع عشر للميلاد، والمقاومة التي قادها الشريف محمد بن عبد الله.

– المراجع العربية والمعرّبة:

–المراجع العربية:

إلى جانب المصادر هناك بعض المراجع الهامة التي اعتمدتها، وهي:

–"**غصن البان في تاريخ وارجلان**" لمؤلفه الشيخ إبراهيم أعزام (ت1963)؛ وهو مخطوط قام بتحقيقه كل من الباحثين الدكتور إبراهيم بحاز و الاستاذ سليمان بومعقل ،حيث استفدت منه كثيراً خصوصا بما تعلق بالتطور التاريخي لمدينة ورقلة، وتركيبتها البشرية، والقرى التابعة لها ،و علمائها وأوضاعها السياسية خلال القرن التاسع عشر وكذا الاحتلال الفرنسي لها و السياسات المنتهجة من السلطات الفرنسية بها.

–"**التجارة الخارجية للشرق الجزائري**" لمؤلفه محمد العربي الزبيري، الذي تطرق فيه إلى النشاط التجاري الذي كان قائما بالشرق الجزائري والذي تندرج ورقلة ضمنه، والذي رغم اكتفائه بالعقود الثلاث الأولى إلا انه قدم معلومات بغاية الأهمية عن مدينة ورقلة وعلاقاتها التجارية مع بلدان المغرب والسودان الغربي،وعن طبيعة السلع الصادرة والواردة، والمسالك التي كانت تمر عبرها القوافل التجارية.

– "**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر**"لمؤلفه الهادي المبروك الدالي ،الذي تحدث فيه عن العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين ضفتي الصحراء الكبرى، وأهم المراكز التجارية الموجودة فيها ،وعن الصادرات والواردات التي يتم تبادلها بين الطرفين.

– "**الحضارة العربية والتأثير الإسلامي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**"لعبد القادر زبادية الذي أفادني كثيرا في تحديد السلع والبضائع التي يتم تصديرها واستيرادها من وإلى السودان الغربي.

- "**منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**" للمؤلف عبد الحميد نجاح،الذي عرض فيه أهم الأحداث التاريخية التي مرت بها ورقلة عبر العصور من ماقبل التاريخ إلى غاية الاستقلال.

-"**معالم الحضارة الاسلامية بوارجلان**" لسليمان بوعصبانة، والذي وظفته للحديث عن القبائل الموجودة بورقلة، وعن الاسواق السودانية التي كان يرتادها تجار ورقلة.

-المراجع المعرّبة:

-"**معالم تاريخ ورقلة(1872-1992**)"للأب دنيس بيلي ترجمة: علي إيدير الذي كان عملا كرونولوجي ،تعرض فيه بشكل موجز عن أهم الأحداث التي شهدتها ورقلة من أواخر القرن التاسع عشر إلى أواخر القرن العشرين الميلاديين واستفدت منه في التعرف على السياسات التي قامت بها فرنسا أثناء استقرارها بورقلة.

-"**تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**" للمؤلف بوفيل ،ترجمة :الهادي بولقمة،محمد عزيز

و الذي أفادني بمعرفة آثار الاحتلال الفرنسي على تجارة القوافل الصحراوية من خلال تسليطه الضوء على آخر القوافل التي كانت تجوب الصحراء الكبرى.

-"**التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**" للمؤلف أ.ج.هويكنز، ترجمة: أحمد بلبع، الذي يعد من المراجع الهامة التي خصصت لدراسة الحياة الاقتصادية بمختلف تفاصيلها بغرب إفريقيا من حيث المراكز التجارية والسلع المتبادلة والمسالك التي تسير عبرها القوافل.

المراجع الأجنبية:

من أهم المراجع الأجنبية التي اعتمدت عليها في دراستي نذكر :

جون ليتيو:ورقلة حاضرة صحراوية من الجذور إلى مطلع القرن العشرين.

Jean Lethielleux :**Ouargla cité Saharienne des origines au début de xx eme siècle.**

الذي تحدث فيه عن تاريخ المدينة من جذورها الأولى إلى غاية بداية القرن العشرين ،وقدم معلومات متنوعة وظّفتها في الحديث عن نشأتها الأولى والأحداث التاريخية التي مرت بها ونشاطها

التجاري مع بلاد السودان، و أوضاعها السياسية مطلع القرن التاسع عشر، وعن كيفية احتلالها من طرف القوات الفرنسية.

Madeleine Rouvillois Brigol :**Le pays de Ouargla Sahara Algérien**

مادلين روفيلواز بريقول:بلد ورقلة الصحراء الجزائرية

و يعد هذا الكتاب بدوره من المراجع الهامة التي تتبعت التطور التاريخي لمدينة ورقلة ،وقدمت معلومات هامة عن أوضاعها الاقتصادية من زراعة وحرف وتجارة، وعن صادرات المدينة ،والأنظمة الزراعية التي استحدثتها الإدارة الفرنسية في مجال الزراعة والري بورقلة.

Alain Romey :**Histoire toponymie et tradition orale d'une oasis arabo-berbère :Ngoussa,**

ألان رومي: تاريخ أسماء المواقع الجغرافية والتقليد الشفوي بواحة العرب والبربر نقوسة

وهو من الكتب القيمة التي قدم فيها الكاتب معلومات مهمة متعلقة بالموقع الجغرافي وخصائصه، وتتبع فيه تاريخ المدينة وتطرق لأهم الأحداث السياسية والحملات التي شهدتها مدينة ورقلة، وأهم العائلات التي حكمت المدينة.

– مقالات المجلات والدوريات والملتقيات:

بالنسبة للمقالات، فقد استفدت كثيرا من المقالات التي تّم نشرها في كل من:

– مجلة الأصالة: التي خصّص عددها الرابع والسبعون لسنة 1977، للحديث عن تاريخ ورقلة.

–مدونة أشغال ملتقى الشريف محمد بن عبد الله المنعقد بورقلة(25 –27 فيفري1998): الذي تضمن مجموعة من المقالات المخصصة عن الاحتلال الفرنسي لورقلة ومقاومة الشريف محمد بن عبد الله.

–مدونة أشغال ملتقى التوسع الاستعمار الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة (فيفري1999) بورقلة:وهي الأخرى تضمنت مجموعة من المقالات الهامة التي تحدثت عن دوافع الاهتمام الفرنسي بالصحراء،وعن أهم الرحلات الاستكشافية التي أرسلتها السلطات الفرنسية، بالإضافة إلى تفاصيل الاحتلال الفرنسي وبعض انعكاساته على المدينة.

–الرسائل الجامعية :

وبخصوص الرسائل الجامعية التي استفدت منها في دراستي للموضوع ،نذكر منها:

- أحمد ذكار: **حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي (1591-1883م)**، مذكرة ماجستير تحت إشراف:أ د. محمد حوتية، جامعة أدرار (قسم التاريخ)، 2009-2010م. التي تحدثت عن النشاط التجاري الذي ربط ورقلة مع منطقة بلاد السودان الغربي .

- رضوان **شافو:الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة انمودجا1844-1962**،مذكرة دكتوراه تحت إشراف :أ د.بن يوسف تلمساني،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2011-2012،استفدت منها فيما يتعلق بالاحتلال الفرنسي ومراحله.

الصعوبات المعترضة:

لا شك أن كل دراسة يقوم بها كل باحث إلا وصاحبتها مجموعة من الصعوبات ،ومن بين الصعوبات التي واجهتني في انجاز هذا البحث أذكر:

- قلّة المصادر والمراجع التي تحدثت عن العلاقات التجارية التي كانت بين ورقلة وبلدان المغرب .

-تحتاج المصادر والمراجع الأجنبية التي تطرقت للموضوع أو لأحد من أجزائه، إلى وقت اكبر للترجمة وكان ذلك أحد الأسباب التي ساهمت في تأخرنا عن إتمام هذه الدراسة في وقتها المحدد .

وأخيرا فان هذه الدراسة لم تكن لترى النور لولا استنادها إلى جهود من سبق في هذا الميدان ،فان أصبت في شيء منها فهو من توفيق الله تعالى وعونه، وإن كان غير ذلك ،فحسبي أني اجتهدت وحاولت أملاً في الاستفادة من توجيهات الأساتذة الأفاضل الذين أسندت لهم دراستي لمناقشتها وتقويمها.

الفصل الأول: مدينة ورقلة النشأة والتطور.

- المبحث الأول: التسمية والموقع.
- المبحث الثاني: نشأة المدينة وعوامل تطورها.
- المبحث الثالث: عناصر السكان.
- المبحث الرابع: ضواحي المدينة والمناطق المحيطة بها.

المبحث الأول:التسمية والموقع.

أ- معنى التسمية:

تعتبر مدينة ورقلة من المدن الصحراوية الضاربة في القدم التي ربطت بلدان المغرب بدول إفريقيا جنوب الصحراء،فقد كانت حاضرة علمية كبرى،ومركزا تجاريا ضخما،استقطب العديد من الأفراد والجماعات على مر الأزمنة والعصور،لذلك نجدها ذُكرت في العديد من المصادر العربية والأوروبية،من كتب الرحالة والمؤرخين والجغرافيين،لذلك وقبل الحديث عن تاريخها وأوضاعها السياسية ونشاطها الاقتصادي،تجدر بنا الإشارة لأصل كلمة ورقلة ومدلولها.

عُرفت مدينة ورقلة على مَر العصور بتسميات متعددة ومتنوعة،في مختلف المصادر التي تطرقت لتاريخ المدن الصحراوية،فقد ذكرها باسم "واركلان" كل من ابن حوقل ،وابن سعيد المغربي حيث يقول ابن سعيد المغربي عنها:«....ومدينتها التي تسمى واركلان[...]وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط»[1]،في حين ذكرها الرحالة المغربي عبد الرحمان بن محمد العياشي – الذي زارها في طريقه لأداء فريضة الحج–باسم "واركلا"[2]،بينما أوردها ابن خلدون بثلاث تسميات مختلفة وهي:"وركلان[3]،واركلي،واركلا"حيث يقول:«ثم بلد واركلي قبلة بجاية بلد واحد مستجر العمران كثير النخل...»[4]،وأضاف في موضع آخر:« وامتاز الزواودة بملك ضواحي قسنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ وواركلا وما وراء ها من القفار في بلاد القبلة» وفي موضع آخر أيضا يقول:«... وهو موضع مقامه قصور ذات نخل تسمى وركلان»[5].

---

[1] ابن سعيد المغربي:**الجغرافيا**،تح:إسماعيل العربي،منشورات المكتب التجاري للطباعة،لبنان،ط1،1970،ص126.

[2] أبوسالم عبد الله العياشي:**الرحلة العياشية1661-1663**،تح:سعيد الفاضلي،سليمان القرشي،دار السويدي للنشر، الإمارات،ط1، 2006،ج1،ص114.

[3] وردت نفس التسمية عند الحميري أنظر:محمد بن عبد المنعم الحميري،**الروض المعطار في خير الأقطار**،تح: إحسان عباس، دار القلم،بيروت،1975، ص600.

[4] عبد الرحمان بن خلدون:**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،دار الفكر للطباعة،لبنان،2000،ج6،ص134.

[5] المصدر نفسه،ص ص 45،134.

أما باسم"وارجلان" فقد ذكرها كل من البكري[1] والدرجيني[2]وأبي زكرياءوغيرهم من مؤرخي المنطقة،وبتسمية قريبة منها "ورجلان"-بدون ألف بعد الواو- أشار إليها الحموي في كتابه معجم البلدان،في قوله: «ورجلان،بفتح أوله وسكون ثانيه،وفتح الجيم،وآخره نون كورة بين إفريقيا وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات يسكنها قوم من البربر ومجانة.»[3]،غير أن الحسن الوزان ذكرها بتسمية قريبة للتسمية الحالية للمدينة باختلاف بسيط حيث وضع الكاف بدل القاف لتصبح وركلة حيث يقول: «وَركلَة، مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا، لها سور من الآجر النيئ ودور جميلة»[4]،وباسم هرقلة أو أركلى أشار إليها إبراهيم بن الساسي العوامر في كتابه الصروف بقوله:« ورقلة ،أو هرقلة،أو أركلى كما كانت تدعى سابقا هي أحد الواحات الشهيرة بكثرة نخيلها وجودة تمورها...»[5].

أما المصادر الأوروبية،الفرنسية منها على وجه الخصوص ،من كتابات الرحالة والمستكشفين الفرنسيين الذين زاروا المدينة وكتبوا عنها،نجدهم يشيرون إليها باسم"ورقلة" مثل: فكتور لارجو[6]مادلين روفيلواز بريقول[7]،الضابط دوماس[8]،مارغاريت فان برشم[9]بول سولايي[10].

---

[1] أبي عبيد البكري:**المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**،دار صادر للكتاب،لبنان،ص182.

[2] أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، دار البعث،قسنطينة،الجزائر،ج2، ص399.

[3] ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، دار صادر للنشر، بيروت، لبنان، 1977، ج5، ص 371.

[4] حسن الوزان: **وصف إفريقيا**،تر :محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ج2، ص136.

[5] إبراهيم محمد الساسي العوامر:**الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**،تع :الجيلاني بن إبراهيم العوامر،منشورات ثالة، الجزائر ،2007،ص35.

[6] V.Largeau :**le Sahara Algérienne**, **les déserts de lèrg** ,paris,2ém édi ,1881, p156.

[7] Madeleine Rovilois Brigole: **Le pays de Ouargla** (**Sahara Algerien**),paris 1975,p2.

[8] E.Daumas : **Le Sahara Algérien**, paris, 1845,p4.

[9] Marguerite van Berchem :**Sadrata**,Ars Orientalis,vol 1,1954,p p 157,158.

[10] Paul Solleillet:**l'Afrique occidentale**:**Algérie**,**Mzab**,**Tildikelt**,France,1877, p192.

وبخصوص مدلول التسمية،فهو الأخر كان محل اختلاف بين المصادر التاريخية،وتضاربت بشأنه الروايات والتأويلات،فالرواية المحلية المتداولة في الأوساط الشعبية،تشير إلى أن الكلمة مركبة من شقين،الأول هو:"الوير" ويعني الأسد باللغة الورجلانية القديمة،والشق الثاني فهو"انجلى" أي زال أو ذهب باللغة العربية الفصيحة،و قد أطلقت هذه الكلمة وشاع استعمالها بعد نجاح سكانها في القضاء على الأسد الذي كان يحاصر المنبع المائي الخاص بالمدينة،ويلتهم كل شخص يقترب منه ،لذلك اتفقوا على القضاء عليه،وبعد نجاحهم قيل:" الوير انجلا" أي الأسد ذهب أو زال،وبمرور الوقت واختلاف الألسنة أصبحت تنطق ورجلان أو ورقلة.[1]

لكن جون ليتيو كان له تفسير آخر لمدلول التسمية،حيث أشار إلى أن الكلمة مركبة من جزئين هما: "وار"وتعني الأبناء و"ايكلي أو"إيكلان" وتعني السود،بمعنى أبناء السود وذلك لوجود العديد من الأشخاص ذوي البشرة السوداء بالمدينة.[2]بينما نسبها الرحالة لارجو لامرأة سكنت المدينة، وقامت ببناء كوخ وغرس النخيل، فالتف حولها الناس بعد ذلك[3] لكن هناك من يرجع التسمية إلى قبائل بني واركلا الزناتية الأمازيغية التي استقرت بالمنطقة بعدما قدومها فترة الفتوحات الإسلامية من الشمال والغرب صحبة مغراوة واستولت على المدينة[4]وهو ما أشار إليه ابن خلدون في كتابه العبر حيث يقول: «بنو واركلا إحدى بطون زناتة...»[5].

---

[1] أحمد ذكار:**حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي (1591-1883م)**، مذكرة ماجستير ، إشراف: د. محمد حوتية، جامعة أدرار (قسم التاريخ)، 2010/2009م، ص8.

[2] Jean Lethielleux : **Ouargla cité Sahariennes au début du xxe siècle**, Paris, 1984, p19,20.

[3] V.Largeau :**le pays de rirha Ouargla**,paris,1879, p153.

[4] مولاي بلحميسي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص83، هامش 23.

[5] عبد الرحمان ابن خلدون: مصدر سابق،ج6،ص134.

ب–الموقع وخصائصه الجغرافية.

تقع مدينة ورقلة على مشارف الصحراء الكبرى،في منطقة الجنوب الشرقي للجزائر الذي يعتبر جزء من المنخفض الصحراوي الكبير البالغ طوله30كم،والمرتفع عن سطح البحر مابين103 و150م [1]،يحدها من الشمال الشرقي كل من واد سوف و بسكرة ،ومن الجنوب الغربي تمنراست وإيليزي،[2]ومن الشمال الغربي الجلفة وغرداية[3]وتفصلها عن العاصمة الجزائر مسافة 800كم.[4]

أما بالنسبة للموقع الفلكي فهي تقع بين خطي عرض 30.50 شمالا،و05.17 شرقا[5] ،وتشرف على مساحة شاسعة تقدر ب:163.233كم2،جعلت منها منطقة إستراتيجية هامة تستقطب العديد من العناصر القادمة من الشمال أو الجنوب الدوام،وهو ما كان له تأثير إيجابي على وضعها الاجتماعي والاقتصادي.

1– المناخ:

مناخ مدينة ورقلة صحراوي حار وجاف،يتميز بارتفاع درجة الحرارة التي تصل إلى 50درجة نهارا بالصيف،بينما يكون شتاؤها شديد البرودة تنخفض فيه درجات الحرارة خاصة بالليل[6]،أين يلاحظ تفاوت كبير في المدى الحراري (+05 إلى +50) على مدى ثلاثة مراحل وهي:

-المرحلة الأولى: تمتاز بطقس بارد، وهي الفترة الممتدة مابين 15نوفمبر و15فبراير.

---

[1] عبد الله بن جيلالي السائح:**صفحات من تاريخ ورقلة مند أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي**،الآمال للطباعة،الجزائر ط1، 2010،ص14.

[2] عبد القادر موهوبي: **ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ ووادي ميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة**، دار البصائر، الجزائر،2011،ص151.

[3] عبد الحميد نجاح:**منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**،دار الآمال للطباعة ، الجزائر،ص9.

[4]Madeleine Rovillois Brigol :op.cit.p p1,2.

[5] التواتي بومهلة:**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837–1934**،دار المعرفة للنشر،الجزائر،2012،ص299.

[6] عبد القادرحليمي: **جغرافية الجزائر (طبيعية،بشرية،اقتصادية)**،المطبعة العربية،الجزائر، ط1، 1968،ص88.

-المرحلة الثانية: والتي تتميز بالاعتدال وتمتد من 15 فيفري ل31ماي و1أكتوبر إلى 15 نوفمبر.

-المرحلة الثالثة: تمتاز بشدة الحرارة وتمتد من 1جوان إلى 30 سبتمبر.[1]

وبخصوص الأمطار فالتساقط بورقلة ضعيف،لا يزيد متوسطه السنوي عن 20سم،ونزول الأمطار لا يكون إلا بعد سنوات، فقد لوحظ في إحدى السنوات أن الأمطار لم تنزل بالمدينة مدة خمس سنوات،وفي السنة التي نزل فيها بعد ذلك كان التساقط شحيحا ولم يزد متوسطه عن 11مليمتر في ظرف ثلاثة عشر يوما،وذلك لأن الجفاف هو الميزة الخاصة بالصحراء الجزائرية لوقوعها في المنطقة فوق المدارية ذات الضغط المرتفع،الذي يعتبر مصدرا للرياح التجارية التي تتسبب في عدم نزول الأمطار.[2]

2- التضاريس:

تسود مدينة ورقلة العديد من المظاهر التضاريسية السائدة بالصحراء الكبرى من عروق وحمادات ومرتفعات،و تحتل العروق[3] مساحة كبيرة جدا من أراضي ورقلة،وتتواجد بكثرة في الجهة الشرقية مثل العرق الطويل،عرق بوصلاح،عرق بوخزنة،عرق الطوارق[4]،كما يوجد بالإضافة إلى الحمادات والتي هي عبارة عن هضاب صخرية صلبة تسود المناطق الغربية والجنوبية للمدينة[5]،بعض المرتفعات التي كانت تعرف محليا باسم القارة كقارة كريمة،أم الأرانب،الشوف.[6]

---

[1] عبد الحميد نجاح:مرجع سابق، ص9.

[2] عبد القادرحليمي:مرجع سابق،ص 89.

[3] العروق:من أهم تضاريس الصحراء وهي عبارة عن كثبان رملية ،ويحتل العرق الشرقي الكبير ثلثي المساحة الإجمالية تقريبا لورقلة انظر: **ورقلة سلطانة الواحات**:دليل ثقافي،منشورات المهرجان الثقافي المحلي للفنون والثقافات الشعبية لولاية ورقلة،ص11.

[4] أحمد ذكار:مرجع سابق،ص 29.

[5] ورقلة سلطانة الواحات:مرجع سابق،ص11.

[6] أحمد ذكار: مرجع سابق،ص29.

3- الموارد المائية:

لاشك أن استقرار السكان في منطقة ما ،وممارستهم لحياتهم اليومية و أنشطتهم الاقتصادية مرتبط بالدرجة الأولى على توفر الماء بها،خاصة إذا كانت هذه المنطقة واقعة في صحراء حارة وجافة،كمدينة ورقلة التي رغم جفافها وقلة التساقط بها إلا أن سكانها استطاعوا التكيف مع مناخها القاسي بفضل توفرها على منابع مائية كثيرة،[1]من أودية سطحية وباطنية،كان لها الفضل في تطور المدينة وازدهارها اقتصاديا، فقد أكد الباحث الفرنسي ألان رومي على أهمية المياه بالنسبة للحياة بورقلة في قوله:«إن ورجلان مدينة بوجودها لثروتها المائية الجوفية،التي كانت سببا في ازدهارها..»[2]، ذلك أن سبب وفرة المياه بها يعود إلى وقوعها في منطقة الصحراء المنخفضة،المنطقة الارتوازية الغنية بالمياه الجوفية.[3]

ومن أجل الحصول على هذه المياه الجوفية واستغلالها في الحياة اليومية،كان يَجري حفر الآبار بطريقة خاصة لا مثيل لها إلا في واحات ريغ وتوات وتيقورارين[4]،من خلال الحفر لبضعة أمتار حتى الوصول لطبقة صخرية يتم نحتها حتى تصبح رقيقة ومصفحة، بعدها يصعد الحفار لأعلى البئر،ثم برمي بقطعة حديد للقاع[5] فيفيض البئر بعدها فيضانا قويا يصل للسطح،فيصبح عينا جارية [6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله:**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**،دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط2، 1990 ،ج2،ص151.

[2] Alain romey: **Histoire memoire et societies** ,édi : l'harmattan/awal,paris ,p3.
نقلا عن: إلياس بن عمر حاج عيسى: **مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (04-10هـ/10-16م)**، مذكرة ماجستير، إشراف: عبد العزيز لعرج،جامعة الجزائر،(قسم التاريخ)، 2009/2008م،ص56.

[3] رضوان شافو:**مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1875م)**،مذكرة ماجستير ،إشراف: أبو القاسم سعد الله،جامعة الجزائر (قسم التاريخ)،2007.2006،ص13.

[4]إبراهيم أعزام:**غصن البان في تاريخ وارجلان**،تح:إبراهيم بحاز،سليمان بومعقل،مطبعة العالمية،غرداية الجزائر،ط1،2013 ،ص199.

[5]إلياس عمر حاج عيسى:مرجع سابق،ص59.

[6] العياشي:مصدر سابق،ص118.

وقد كان يطلق على هذه العيون محليا اسم عيون ذي القرنين[1] وعرفت بكثرتها حيث بلغ عددها ألف وخمسين عينا[2]،تختلف أعماقها من عين لأخرى بعضها وصل عمقه الستين مترا والبعض الأخر فاق الثمانين مترا،[3]ولأن هذه العيون كانت تتعرض في الكثير من الأحيان للاندثار و توقف الجريان بفعل انسدادها بالأوساخ والأتربة كثيرا ما كان يستعين ملاكها بالغطاسين[4]،ليتولوا مهمة تنظيفها من هذه الأوساخ بطريقة صعبة وخطيرة للغاية،تتم بنزول الغطّاس إلى أسفل البئر بعد ربط قفة في حبل وتدليتها للقاع، وحبل آخر يربط فيه حجر كبير يدليه هو الأخر للقاع من أجل صعوده ونزوله،وأثناء عمله بالتنظيف يقوم بوضع الحجر بين ركبتيه بحرص حتى لا يفلت منه ويتسبب بغرقه،وتتم هذه العملية لعدة أيام،لمدة تتراوح مابين 5 إلى 10دقائق في اليوم الواحد،إلى غاية تصفية هذه العين .[5]

ولكي يستفيد السكان من هذه العيون ،خصوصا من يمتلكون بساتين بأماكن بعيدة عنها،يجري تقسيم المياه بين أصحاب هذه البساتين،بطريقة عادلة ،في مدة أربعة عشر يوما بالتناوب،يبدأ اليوم الأول عند سكان المدينة من طلوع الشمس إلى غروبها،واليوم الثاني من غروب الشمس إلى طلوعها، أي سبعة أيام وسبعة ليالي، ويقسم اليوم الواحد إلى 120وحدة زمن تسمى خروبة،تتراوح في الربيع من 6إلى 7دقائق،وتصل خلال الأسبوع إلى 1680خروبة،و عدد الخروبات الممنوحة تختلف من صاحب بستان لآخر حسب مساحة البستان وعدد النخيل،[6]فمنهم من يكون نصيبه نهار،والبعض

[1] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص 199.

[2]M.R Brigole:op.cit,p2.

[3] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص ص 202،203.

[4] **الغطاسين(الأدوغين كما يعرفون محليا)**:اسم لرجال حرفتهم تنظيف الخزانات المائية والآبار من الأوساخ والأتربة التي تنقص جريانها، بمبلغ يتفقون عليه مع صاحب هذه العيون في المسجد الكبير ،وهي الحرفة التي توارثوها جيلا بعد جيل عن أسلافهم أنظر إبراهيم أعزام: المرجع نفسه،ص ص202،203.

[5] المرجع نفسه،ص203.

[6]M.R.Brigole:ibid,pp191,192. J.Delheure :**Vivre et morir a Ouargla** ,paris , 1988 , p p 189,190.

نهاران،والبعض الأخر نصف نهار،أو ثمن نهار،وهناك من يكون نصيبه ثلاثة خراريب،أو خروبتان .[1]

المبحث الثاني:نشأة المدينة وعوامل تطورها.

أشار الشيخ إبراهيم أعزام في حديثه عن تاريخ المدينة إلى أنها من الأوطان القديمة[2]وأشار إلى ذلك الحسن الوزان أيضا في قوله:« وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا..»[3]لكنهما لم يخوضا في التفاصيل والأحداث التاريخية التي تثبت صحة هذه المعلومة وتؤكدها،وقد يكون ذلك لعدم وجود وثائق مكتوبة تطرقت لتاريخ المنطقة في العصور القديمة،لكن المتطلع لعمران المدينة،وبعض الآثار والأدوات[4]التي وجدت بها،يلاحظ مدى عراقة المدينة،وقدَم الاستقرار بها[5]وتؤكد بأن تاريخها ضارب في القديم يعود إلى فترات ما قبل التاريخ.

ومن بين المناطق التي عُثر فيها على هذه الأدوات:منطقة عرق التوارق،التي وجد بها الفؤوس الستة وثمانون ذات الوجهين،المصنوعة من حجر اليمان (صوان صلب البلوري) التي يتراوح طولها مابين ثمانية إلى خمسة عشر سنتيمتر،سميكة ومشذّبة من الحواف،تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل (الباليوليتيك الأسفل)،كما وجد بذات الموقع أيضا،فؤوس صغيرة ذات وجهين تعود لفترة العصر الحجري القديم (الباليوليتيك الأوسط)[6]،وفي بامنديل، وحاسي اقنيفدة،في منطقة الكثبان تَم العثور على بعض الأدوات والبقايا التي تعود إلى فترة العصر الحجري الحديث (النيوليتيك)،وقد رجّح

[1] الخروبة:هي وحدة لقياس كمية الماء.انظر إبراهيم أعزام:المرجع السابق،ص204.

[2] إبراهيم أعزام:المرجع السابق،ص49.

[3] الحسن الوزان:المصدر السابق،ج2،ص 136.

[4] تتمثل في سهام مشذبة وبيض نعام وبعض الحلي والفؤوس التي تم العتور عليها في حوض ورقلة في عدة مناطق مثل عرق الطويل،حاسي مويلح.برج ملالة .أنظر الصور بالملحق 01ص 152.

[5] بن يوسف تلمساني :**دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي** ،مقال بملتقى حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة ،مديرية الثقافة ورقلة،1999،ص107.

[6] سافيلي برناديت:**ماقبل التاريخ في ورقلة** ،تر:ح.زعطرط،هـ.دادان، ورقلة،2011 ،ص 13.

البعض،الإشارات الواردة على لسان هيريدوت (ق 5 ق.م) واسترابون (حوالي 20م)والمتعلقة بقدم الاستقرار ببعض المدن الصحراوية،على أنها تتعلق بورقلة.[1]

وعلى ضفاف السبخة كذلك تمّ العثور كذلك على العديد من معامل المعادن،التي تعود لفترة العصر الحجري، والتي توحي بوجود علاقة بينها وبين المصنوعات من منطقة قفصة،إلا أن الوثائق المكتوبة عن تاريخ المدينة في العصر القديم ،ظلّت الغائب الأكبر،لذّلك وأمام هذا الفراغ المعلوماتي الكبير،نجد الكتّاب والباحثين المهتمين بهذه الفترة من تاريخ المدن الصحراوية يغوصون في العادات المحلية لفك الرموز القديمة لسكان هذه المنطقة الأوائل،من أجل الوصول إلى معلومات تتعلق بتاريخها واستطاعوا من خلالها الكشف عن وجود تأثيرات خارجية على مدينة ورقلة،من بينها حرف لام ألف (لا)[2] الذي كانّ متواجدا بكثرة في أعلى أبواب المنازل وأسوار المدينة [3]وتحدث عنه الرحالة شارل فيرو سنة 1872م بشيء من التفصيل في مقال له بعنوان:« رؤوس السهام بالسيليكس بورقلة »[4]حيث أشار إلى وجود تقارب كبير بين رمز (لا) لام ألف المنتشر بكثرة في ورقلة، ورمز الآلهة القرطاجية تانيت وبأن رايات الآلهة القرطاجية تعلوا أبواب المنازل بورقلة [5]،لكن تحليلاته تبقى مجرّد احتمالات إن تبثث صحتها فهي دلالة على أن العلاقة بين ورقلة وقرطاجة لم تكن قائمة على التبادل التجاري فحسب بل تعدته إلى الجانب الثقافي والاجتماعي.

أما فيما يخص التواجد الروماني بمدينة ورقلة فإننا لا نجد أي أثر لاسم ورقلة في الكتابات الرومانية أو الإغريقية،فلا معلومات أو آثار مادية تؤكد وجود علاقة وتأثير روماني على المنطقة،ماعدا بعض الترجيحات التي تفترض وجود علاقة تجارية بين الطرفين،استنادا لبعض النقود الرومانية التي عُثّر

[1]Denys pillet: **Histoire de Ouargla essai de chronologie**, Ouargla,2011,p2.

[2] أنظر الصورة بالملحق 02 ص 153.

[3]M.R.Brigol:op.cit,pp8,9.

[4] Charles Féraud: **Pointes de flèches en silex de Ouargla**,R.A,vol16,1872,p p 136, 140.

[5] دنيس بيلي:**لام ألف بورقلة**،تر: الشيخ صالح،ورقلة،2010،ص8.

عليها بالمنطقة ،لكن السؤال المطروح هل كان التواجد الروماني بالمنطقة مباشرا؟

تشير الباحثة مادلين روفيلواز بريقول إلى أن كُرنليوس بالبيس Cornelius Balbusفي القرن التاسع عشر قبل الميلاد،قام بتوجيه حملة من الشاطئ باتجاه غدامس،وأنه بعد ستين سنة من هذه الحملة،قد يكون سيوتُنيس بولبنيس Suetonus Paulinusقد وصل إلى مشارف الهقار ،لذلك من غير الممكن أن يكون الرومان قد تجاهلوا ورقلة الواقعة في شمال غدامس ،وأمام هذه المعلومات التاريخية هناك من يذهب إلى الأخذ بفرضيتين ،الأولى :أن ورقلة كانت بلدة مهمة ومسكونة بها واحات نخيل وفيرة ،إن كان الرومان قد مروا بها فمن الممكن أنهم أطلقوا عليها اسما لم يُعرف، فإذا أخدنا بقرب المسافة بين بسكرة وورقلة، وأن الرومان لم يوجهوا أي حملة نحوها فهذا يدل بأن ورقلة لم تكن سوى قرية صغيرة لا أهمية لها،أما الفرضية الثانية :وهي الأقرب للحقيقة هي أن الرومان لم يعطوا أهمية لمؤخرة الوطن النوميدي وإفريقيا الرومانية ،وذلك ظاهر في جغرافية بطليموس Ptolémée[1]،وإنما اقتصر اهتمامهم وتواجدهم على حواف المناطق الصحراوية فقط، من أجل التحكم في الطرق التي تربط بين الصحراء والتل،واكتفوا بإقامة أبراج للحراسة على المحاور الرئيسية للمسالك والطرقات[2]،للأهمية الكبيرة التي تشكلها هذه الطرقات،حيث بفضلها يتنقل الأفراد والسلع،والعادات والأفكار نحو المناطق الداخلية.[3]

أما الباحث مسعود مزهودي أشار إلى أن الرومان قد يكونوا وصلوا إلى ورقلة،لكنهم لم يستقروا بها،ومن المحتمل أنها كانت ضمن نقاط للمراقبة التي وضعها الرومان على مشارف الصحراء لجمع الضرائب ،لكن بمجرد قيام الحروب بين البربر والرومان في الشمال في القرن الثاني ق.م تحررت ورقلة.[4]

---

[1] M.R Brigol:op.cit,p12.

[2] محمد البشير شنيتي : **التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية**،مجلة الأصالة،مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر ، 1977، ع41، ص 8.

[3] شافية شارن: **الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة**،منشورات م،و،د،ب،ح،و،ث،أ،ن 1954،طبعة وزارة المجاهدين،الجزائر ،2007،ص132.

[4] مسعود مزهودي: **تأسيس وارجلان وسدراتة من خلال الروايات التاريخية**،منشورات مديرية الثقافة لولاية ورقلة،1997م، ص12.نقلا عن إلياس بن عمر حاج عيسى:المرجع السابق،ص33.

لكن يمكننا القول أنه رغم من اختلاف وجهات النظر،وغياب التفاصيل الدقيقة المكتوبة حول تاريخ ورقلة ونشأتها الأولى،إلا أن المهتمين بتاريخها ينطلقون من فرضية لا اعتراض عليها من طرفهم مفادها أن ورقلة ذات تاريخ قديم،وأنها كانت على قدر كبير من التطور والازدهار.[1]

وفيما يتعلق بالفترة الإسلامية،فالفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب[2] أُسندت قيادتها بداية لعقبة بن نافع الفهري،الذي تمكن من فتح القيروان،والتوجه بعدها إلى الزاب،بعدما استخلف زهير بن قيس البلوي عليها،ثم انطلق منها نحو تلمسان،والمغرب الأقصى وانتهى بمدينة أسفي[3]،واستطاع حينها إخضاع الشمال الإفريقي برمته للدولة الأموية،ونشر الإسلام في مختلف ربوعه[4]،وبوصول وانتشار الإسلام في بسكرة،انتقل بعدها لبقية المناطق الصحراوية الأخرى،إما عن طريق التجار أو الدعاة[5] الذين كانوا يعبرون المنطقة للوصول إلى بلاد السودان[6]،ومن ضمنها ورقلة التي محطة هامة تقف عندها القوافل التجارية المتجهة لبلاد السودان.

إلا أن التاريخ الفعلي لدخول وانتشار الإسلام بورقلة لم يكن معروفا،فلا المصادر،ولا الكتابات التي تطرقت لتاريخ المدينة، تحدثت عن تاريخ وصول الفتوحات الإسلامية إليها،لذلك فمن المحتمل أن يكون الإسلام قد وصلها عن طريق القبائل البربرية التي اعتنقت الإسلام وتشبثت به وعملت على نشره في مختلف أنحاء البلاد ،خاصة إذا علمنا أن ورقلة قد شهدت هجرات لعناصر بربرية قادمة من الشمال،واستقرت بها.

ولاشك أن هذا الانتشار الواسع للإسلام في أوساط البربر،وتعصبهم له نابع من القيَم والأخلاق العالية التي اتصف بها العرب الفاتحون،الذين تعايشوا مع البربر واختلطوا بهم واقتسموا معهم ظروف

---

[1] M.R Brigol:op.cit.p13.

[2] رشيد بورويبة وآخرون:**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص47.

[3] أسفي:بفتحتين،وكسر الفاء،بلدة على شاطئ البحر المحيط بالمغرب الأقصى، ياقوت الحموي: المصدر السابق ج1،ص180.

[4] شوقي عطاالله الجمل:**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا–تونس–الجزائر–المغرب)**،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط1،1977، ص ص7،8.

[5] عبد القادر موهوبي:مرجع سابق، ص ص 154،155.

[6] عبد الله السائح:مرجع سابق،ص ص 32،33.

حياتهم البسيطة على عكس الرومان و الوندال الذين سبقوهم،[1]ومن بين القبائل البربرية قبيلة زناتة التي كانت من أول القبائل التي دخلت الإسلام في المنطقة[2].

وبعد انتشار الإسلام في المنطقة ظّهرت بعض الدويلات الإسلامية التي استغلت بُعد المنطقة جغرافيا عن مركز الخلافة الإسلامية في المشرق،وانشقت عن الخلافة[3]،كالدولة الرستمية[4]التي استقلت بحكمها،وضّمت في تركيبتها عناصر بشرية متعددة ،من عرب وفرس ،وغالبية بربرية اعتنقت الفكر الإباضي بمجرد وصول أول دعاتها[5]عبد الرحمن بن رستم للمغرب الأوسط حتى التف حوله الناس وتطلّعوا لبناء دولة تتمسك بالدين وتحكم بالعدل،[6]فقام ببناء مدينة تيهرت[7]كعاصمة للدولة الرستمية التي صار لها أتباع في عدة مناطق من المغرب الأوسط،من بينها ورقلة التي شكّلت امتدادا جغرافيا لها في الجنوب.[8]

---

[1] إبراهيم أعزام:مرجع سابق ،87.

[2] عبد الله السائح:مرجع سابق،ص32.

[3] شوقي عطاالله الجمل:مرجع سابق،ص2.

[4] الدولة الرستمية:أسسها عبد الرحمان بن رستم،بمدينة تاهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر)،في موقع متميز أحسن اختياره،وبويع بالإمامة،وعلى الرغم من إحاطتها بالأعداء،الأغالبة شرقا ،و الأدارسة غربا،ظلت قائمة مئة وخمسين عاما،وثّقوا خلالها صلاتهم مع أمويي قرطبة،تعاقب على حكمها بعد عبد الرحمان بن رستم ستة من أفراد أسرته،لكنها انهارت على يد الفاطميين سنة 296هـ/908م.شوقي أبو خليل: **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**،دار الفكر،سوريا،2008،ص 175.أنظر:إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية (160–296هـ/777–909م)**، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2010م.

[5] المهدي البوعبدلي:**لمحات من دور الدولة الرستمية في ميادين الفكر والثقافة**، مجلة الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر،1977، ع41،ص ص 193،194.

[6] محمد علي دبوز:**تاريخ المغرب الكبير**،مؤسسة تاوالت الثقافية،ليبيا،2010،ج3،ص241.

[7] تيهرت:بينها وبين المسيلة ست مراحل،كانت تسمى قديما بعراق المغرب،واقعة بين تلمسان وقلعة بني حماد،كثيرة الندى والضباب والمطر،بها سور وأربعة أبواب،وهي في سفح جبل يقال له جزول،وبها قصبة تسمى المعصومة،كانت عاصمة للدولة الرستمية بالمغرب الأوسط،أنظر: الحموي:مصدر سابق،ج2،ص ص 7،8

[8] جودت عبد الكريم يوسف:**العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص ص 58،59.

لكن وبعد قرن وثلث القرن من تأسيس الدولة الرستمية،بلغت فيه الدولة أوجها[1]الاقتصادي والحضاري،ضعفت وتدهورت،بسبب تراجع هيبة الأئمة،و تحكم بعض الرعاع في تعيين وعزل الأئمة، وبسبب التجاوزات التي قام بها عمال الأئمة في حق الرعية ،سقطت الدولة الرستمية نهائيا على يد أبي عبيد الله الشيعي الذي اقتحمها بجيشه،وخرّبها دون أن يجد بها مقاومة تذكر[2]،وقتل العديد من الرستميين،وأرسل برؤوسهم إلى أخيه أبي العباس وطوفت بهم القيروان[3]وعلى إثر هذه الأحداث فّر العديد من أتباع المذهب الإباضي نحو الجنوب خاصة ورقلة، كالإمام يعقوب بن أفلح[4] الذي خرج مع مجموعة كبيرة من العائلات الرستمية قاصدا ورقلة وفي طريقه إليها،نظر نظرة إلى النجوم وخاطب مرافقيه قائلا: « إنكم لا يجتمع منكم ثلاثة نفر إلا كان الطلب عليكم،افترقوا فقد انقطعت أيامكم وزال ملككم »[5]،وعند وصوله إلى ورقلة استقبله شيخها أبو صالح جّنون بن يمريان[6]،مع جموع أهلها ،وعرضوا عليه الولاية من أجل إعادة إحياء الإمامة ،لكنه رفض لإدراكه بأن المسألة قد أفلتت من

[1] إبراهيم بحاز: المرجع السابق،ص399.

[2] إسماعيل عبد الرزاق:المرجع السابق،ص 229.

[3] أبي عبيد البكري:**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب(المسالك والممالك)**،دار الكتاب الإسلامي،مصر،ص 68.

[4] الإمام يعقوب بن أفلح:بن عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم (ت310هـ/922م)،من أئمة الدولة الرستمية الذين عرفوا بالعلم والدين ،وساهموا في الحياة السياسية بها،حكم الدولة الرستمية سنة (282هـ/895م)، واستمر في حكمها أربع سنوات في فترة صعبة للغاية شهدت فتن وتنافس على الحكم،وبسقوط الدولة الرستمية على يد العبيدين هاجر رفقة أسرته إلى سدراتة بوارجلان،حيث استقبل فيها بحفاوة ،وعرض عليه أهلها الإمامة ،لكنه رفضها،وقضى بقية حياته ينشر العلم والدين إلى غاية وفاته،حيث دفن بمقبرة أبي صالح جنون بن يمريان. أنظر:إبراهيم بحاز وآخرون:**معجم أعلام الإباضية**.من القرن 1هإلى15هـ،قسم المغرب،نشر جمعية التراث،غرداية الجزائر،1999،ج4،ص993.ابن الصغير:**أخبار الأئمة الرستميين**،القرن الثالث الهجري،تح وتع: محمد ناصر،إبراهيم بحاز،المطبوعات الجميلة،الجزائر،ص ص 97،98.

[5] محمد عيسى الحريري: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)**،دار القلم،مصر،ط3،1987، ص186.

[6] أبو صالح جنّون بن يمريان اليهراسني الوارجلاني:من شيوخ الإباضية بوارجلان،درس على يد أبي يوسف يعقوب الطرفي الذين أخد العلم عن بعض الأئمة الرستميين بتيهرت،كان له الفضل في الازدهار العلمي والحضاري الذي شهدته وارجلان،بسبب نفوذه

يد الرستميين [1]،وقال عبارته الشهيرة :« لا يستتر الجمل بالغنم..»[2]،بعدها استقروا بمدينة سدراتة[3] التاريخية الواقعة على بعد أربعة عشر كيلومتر جنوب ورقلة،والتي عرفت ازدهارا كبيرا خلال القرنيين (4-5هـ/10-11م)[4] وامتدت من قارة كريمة جنوبا إلى إفران شمالا[5].

وبخصوص تأسيسها فقد كانت محل اختلاف بين الباحتين والمهتمين بتاريخ المنطقة، فالشيخ إبراهيم أعزام،يشير إلى أن تأسيسها كان على يد الإباضية[6]،في مطلع القرن الثاني الهجري/720م ،بينما يرى البعض أن تأسيسها كان بعد سقوط تيهرت على يد الفاطميين أي سنة (296هـ/909م) كرشيد بورويبة،وعبد الرحمان الجيلالي،وعبد العزيز سالم،في حين كان للباحثة مارغريت فان برشم Marguerite Van Berchem رأي مخالف عن الآراء السابقة،حيث ترى أن الإباضية بعد هروبهم من تيهرت لم يجدوا سدراتة صحراء قاحلة،بل وجدوها منطقة عامرة يعود تاريخها إلى زمن بعيد،لكنهم ساهموا في النهوض والارتقاء بها بفضل خبرتهم،وذلك استنادا لبعض الحفريات التي قامت بها،وكان لها الفضل في التعرف على تفاصيل جديدة متعلقة بهذه المدينة الأثرية التي غمرتها الرمال، حيث أثبتت هذه الحفريات وجود مدينة يزيد طولها عن 2كيلومتر وعرضها عن 1كيلومتر مكونة من

الواسع ،ونفقته على أهل العلم بسخاء سواء على الطلبة أو الشيوخ،فصارت وارجلان وريثة تيهرت في الحركة العلمية،توفي بسدراتة، ودفن بالمقبرة التي تنسب إليه.أنظر: إبراهيم بحاز وآخرون:مرجع سابق،ص ص232،233.

[1] جودت عبد الكريم:المرجع السابق ،ص59.

[2] الدرجيني:المصدر السابق،ج1،ص 105.

[3] انظر الصور بالملحق 03 ص 154.

[4] رشيد بورويبة:**الفن الرستمي بتاهرت وسدراتة** ، مجلة الأصالة ، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1977، ع41،ص188.

[5] سليمان بومعقل وآخرون:**سدراتة**، المركزالثقافي للوثائق الصحراوية، وجمعية القصر للثقافة والإصلاح،ورقلة،2010،ص2.

[6] الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض المقاعسي المري،كان أبو بلال مرداس بن أدية التميمي من أوائل أئمة هذه الفرقة،قتل سنة 62هـ،فتزعمها عبد الله بن إباض،انتشرت في عمان والشمال الإفريقي،وقامت دولتهم الرستمية وعاصمتها تيهرت،قضى الفاطميون عليها ،وما يزال للإباضيين جماعات في ورقلة،مزاب،جبل نفوسة،جربة،ولهم صلات مع إباضيي عمان وزنجيبار.شوقي أبو خليل: **أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية** ،دار الفكر،دمشق سوريا،2009،ص10.

قرى بنيت على تلال، تضم طرق وأسوار وأبراج للمراقبة[1] وآثار لأحد المساجد ،ومقبرة الشيخ علي صالح جنون بن يمريان،وقبر أخر أئمة الدولة الرستمية الإمام يعقوب بن أفلح [2]،إضافة إلى قصر أَطلق عليه باحتي الآثار القصر ذو الأربع وثلاثين حجرة،والذي كان على نحو كبير من التصميم والإبداع والزخرفة،كما وُجد بها أيضا سلسلة من السواقي والآبار التي كانت تنقل الماء من سدراتة والرويسات نحو ورقلة وبعض الواحات الأخرى[3]،لكن هذا الازدهار الاقتصادي والعلمي الذي شهدته سدراتة، سرعان ما زال بعد تعرض هذه الأخيرة إلى حملات خارجية ساهمت في تخريبها كحصارها من طرف القوات الشيعية الفاطمية[4]التي لم تفلح في اقتحامها وانسحبت بعد فشلها[5].

وبالنظر إلى الأحداث السياسية التي عرفتها بلاد المغرب،فإن ورقلة لم تكن بمعزل عنها،لأن بعض هذه الأحداث قد وصل صداها إلى المدينة وتأثرت بها بشكل أو بآخر،كالثورة التي قادها أبي يزيد مخلد بن كيداد ضد العبيديين بعد عودته من أداء فريضة الحج سنة (310هـ/922م)[6] بسبب أعمالهم الوحشية التي قاموا بها،من تخريب وتدمير للمدن كتيهرت،وسجلماسة، والقيروان،وإرغام الناس على الكفر،حيث وصل عدد القتلى من جراء هذه الأعمال ثمانية ألف رجل[7]،وقد شجعه على إعلان ثورته التفاف المسلمين حوله على مختلف مذاهبهم من إباضية،وسنة،وشيعة وطالبوه بالقيام بهذه

[1] سليمان بومعقل وآخرون:مرجع سابق،ص 5.

[2] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص55.

[3] رشيد بورويبة : مرجع سابق،ص 189.

[4] Denys pillet : op.cit,p3.

[5] يعود سبب فشلها إلى الحيلة التي اقترحها أحد الأشخاص المحاصرين بالمنطقة والذي يعتقد انه يهودي،فقد أخبرهم بملء قصاع كبار بالزيت ثم صبها للجمال العطشى لتشرب منها ، فإذا رأتها حسبتها ماءا وانحنت لتشرب منها ،فتجدها زيتا فتقنع برؤوسها وتنفض مشافرها،لكي يتصور الجيش الفاطمي أنها مملوءة بالماء،وأن الأهالي لديهم ما يكفيهم من العدة للصمود أكثر، وبالفعل استطاع السكان النجاة بفعل هذه الحيلة ،لأنه وبعدما شاهدت القوات الفاطمية ذلك عادت أدراجها للقيروان،أنظر: الدرجيني: المصدر السابق،ج1،ص95،96.

[6] عمر بوعصبانة: مرجع سابق،ص 65.

[7] سليمان بن يوسف: مرجع سابق ،ص ص29،30.

الثورة[1]لما رأوا فيه من خير وصلاح،ودعوته للحق وللعمل بكتاب الله وسنة رسوله،رغم انه أخفى مذهبه الإباضي النكّاري[2]فقاتل الشيعة وخرّب مدنهم ووصل إلى إفريقية،وأوشك أن يقضي على خلافتهم فيها[3]فاشتد أمره بها،مما جعل أبي عبيد الله المهدي يفر إلى المهدية،ولم يبق من أتباعه في افريقية إلا القليل.[4]

وفيما يتعلق بموقف سكان ورقلة فقد كان مساندا لهذه الثورة،لاسيما وأنها تعرضّت للاعتداء من طرف العبيدين الذين أفرطوا في تخريبها وقطع نخيلها،فكانت أراضيها ملجأً حصينا لأبي يزيد بعد خروجه من السجن،فاحتمى بها ومكث فيها مدة سنة يتنقل بينها وبين جبال الأوراس،إلا أن موقف الإباضية الوهبية قد تغير من أبي يزيد،حيث انصرفوا عنه بعد قيامه بأعمال شنيعة من قتل وتخريب واستباحة للأعراض[5]وبذلك أصبح وحده رفقة النكّار في مواجهة إسماعيل المنصور الذي خرج في قتاله،واستطاع إخراجه من افريقية،واللحاق به إلى بسكرة،وظلّ يطارده بإرسال وفود إلى مناطق وقبائل مختلفة لحشد الجموع من أجل القضاء عليه،فنجح في الأخير بمحاصرته في جبل كيانة (قلعة بني حماد) وجرت حروب شديدة ومتواصلة بين الطرفين،أُسر فيها أبي يزيد وهو مثقل بالجراح،فأمر المنصور بمداواته والإحسان إليه،لكنه لم يصمد بسبب جراحه وتوفي على إثرها،وبذلك انطَوت صفحة هذه الثورة التي قادها أبي يزيد بعدما أرهقت الدولة وكلفتها أموالا طائلة[6].

---

[1] سليمان بن يوسف: مرجع سابق ،ص56.

[2] **النكارية**:لقب للخوارج في الأندلس والمغرب ،أسسها في أواخر القرن الثاني للهجرة يزيد بن فندين،أهم مراكزهم في هوارة جنوب تونس في منطقة عرفت بكدية النكار،ويطلق عليهم أيضا النجوية وذلك لأنهم أكثروا الاجتماع والنجوى،وتسميتهم بالنكار لإنكارهم إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم انظر:شوقي أبوخليل:أطلس الفرق..،مرجع سابق،ص ص 350،351.تادايوش ليفيتسكي:**دراسات شمال إفريقيا**،تر:أحمدبومزقو،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،ليبيا،2005،ج1،ص41.

[3] عز الدين عمر موسى: **دراسات إسلامية غرب افريقية** ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط2 ،2003 ،ص58.

[4] ابن عذارى المراكشي :مصدر السابق،ج1،ص ص 217،218.

[5] سليمان بوعصبانة:المرجع السابق،ص ص 65،66.

[6] مبارك الميلي:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ج2، ص ص 146،148.

لكن بعد عشرين سنة من انتهاء ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد،شارك أهل ورقلة في ثورة أخرى قام بها أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني (358هـ/968م)،التي يعود سببها إلى الخطر الذي أصبح يشكله الوسياني على المعز لدين الله الفاطمي،بعدما وصل للمعز أن الوسياني يريد الثورة عليه،خاصة بعد إعلان قبيلة مزاتة ولائها للوسياني باثني عشر ألف فارس[1]فما كان من المعز لدين الله لصد هذه الثورة المرتقبة إلا مطالبة والي الحامة بقتل أبي القاسم،لكن والي الحامة لم يشأ قتله،ولمَّح له بالذهاب إلى الحج،أو ورقلة،لكنّه لم يفهم تلميحه،فوقع قتيلا على يد العبيدين،وبمقتله ثار صديقة أبي خزر على العبيدين،بعدما طلب المساندة من إباضية طرابلس وجربة ووورقلة وبني أمية بالأندلس،لكن لأسباب متعددة حالت دون استجابتهم لطلبه في المشاركة في ثورته،ماعدا سكان ورقلة الذين خرجوا في قوة كبيرة لدعمه،لكنه بدأ الحرب دون انتظار إمداداتهم معتمدا على قبيلة مزاتة فقط،واستطاع في البداية محاصرة باغاي وقتل واليَها،لكن سرعان ما انقلبت الكفة لصالح القوات العبيدية التي هزمت أبي خزر وقضّت على قوته،وأمام أنباء مقتله وفشل ثورته،عادت قوة ريغ وورقلة أدراجها.[2]

وبعد ظهور الخلافة الفاطمية بمصر،انسحبت جيوشها من الجزائر سنة(358هـ/969م)،باتجاه مصر لجعلها عاصمة لدولتهم،بعدما كافأ أميرها المعز لدين الله قبيلة صنهاجة الموالية له بتعيين أميرها بلكين بن زيري[3]حاكما على المغرب سنة(361هـ/972م)،وبذلك شرع بلكين في سياسته التوسعية حتى بلغ مدينة فاس المغربية،لكنه توفي قبل أن يكمل توسعه سنة (373هـ/984م)، فخلفه ابنه المنصور الذي صار على خطاه،وبلغت الدولة الزيرية في عهده أوجها،لكن بوفاته بدأت المشاكل

[1] إلياس بن عمر حاج عيسى:مرجع سابق،ص41.

[2] سليمان بوعصبانة: مرجع سابق،ص ص 69.68.

[3] بلكين بن زيري بن مناد مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس،في البداية كان من قُواد المعز لدين الله الفاطمي،وهو الذي أنشأ مدن الجزائر وملیانة والمدية،وبعد مقتل أبيه سنة 360هـ،نهض من أشير إلى زناتة وأخضعها ،وعند انتقال المعز لدين الله إلى مصر سنة 361هـ،استخلفه على إفريقية والمغرب وسماه يوسف بدلا من بلكين،ولقبه بسيف الدولة انظر:عادل نويهض:**معجم أعلام الجزائر،من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،مؤسسة نويهض للنشر،لبنان،ط2،1980،ص 45. أبو عمران الشيخ وآخرون:**معجم مشاهير المغاربة**،منشورات دحلب،الجزائر،2007،ص ص71،72.

تواجه دولته [1]خاصة بعد قيام زعماء صنهاجة بالمغرب الأوسط بالاتفاق مع الأمير حماد على تأسيس دولة مستقلة عن الدولة الزيرية،فتّم إنشاء عاصمة جديدة هي بجاية[2]سنة(405هـ/1014م)،وصارت موالية للدولة العباسية بدل الدولة الفاطمية التي فقدت منطقة كانت موالية لها لعدة أعوام،فما كان منها إلا الرد على هذا الانشقاق بإرسال القبائل الهلالية إلى المنطقة مكونة من أربعمائة ألف شخص سنة (442هـ/1051م)[3]،بعدما رغَّبتهم بأرض المغرب،وأغرتهم بالمال والأنعام،فبدؤوا هجرتهم الشهيرة،ووصلوا الجزائر ودخلوها من الساحل والهضاب والصحراء التي كانت خاضعة للدولة الحمادية[4] فلم يكن للقبائل الزناتية أمام هذا الانتشار الهلالي الواسع في منطقة الصحراء إلا الفرار باتجاه وادي ريغ وورقلة[5].

ما تجدر الإشارة إليه أن القبائل الزناتية صارت فيما بعد حليفة للقبائل العربية الهلالية،وتم الاختلاط معا والذوبان التدريجي بينهما[6]وهو ما أزعج المنصور بن الناصر بن علناس،الذي قام بتوجيه غارتين على القبائل الزناتية المتحالفة مع القبائل الهلالية،الأولى ضد قبيلتي غمرت ومغراوة لتحالفهما مع الاثبج،وصل بها إلى ورقلة،وعيَّن واليا جديدا عليها،ثم عاد منها محملا بالغنائم والسبي،أما الغارة الثانية فكانت موجهة ضد قبيلة بني توجين لتحالفها مع قبيلة بني عدي الهلالية،انتهت بانتصار المنصور وإلقائه القبض على مناد بن عبد الله أمير قبيلة بني توجين وأخيه زيري وعميهما وثلاثة من

[1] عمار بوحوش:المرجع السابق،ص ص 36،37.

[2] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مرجع سابق ،ص58.

[3] عمار بوحوش:المرجع السابق،ص ص 37،38.

[4] مبارك الميلي: المرجع السابق،ج2، ص ص 182،183.

[5]J. Lethielleux :op.cit,p105.

[6]Denys Pillet:op.cit,p5.

أمراء قبيلة عدي وقتلهم[1]بعد دخوله المدينة بدون مقاومة تذكر،ولم يكتف بذلك بل قام بتدمير قصورها وقطع نخيلها وردم آبارها ولحق حينها الخراب لمدينة سدراتة[2].

أما بعد قيام الدولة الموحدية وتوحيدها لبلاد المغرب للمرة الأولى في تاريخه[3]شرعت في إرسال الوفود إلى مختلف مناطق ومدن المغرب طلبا لانضمامهم وموالاتهم لها،من بينها ورقلة،التي وصلها أول داع من دعاتهم يدعى العيتروسي،طالبا من أهلها إجابة الدعوة،فتشاوروا فيما بينهم واستقر رأي أغلبيتهم على قتله ومن معه حتى لا يصلوا إليهم مخافة خراب هذا البلد على يد حاكمهم، لكن علمائهم كان لهم رأي مخالف،حيث قرروا استشارة الفقيه أبي يعقوب يوسف ابن إبراهيم في الأمر، فطالبهم بالاستجابة لدعوتهم و بأنهم سيلقون في بلادهم إحسانا أكثر من بلدهم وعزا وإقبالا وبأنهم لن يخرّبوا لهم بلدهم كما يعتقدون [4].

وبعد هذه الأحداث ظهرت ببلاد المغرب شخصية كان لها تأثير كبير على بلاد المغرب عامة وورقلة خاصة ،تتمثل في يحي بن إسحاق الميورقي والمعروف بابن غانية ،الذي تعود أصوله إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية ،وتسمية ابن غانية نسبة لأمه،وهي تسميات كانت متداولة ومعروفة عند المرابطين وعُرف عن هذه الفئة التزامهم بمنهج السنة،وولائهم للدولة العباسية في المشرق،حيث اتخذوا ألويتهم السوداء كشعار لهم،و قاموا في البداية بمهادنة الدولة الموحدية بصفة مؤقتة،لكن بعد موت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن واضطراب الدولة الموحدية آنذاك استغلوا هذه الفرصة وأعلنوا تمردهم عليها وعصيانهم لها[5]حيث استطاع الميورقي رفقة أتباعه الزحف على الدولة الموحدية محققا بذلك انتصارات

[1] رشيد بورويبة:**الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1977،ص ص 72،73.

[2] Le gouverneur général d'Alger :**Notes pour servir a l'histoire de Ouargla** ,R.A, n64,1923,p383.

[3] يمينة ابن صغير حاضري: **قصري تقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب (9-13هـ/15-19م)**، دراسة تاريخية أثرية،إشراف: علي حملاوي ،جامعة الجزائر،(قسم الآثار)،2001-2000 ،ص 31.

[4] الدرجيني:المصدر سابق،ج2،ص493.

[5] محمد علي الصلابي: دولة الموحدين...،مرجع سابق،ص ص 167،168.

كبيرة لغاية سنة 1227م[1]،بعدما دعمته القبائل الهلالية والسلمية[2]وجنود الغزو المملوكي،وأمام هذه الانتصارات كان موقف الدولة الموحدية بإرسال الجيوش والحملات للقضاء عليهم،وأنفقت لتحقيق ذلك أموال باهظة حققت لها الانتصار في بعض المعارك،وفقدت فيها الآلاف من جنودها لكنها لم تقض على بني غانية تماما،وذلك لأنهم كانوا يفرون إلى الصحراء إذا اشتد بهم الحال[3]،خاصة مدينة ورقلة التي اتخذها الميورقي منطقة تمركز عسكرية له ولأتباعه[4] والتي هدَّم قصورها وقطع نخيلها وردم آبارها وحطّم عيونها منها عين الصفا الموجودة بسدراتة وعين القبائل بيفرن اللّذان حطمهما في ظرف ثلاثين يوما،وهو ما دفع بالعديد من سكانها للهرب باتجاه وادي ميزاب طلبا للسلامة[5]وتعود أسباب أعماله التخريبية تلك إلى رغبته في الانتقام من سكانها الذين لم يساندوه ضد للسلطان الحفصي لكن بوفاته في نفس السنة أي 1233م[6]استعادت المدينة نشاطها وحيويتها فتَّم بناؤها من جديد،وأصبحت من أنشط المدن الصحراوية تجارة خاصة مع بلاد السودان [7].

لكن بدخول الدولة الموحدية مرحلة الضعف والانحطاط بدأت بعض الأقاليم في الانفصال عنها،من بينها ولاية افريقية التي كانت أول من انفصل عنها،حيث ظهرت على الساحة في(1229-1536م)،وشرعت في الحصول على الولاء من عدة مناطق من بينها منطقة الزاب،التي عيَّنت عليها الفضل بن علي بن مزني بعدما نزعت الإمارة من بني رمان ومنحتها له[8] لكن بمقتله خلفه على الإمارة

[1] مديني بشير: المرجع السابق،ص 120.

[2] عز الدين عمر أحمد موسى:**دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**،دار الشروق،مصر،ط1،1983،ص101.

[3] محمد علي الصلابي: مرجع سابق،ص 169.

[4] مديني بشير:مرجع سابق،ص120.

[5] إبراهيم أعزام :المرجع السابق،ص ص 131،132.

[6] Denys pillet:op.cit,p p6,9.

[7] مديني بشير:المرجع السابق،ص120.

[8] يمينة بن الصغير حاضري:المرجع السابق،ص 32.

ابنه المنصور (693هـ/1294م) الذي شهد عهده عدة حملات توسعية طالت المناطق المجاورة ووصلت لورقلة[1]،التي وجه إليها حملة لكنه وجدها في غاية التحصين،أسوارها مغلقة وجنودها على أهبة الاستعداد لصد أي هجوم محتمل،ففشل المنصور في اقتحامها لكنه توجه للمناطق المجاورة لها وقام بتخريبها من بينها قصر القبايل[2].

ولأن الدولة الموحدية لم تستطع القضاء على بني غانية وأتباعهم نهائيا فإنهم شكلوا خطرا وتهديدا للإمارة الحفصية بتونس بعدها،خصوصا بعدما تمكن أميرها أبو زكرياء بن عبد الواحد من بسط نفوذه على مناطق شاسعة من المغرب الأوسط كبجاية وقسنطينة[3] فقد كان يرى فيهم تهديدا له لذلك عمل على القضاء عليهم بنفسه[4]ووصل إلى ورقلة،فهناك بعض المصادر تشير إلى أن السلطان الحفصي عندما حل بورقلة أعجب بقصرها ومسجدها العتيق ومئذنته المرتفعة فكتب عليها اسمه وتاريخ صنعه نقشا بالحجارة وكان ذلك عام(1228-1229م)[5].

لكن باستيلاء السلطان المريني على تونس،أصبحت ورقلة تدفع الضريبة إلى السلطان المغربي،وأمام الاضطرابات التي شهدتها الدولة الحفصية بتونس،أخذ أعيان المنطقة بزمام الأمور،وقاموا باختيار سلطان من عائلة بني أبي غابول الإباضية لحكمهم،الذي انتهى بعد استيلاء سلطان تقرت على ورقلة سنة (781- 782هـ/1381-1382م)،وبحلول سنة 1481م قبل مولاي موسى الفيلالي العرض الموجه له لتولي الحكم بورقلة،وبذلك بدأ عهد السلاطين الفيلاليين[6]،الذي شهدت

[1] Alain Romey : **Histoire toponymie et tradition orale d'une oasis arabo-berbere** :**Ngoussa**,1974,p66.

[2].J. Lethielleux :op.cit,p133.

[3] محمد علي الصلابي:المرجع السابق،ص355.

[4] ابن خلدون:المصدر السابق،ج6،ص337.

[5] إلياس بن عمر حاج عيسى:المرجع السابق،ص 46.

[6]Denys pillet :op.cit.p p 6,7.

فيه المدينة نشاطا تجاريا و رخاءا اقتصاديا كبيرا[1]لكن هذه الأوضاع الجيدة لم تدم طويلا فبمجرد وفاته عمت الفوضى بالمنطقة وكثرت النزاعات بين أبنائه حول من يخلفه في الحكم،وبقيت ورقلة بعده بدون سلطان،إلى غاية مطلع القرن السابع عشر ميلادي،أين تم تعيين مولاي علاهم ذو النسب الشريف من أصول مغربية حاكما للمدينة، في حكم المدينة الذي دام لمدة طويلة تجاوزت القرنين من الزمن،وتميزت بكثرة الخلافات،خاصة فترة القرن الثامن عشر ميلادي،سواء بين العروش المتواجدة بالمدينة أو بين الرحل[2].

أما فيما يتعلق بالعهد العثماني في الجزائر، فورقلة لم تعرف حكما عثمانيا واضحا،ماعدا تلك الحملات التي سعت لأخذ الجباية[3] كحملة صالح رايس سنة **1552**م،الذي وصل للجزائر في وقت كان أمراء تقرت وورقلة يعتقدون أنهم أحرار غير خاضعين للحكم التركي فرفضوا دفع ضريبة الاعتراف بها[4]واعتقدوا أن صالح باشا لن يغامر بجيوشه للوصول إلى منطقة صحراوية يجهلها تماما،لكن الواقع كان عكس ما يتوقعون فقد جهَّز هذا الأخير حملة عسكرية ضمَّت ثلاثة ألاف جندي مسلح بالبنادق وألف خيال وثمانية ألاف شخص من البربر توجه بها نحو تقرت أولا واستطاع الاستيلاء عليها بعد حصار دام أربعة أيام، ثم توجه بعدها نحو ورقلة ودخلها بدون مقاومة،وأوقع بأهاليها عقوبات صارمة[5]،لأنه عندما وصلها لم يجد بها إلا بعض التجار الأغنياء من بلاد السودان[6] فأخذ منهم 200

---

[1] أحمد ذكار:المرجع السابق،ص40.

[2] Denys pillet :op.cit, p p 7,8.

[3] مديني بشير:المرجع السابق ،ص 120.

[4] عثمان حساني:**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**،مذكرة ماجستير،إشراف: بن يوسف تلمساني،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2006-2007، ص ص 53،54.

[5] عزيز ألتر سامح:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،تر:محمود علي عامر،دار النهضة العربية،لبنان،ط1،1989،ص185.

[6] بلاد السودان: يعتبر العرب أول من أطلق تسمية السودان على الأقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى ،وهي تسمية مستوحاة من لون بشرة سكان تلك المنطقة وهي المنطقة المحصورة مابين البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ومن الصحراء الكبرى شمالا إلى خط عرض 10جنوبا،ويضم السودان الغربي:يشمل حوض نهر السنغال ،والمناطق المحيطة به وغامبيا ،وفولتا العليا والنيجر الأوسط(نيجيريا). أنظر: الهادي المبروك الدالي،**التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء**

ألف ريا ل،واضطر للمكوث فيها عشرة أيام في انتظار حاكمها الذي فضَّل الانسحاب على العودة إليها،مما جعل صالح رايس يعود إلى مدينة الجزائر، بعد أن وجَّه رسالة لحاكمها يطالبه فيها بالعودة إلى المدينة،مع ضمان أمنه مقابل تقديمه ضريبة سنوية لديوان الجزائر،لا تقل عن 30 عبداً من رقيق السودان[1] ،وبذلك أصبحت ورقلة تقدم الضرائب السنوية المقدرة بـ 30 عبداً إلى باي قسنطينة،ثم خففت فيما بعد إلى 25 عبداً ما بين ما بين (1649-1650م)[2]بعد الحملة التي وجهها يوسف باشا نحو المنطقة سنة(1059هـ/1649م) بسبب تمردها عن دفع الضريبة [3].

ومن مظاهر النفوذ العثماني بورقلة هجرة أهالي المنطقة إلى التل بعدما ربطتهم بحكام الأيالة الجزائرية علاقات حسنة،قائمة على التبادل التجاري فكانت قوافلها تتوجه لصرف منتجاتها المتنوعة كالجلود والتمور،مقابل الحصول على حاجياتها من الحبوب والمواد الاستهلاكية الغير متوفرة في الصحراء،إضافة لوجود بعض القبائل المحلية بورقلة ضمن قبائل المخزن[4]،كقبيلة سعيد عتبة[5]التي جسّدت ولاء المدينة للحكومة العثمانية بالجزائر.

لكن في النصف الثاني للقرن التاسع عشر ميلادي تعرضت الجزائر للاحتلال العسكري الفرنسي المباشر الذي سعى للسيطرة على ثروات البلاد ومنافذها الإستراتيجية خاصة المناطق الواقعة على خط سير القوافل التجارية المتجهة نحو السودان الغربي على وجه الخصوص،للأهمية الاقتصادية الكبيرة لهذه المنطقة،وبما أن ورقلة كانت محطة تجارية هامة فإنها كانت من بين أولويات الاستعمار

الصحراء من نهاية القرن15الى بداية القرن18م،الدار المصرية اللبنانية ،مصر،ط1، 1999،ص ص11،17. عبد القادر زبادية:**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989 ،ص11. و: يحي بوعزيز:**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن16إلى نهاية القرن18**،عالم المعرفة للنشر،الجزائر،2009،ص8.

[1] ناصر الدين سعيدوني: **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط1، 2000م ، ص 526.

[2] Denys pillet :op.cit,p p 7,8.

[3] أحمد ذكار:المرجع السابق ،ص 49.

[4] قبائل المخزن:قبائل لها دور الوسيط بين السلطة والأهالي وتحظى بامتياز مقابل ذلك ،كإعفائها من الضرائب.

[5] ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق، ص ص527،528.

الفرنسي الذي شرع في إرسال الجواسيس والمستكشفين لإعداد تقارير ميدانية عن هذه المنطقة الهامة،تحضيرا لاحتلالها وجعلها كقاعدة للتوغل في أعماق إفريقيا وهذا ما سيأتي ذكره بشيء من التفصيل في بقية الفصول.

وبالاطلاع على أهم الأحداث التاريخية التي شهدتها ورقلة منذ القدم إلى غاية مطلع القرن التاسع عشر ميلادي نلاحظ مدى تأثير هذه الأحداث على مجريات الحياة بورقلة، وكيف ساهمت في تغيير أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية،فبالإضافة إلى هذه الأحداث هناك بعض العوامل التي ساهمت في نشأة وتطور المدينة عبر العصور لعل من أهمها:

- **الموقع الجغرافي:**

تحتل مدينة ورقلة موقعا استراتيجيا هاما،بحكم وقوعها على مشارف الصحراء الكبرى،في منطقة الجنوب الشرقي للجزائر التي تندرج ضمن المنخفضات الصحراوية الآهلة بالواحات،والغنية بالمياه الجوفية،التي تعتبر حسب الدراسات الجيولوجية الحديثة من أغنى المناطق الجزائرية بالثروة المائية الباطنية[1].

كما أن إشرافها على مساحة مترامية الأطراف تقدر ب163.233كم^2، جعل منها منطقة حيوية،لها العديد من الأدوار الهامة على أكثر من صعيد،فقد كانت واحدة من أهم الحواضر الصحراوية بالمغرب الأوسط،خاصة وأنها تقع على مسار الطريق الواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان،فقد شكَّلت همزة وصل بين المنطقتين على مدى العصور[3]وتكمن أهميتها في كون الطريق المار بها من أقصر الطرق المؤدية إلى السودان الغربي[4]لوقوعها عند مفترق الطرق بين الشرق والغرب،الشمال

---

[1] الطيب بوسعد: **الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ أنموذجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات،جامعة غرداية،2011،ع15، ص 431.

[2] M.R.Brigol:op.cit,p16.

[3] عمار غرايسة: **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان أنموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية،2011، ع15،ص ص 413،414.

[4] جميلة بن موسى :**تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م**،منشورات بلوتو،قسنطينة الجزائر،ط1،2011،ص ص 230،231.

والجنوب مما جعلها مقصدا للقوافل القادمة من تلمسان وسجلماسة،توات،بلاد الجريد،غرداية،غانة ،تنبكتو[1]،غات وغدامس[2]،كما كانت إحدى أهم المحطات التي تقف وتمر عبرها قوافل الحجيج القادمة من المغرب،وقد أكّد ذلك الرحالة المغربي العياشي الذي مرَّ بها وقدم لنا معلومات هامة عن أوضاعها الاقتصادية والثقافية أثناء تواجده بها خلال القرن السادس عشر في كتابه ماء الموائد[3].

إن هذا الموقع الذي حظيت به ورقلة كان عاملا هاما مساهما في قوتها الاقتصادية،وتطورها فمرور القوافل التجارية أو قوافل الحجيج بها قد شكّل لها ثروة وازدهارا اقتصاديا لا مثيل له فسميت بملكة الصحراء[4]وواحة السلاطين[5].

- **الهجرات المتوالية عليها:**

لاشك أن موقع ورقلة البعيد عن المنطقة التلية والساحلية كان له الأثر في تنوع تركيبتها البشرية،ذلك أنها شكلت ملجأً للمهاجرين،وأماناً لبعض الجماعات والأفراد الفارين من غضب السلطة بالشمال من بينها العائلات الإباضية التي نزحت من تيهرت بعد تخريب دولتهم على يد الفاطميين[6]،وقبلهم هاجَر العديد من البربر من الشمال هرباً من الاضطهاد الروماني،بعدما سُلبوا أراضيهم وعانوا من الحرمان والتسلط[7]واستغلال إمكانياتهم الاقتصادية والبشرية لخدمة روما[8] ثم تلتها بعد ذلك الهجرات العربية نحو بلاد المغرب ومناطقه من بينها ورقلة التي عرفت توافد العديد من القبائل الهلالية والسلمية نحو من بينها قبائل الشعانبة ،المخادمة،سعيد عتبة وغيرها[9].

---

[1] إسماعيل العربي: **الصحراء الكبرى وشواطئها** ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983،ص 159.

[2] محمد سعيد القشاط:**صحراء العرب الكبرى**،دار الرواد،ليبيا،ط1،1994 ،ص 30.

[3] العياشي:المصدر السابق،ص114.

[4] V.largeau: le sahara Algerien,op.cit, p251.

[5] مولاي بلحميسي:**ورقلة من خلال النصوص الأجنبية**،مجلة الأصالة ،دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1977،ع41،ص 207.

[6] عبد الحميد زوزو:محطات في تاريخ الجزائر،مرجع سابق،ص 83.

[7] محمد الصغير غانم:مقالات...،مرجع سابق ،ص242.

[8] صالح فركوس:**المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814م.1962م)**،دار العلوم للنشر ،الجزائر،2003،ص23.

[9] عبد الله السائح:المرجع السابق،ص ص 69،70.

إن هذه الفئات السكانية المتوافدة على ورقلة،والمختلفة من حيت التركيبة العرقية،قد ساهمت بشكل أو بأخر في نشأة وتطور المدينة عبر العصور،كما ساهمت كذلك في التنوع الثقافي الموجود بالمدينة،فالبربر الذين نزحوا للمدينة خوفا من الاضطهاد الروماني يعود لهم الفضل في تأسيس وبناء ورقلة، فالمصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ المدينة تتفق جميعها على أن قبيلة بني وركلا الزناتية البربرية قامت بتأسيس المدينة وتعميرها[1]ثم هجرة الإباضية من تيهرت نحو ورقلة كانت هي الأخرى نقطة تحول بالنسبة للمنطقة،فقد وصل إلى ورقلة من بقايا الرستميين الفقهاء والعلماء والمفكرين،وساهموا بشكل كبير في إثراء المنطقة بمنجزاتهم العلمية والثقافية القيمة[2]،ومن بين المشايخ الذين كان لهم دور كبير بالمنطقة نجد الشيخ عاصم السدراتي،الإمام يعقوب بن افلح،الشيخ أبويعقوب يوسف بن محمد التناوتي،والشيخ أبو عمار عبدالكافي بن أبي يعقوب وغيرهم من المشايخ،كما أن استقرار الإباضية في ورقلة قد صاحبة سلسلة من الانجازات الحضارية كبناء سدراتة المدينة التي أبهرت علماء الآثار من خلال روعة الفن المعماري المعمولة به،فبنزوحهم إليها أسسوا فيها حضارة عظيمة،وبَنو منشآت ضخمة وقصورا بديعة محاطة بالبساتين،ومنازل في غاية الإتقان،ذات نقوش مزخرفة وأشكال هندسية بديعة،مزينة بالخط الكوفي[3]،وأقواس مزخرفة بعناصر نباتية[4]ثم قاموا بتأسيس نظام الحلَقة وهو نظام قيّم،يجمع بين النظام التعليمي والنظام الديني الذي يشرف على مناحي الحياة اليومية للمسلمين،ويعود تأسيسه[5]لأبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي[6] الذي قدم إلى ورقلة من فرسطاء،حيث كان هذا النظام مكَونا من إثنا عشر عضوا مهمتهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراقبة الأسواق،وضمان السير الأمثل والحسن للحياة الاقتصادية والاجتماعية

[1]L.Gognalons : op.cit,p87.voir aussi M.R.Brigol :op.cit,p12.

[2]عبد الله السائح:المرجع السابق،ص 101.

[3] إحسان عباس:**مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد**،مجلة الأصالة ،دار البعث،قسنطينة،الجزائر،1977،ع41،ص ص 47،46.

[4] رشيد بورويبة: الفن الرستمي... ، مرجع سابق،ص191.

[5] عمر بوعصبانة:المرجع السابق،ص 108.

[6] محمد بن بكر بن أبي بكر بن يوسف الفرسطائي النفوسي:(و:345هـ/956م-ت440هـ/1049م)بمدينة فرسطاء بجبل نفوسة بليبيا،يعّد من أعلام الإباضية ببلاد المغرب،تنقل بين جربة،القيروان والحامة من أجل الاستزادة في العلم،عُرف بتأسيسه لنظام الحلقة أو ما كان يعرف بالعزابة،الذي كان من أعظم النظم الاجتماعية .أنظر:إبراهيم بحاز وآخرون:مرجع سابق،ج4،ص ص 772،773.

والثقافية بتقديم خدمات اجتماعية ودينية مرتبطة بالمساجد،[1]وقد كان يعرف أيضا باسم حلقة العزابة،وقد أشار الدرجيني إلى أن تأسيسه وترتيب قوانينه يعود لأبي عبد الله الفرسطائي[2]،وتميّز نظام الحلقة بوجود ثلاثة أطوار للتعليم:

الطور الأول:الذي يتم فيه تلقين وتخزين المعلومات في الذاكرة وفي مقدمتها تحفيظ القرآن الكريم.

الطور الثاني:يتعلق بدراسة اللغة العربية لدرجة التمكن،حتى يتسنى لهم فهم النصوص واستنباط الأحكام.

الطور الثالث:وهو طور البحث والتفقه في العلوم الشرعية،ليصبح صاحبها قادرا على العطاء إما عن طريق التأليف أو الإفتاء لعامة الناس،أو الجلوس إلى الحلقات.[3]

وكغيرها من المؤسسات التعليمية كان نظام الحلقة يخضع لشروط معينة من بينها: أن يكون أديبا كيساً،حافظاً للقرآن، مشمّراً في طلب العلم، لا يُكثر من دخول الأسواق والقعود في الجماعات التقهقه بين الناس،وأن يكون ممن يُحتاج إليه في بعض المواضع فيلتزمها[4]،وبذلك شهدت المنطقة بفضل هذا النظام نهضة علمية كبيرة،وصارت بمثابة جامعة تشد إليها الرحال لنيل العلم و المعرفة.[5]

كما أن العنصر العربي بالمنطقة هو الأخر كان له دور هام بالنسبة لورقلة خصوصا قبيلة الشعانبة التي كانت تسيطر على أجزاء واسعة من الصحراء،وتسيطر سيطرة كاملة على تجارة القوافل التي تجري بين شواطئ الجزائر وتمبكتو والبلاد الواقعة على نهر النيجر،والمناطق الغربية للصحراء ،حيث كانت تسير القوافل التجارية المتجهة نحو بلاد السودان،وتوفر لها الحماية مقابل ضريبة تدفعها هذه القوافل

---

[1] موسى لقبال: **الحسبة المذهبية ببلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر،ط1،1971، ص ص87،88.

[2] الدرجيني: المصدر السابق،ج1،ص167.

[3] عمر بوعصبانة:المرجع السابق،ص 121.

[4] سامية مقري:**التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة ((296-409هـ/909-1018م)**،مذكرة ماجستير،إشراف:بوبة مجاني،جامعة منتوري قسنطينة،(قسم التاريخ والأثار)،2006-2005،ص ص 66،67.

[5] أحمد ذكار:المرجع السابق،ص29.

،خاصة وأن الشعانبة كانوا على دراية كبيرة بالمسالك الصحراوية[1]،وانتشارهم كان واسعا في الصحراء بحيث شكلوا كونفدرالية عريضة بها.[2]

– الموارد الطبيعية المتنوعة:

مدينة ورقلة مدينة «ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات»[3]،بهذا الوصف أشار إليها ياقوت الحموي في معجمه ،للدلالة على الثروات الطبيعية والنعم التي حباها الله تعالى للمدينة،لأن هذا التنوع والوفرة في الثروات الطبيعية قد كان من أهم العوامل المساعدة على استقرار السكان،وتطور الإعمار بها، رغم خصائصها المناخية القاسية،وتأتي في مقدمة هذه الموارد الثروة المائية المعتبرة التي تتواجد فيها بكثرة، من عيون جارية وآبار ارتوازية حقيقية تم حفرها من طرف السكان بوسائل عملية عادية،ثم قاموا بتغطيتها من الداخل بأخشاب النخيل[4]بالإضافة إلى امتلاكها لأودية متعددة كواد النسا،واد مية[5]واد إيغرغر[6]إضافة إلى التمور التي كانت تُنتج بكميات كبيرة ،لكون زراعة النخيل الزراعة الأكثر انتشارا بها،بحيث وصلت إلى 535000 نخلة منتجة و150000نخلة في طريق الإنتاج خلال القرن العشرين[7]خاصة وأن اقتصادها معتمد بالدرجة الأولى على إنتاج التمور[8] ومن الملفت للانتباه أن هذه التمور فيما سبق كانت ذات شهرة كبيرة جدا بتنبكتو لجودتها،حيث كانت تباع في الكثير من

[1] إسماعيل العربي:المرجع السابق،ص 167.

[2] A.Cauneille :**Les Chaanba leur nomadisme**.Paris,1968, p p 22,23.

[3] ياقوت الحموي: المصدر السابق،ج5،ص371.

[4] Mauroy:**Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale**,Paris,1845, p p152,153.

[5] ورقلة سلطانة الواحات:المرجع السابق،ص11.

[6] E.F.Gautier:**Le Sahara**,Paris,1928,p 94.

[7] إسماعيل العربي:المرجع السابق،ص 160.

[8] عبد الحميد زوزو:المرجع السابق،ص 84.

الأحيان بطريقة العد (عشرة أو أربعة عشر)بدلا من الوزن[1]، كما وجدت بها زراعات أخرى متنوعة كزراعة الخضر والبقول والحبوب [2].

وبالإضافة للزراعات المتنوعة المنتشرة بها ،كانت ورقلة تمتلك موردا طبيعيا آخر لا يقل أهمية عن سابقيه ،ويشمل الملح الذّي وجد فيها بكميات معتبرة،فكان يجري استخدامه في الطعام للاستهلاك المحلي،ويوجه ما تبقى منه كبضاعة لمقايضتها بسلع أخرى مع مناطق السودان الغربي،لكونه يمثّل مادة أساسية من ضمن أكثر المواد طلبا في الأسواق الإفريقية[3] أو يوجّه لبيعه في أسواق غرداية.[4]

– النشاط التجاري المتنوع:

تعد مدينة ورقلة من أهم المراكز التجارية بالصحراء التي اكتسبت شهرة كبيرة بفعل نشاطها التجاري الواسع،ودورها الريادي في قيادة القوافل المتجهة لبلاد السودان منذ فترات قديمة[5]فقد كانت واحدة من أهم المناطق التي تُمون المغرب الأوسط ببضائع السودان الغربي المتنوعة،حيث كانت مستودعا ضخما للعبيد الذين يتم توجيههم نحو بقية المناطق،وقد أكد ذلك ابن سعيد المغربي في قوله: «.. وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط.»[6]كما كانت تزوّد أيضا بلاد السودان بالسلع والبضائع التي لم تكن لديها،وقد أشار إلى نشاطها التجاري مع بلاد السودان الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في قوله:« وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلب إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم أهل وارقلان»[7]،ولم يقتصر دورها

---

[1] عبد القادر زبادية: **ورقلة عروس مدائن الجنوب**،مجلة الأصالة، دار البعث للنشر،قسنطينة،الجزائر، 1977، ع41،ص 145.

[2] M.R.Brigol:op.cit,pp229,230.

[3] رابح رمضان: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي**،مقال ضمن الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 13-12هـ/19-18م من خلال المصادر المحلية،جامعة الوادي ،يومي:24.25جانفي 2012،ص203.

[4] إبراهيم أعزام:المرجع السابق،ص 224.

[5] التواتي بومهلة:المرجع السابق،ص 299.

[6] ابن سعيد المغربي: المصدر السابق،ص126.

[7] الشريف الإدريسي: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994،ص 20.

في نقل منتجاتها إلى السودان الغربي فحسب ،بل كانت في بعض الأحيان تمثل دور الوسيط في العملية التجارية من خلال نقلها لسلع الشمال نحو بلاد السودان وبالمقابل جلب السلع السودانية وبيعها في الأسواق الشمالية،ومن جملة ما كانت تصدر نجد التمور،الأقمشة الصوفية،البنادق،السيوف بينما تستورد العبيد،العاج،التبر وغيرها من المنتجات الأخرى[1]،فهذه الثروة التي حظيَت بها ورقلة على مر العصور كان مصدرها الأساسي النشاط التجاري الذي تمارسه وتجارة العبور التي تمر عبر أراضيها[2] حيث كان لهذا النشاط التجاري الفضل في الرخاء الاقتصادي والتطور الحاصل بها،والذي سجله الرحالة والمؤرخين في كتاباتهم عنها[3]،كما كان للتجارة الفضل في تمصيرها،وفي بت أنماط حضرية بها[4]فقد كانت أسواقها محل جدب للعديد من القبائل القادمة من جهات مختلفة كقبائل الشعانبة وجبال عمور التي تقصدها لعرض سلعها مقابل ضريبة تدفعها تختلف قيمتها حسب نوعية وأهمية البضاعة المعروضة تعرف بحق السوق[5]،فهذه التجارة قد شكلت على ما يبدوا مصدر دخل للعديد من أهالي المنطقة لذلك وجد بها وكلاء وأدلاء وأماكن تؤوي بضائع التجار وحظائر لجمالهم، فنشأت لدى السكان تقاليد ثابتة في تعاملهم مع القوافل القادمة لمدينتهم حيث كانوا يستقبلونها بالترحاب،فيستفيدون منها ويعيشون من تجارتها معهم[6]،كما عرف عن سكانها أيضا الأدب واللباقة وحسن التعامل مع زوّارها[7].

---

[1] حساني مختار: المرجع السابق ،ص 201.

[2] إسماعيل العربي:المرجع السابق،ص 159.

[3] عبد الحميد زوزو:المرجع السابق،ص83.

[4] أحمد مولود ولد أيدة :**الصحراء الكبرى مدن وقصور**،ج1،دار المعرفة،الجزائر،2009.ص 25.

[5] يمينة بن اصغير حاضري: **الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،جامعة غرداية، ع16،ص 226.

[6] عبد القادر زبادية: المرجع السابق ،ص 28.

[7] مارمول كربخال:**إفريقيا**،تر: محمد حجي وآخرون،دار المعرفة للنشر،المغرب، 1998،ج3،ص166.

– عناية الحكام بالحياة الثقافية والاقتصادية:

تعاقب على حكم ورقلة وتسيير شؤونها العديد من الحكام والسلاطين، عُرف البعض منهم بأدواره الفاعلة في سبيل النهوض والارتقاء بها من بينهم أبو صالح جنون بن يمريان الذي كان له الفضل في ازدهار الحركة العلمية بورجلان،لِما له من النفوذ الواسع بها،فقد كرَس حياته لخدمة العلم والعلماء،وعرض على أحد العلماء أن يقاسمه ماله مقابل بقائه ومكوثه بورقلة،[1]ووفَّر الجو الأمثل للعلماء من خلال التكفل بهم وبطلبة العلم،فكانت إقامتهم عنده،ونفقتهم من ماله إلى غاية وفاته،أين تقلّص النشاط الفكري بصفة مؤقتة،ليعاد بعته من جديد بعد قدوم أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي الذي قام بتأسيس نظام الحلقة وهو النظام الذي ساهم في بعث الحركة العلمية بقوة [2].

كما أن عهد السلاطين الفلاليين،بقيادة السلطان مولاي موسى قد شهدت فيه المدينة رخاءا اقتصاديا،ونشاطا تجاريا هاما،[3]بسبب دعمه الكبير للنشاط التجاري وتوفيره الجو المناسب لذلك.

المبحث الثاني:عناصر السكان.

في ستينات القرن العشرين الميلادي تم العثور على بقايا هياكل عظمية في مدافن ومقابر حوض ورقلة،أثبتت الدراسات التي أجريت عليها ،أنها تعود لأجناس زنجية نزحت من الجنوب،منذ الألفية الثالثة، بعد تعرض الصحراء الكبرى لفترات جفاف،واستمرت تلك الهجرات إلى غاية الألفية الثانية،حيث تلتها بعد ذلك هجرات للعناصر البيضاء القادمة من الشمال،والتي امتزجت بعدها بالعناصر الزنجية.

ومع مطلع التاريخ القديم،سكنت بالمدينة أجناس متعددة،من أصول مختلفة، من بينها جنس ينتمي للإنسان الأول أطلق عليه اسم كابسي capsien نسبة لكابسا capsia وهي التسمية

[1] سامية مقري:المرجع السابق،ص58.

[2] عيسى الذيب وآخرون:**الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات م،و،د،ب،ح،و،ث،أ ،ن1954 م،دار القصبة للنشر ،الجزائر،2007،ص68.

[3]أحمد ذكار :المرجع السابق،ص 40.

القديمة لمدينة قفصة التونسية[1] كما سكنتها كذلك قبائل الجيتول التي استوطن بعضها الصحراء الشمالية الشرقية[2]ويعتقد أن هيرودوت اعتبر الغارامانت[3] Garamantesالسكان الأصليين لها[4]،وهم الذين سكنوا قديما أواسط إفريقيا وتركوا شواهد آثارية تدل على حضارة راقية ومتقدمة أقاموها بالمنطقة[5] كما تشير بعض النصوص التاريخية القديمة المتعلقة ببلاد المغرب أن سكانه قسمين جزء مستقر بالشمال،وجزء متنقل من الرحل في الجنوب (الهضاب والصحراء)[6]هذا وقد عَرفت المنطقة أيضا هجرة بربرية قادمة من المناطق الشمالية بعد السيطرة الرومانية عليها،وما تسببت فيه من معاناة كبيرة وحرمان وتسلط ممارس على الأهالي[7]،ومن بعدهم الوندال والقوط.[8]

ولكون تاريخ ورقلة ضارب في القدم،ويعود إلى عصور ماقبل التاريخ،فإنَ تركيبتها الاجتماعية قد عرفت التنوع ،حيث امتزجت فيها دماء أجناس عديدة توافدت عليها من الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب،[9]وانصهرت في بوثقة واحدة على مَر العصور وأصبحت تشمل العناصر التالية:

---

[1] عبد الله السائح: مرجع سابق ،ص ص 23.21.

[2] محمد بشير شنيتي: مرجع سابق،ص 23.

[3] الغرامنت:ربطتهم علاقات تجارية مع بلدان وسط إفريقيا،كانوا ينقلون بضائع البحر المتوسط إلى أعماق إفريقيا ويأتون بالذهب والفضة والمعادن الثمينة ،ويستخدمون في تنقلاتهم العربات والخيول أنظر: محمد علي الصلابي:**صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي**،دار البيارق،الأردن،ط1،1998،ص ص 139،140.

[4] مولاي بلحميسي: **ورقلة من خلال النصوص الأجنبية**،مجلة الأصالة ،مطبعة البعث،قسنطينة،الجزائر،1977، ع41،ص207 .

[5] مديني بشير: **تقرير الولاية العامة الفرنسية بالجزائر حول احتلال ورقلة** ،مصلحة الشؤون العربية 1885م، مقال ضمن ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة مديرية الثقافة لورقلة،2000،ص118.

[6] محمد بشير شنيتي: **الجزائر في ظل الاحتلال الروماني**، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1999، ج1، ص 303.

[7] محمد الصغير غانم:**مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم**، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر، 2010،ج2،ص 242.

[8] مديني بشير:مرجع سابق،ص118.

[9] L.Gognalons: **Fêtes principales des sédentaires d'Ouargla**(**Rouagha**), R.A, Vol 51,1909, p86.

أ- البربر:

تُشير العديد من المصادر التاريخية التي تحدثت عن بلاد المغرب إلى أن البربر هم السكان الأصليين لها[1]،لكن مدلول كلمة بربر كان محل اختلاف بين المؤرخين والباحثين الذين اهتموا بدراسة تاريخ بلاد المغرب، فمنهم من يرى أنها تعني الغرباء أو الهمَج،أطلقها الرومان على الأقوام المغلوبة التي لم تأخذ بحضارتهم،ولم تتحدث بلغتهم ،في حين يكاد يجمع المؤرخين العرب على أن"أفريقش بن قيس بن صفي" هو من أطلق لفظ بربر على السكان حينما غزا بلاد المغرب وسمع رطانتهم في الكلام فقال ما هذه البربرة؟ في حين يرجعها البعض الآخر إلى أحد أجدادهم وهو بربر أو"بر بن قيس عيلان"[2].

أما بما يتعلق بورقلة فالمصادر التاريخية تجمع على أن سكانها الأصليين هم من البربر،بل ويذهب الكثير منهم إلى أن تأسيسها كان على يديهم،وقد كانت القبائل البربرية التي تواجدت بورقلة تضم العديد من البطون والفروع حيث نجد كل من :

1-قبيلة زناتة:

تتواجد قبيلة زنَاتة في المنطقة الممتدة مابين غدامس والسوس الأقصى وجبال طرابلس ،وتتوزع على كامل بلاد المغرب خاصة المناطق الصحراوية، وقد كانت من أكثر القبائل انتشارا في مدينة ورقلة وقد أكد ذلك ابن خلدون بقوله : « فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا في الأمصار والمدن ،قام هؤلاء المعقل وتفردوا في البيداء فنموا نموا لا كفاء له،وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا،ثم توات ثم جودة،ثم تامنطيت،ثم واركلان ثم تسابيت ثم تيكورارين شرقا، وكل واحد من هذه وطن منفرد يشمل على قصور عديدة ذات نخل وأنهار و أكثر سكانها من

[1] أحمد توفيق المدني:**هذه هي الجزائر**،مكتبة النهضة المصرية،مصر،2001،ص32.

[2] علي كسار الغدير الغزالي :**الجذور والأصول التاريخية لسكان بلاد المغرب القديم وموقفهم من السيطرة البيزنطية قبيل الفتح الإسلامي لها**،مجلة الكلية الإسلامية،النجف العراق،2012،ص347.

زناتة...»[1]ويتفرع من هذه القبيلة عدة بطون كقبيلة بني واركلا التي أعطت اسمها لمدينة ورقلة،وقبيلة بني يفرن التي تتفرع منها كذلك قبيلة بني مغراوة المنتشرة في عدة مناطق كورقلة،الأغواط،جبل عمور[2] بالإضافة إلى قبيلة بني زنداك التي هاجر إليها أبو يزيد مخلد بن كيداد سنة 325هـ/936م[3].

2-قبيلة سدراته:

يعود أصل السدراتيين إلى لواته، ومنها استمدت مدينة سدراتة تسميتها، تتواجد هذه القبيلة في كل من برقة،ورقلة،الأوراس[4]،اعتنق أفرادها المذهب الإباضي قديما، واستقروا بالمدينة ولم ينزحوا عنها إلا بعد خرابها على يد ابن غانية [5] أثناء ثورته على يعقوب المنصور أحد أمراء الموحدين.

ويوجد بالمدينة أيضا بعض القبائل البربرية المتأثرة بالدماء الزنجية عن طريق الامتزاج مع العبيد[6]وتشمل كلا من قبائل بني سيسين،بني واجين،بني إبراهيم.[7]

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون:مصدر سابق،ج6،ص ص 77،87.

[2]عمر سليمان بوعصبانة: **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان ورقلة من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراته(296-626هـ/909-1229م)**،دار غرناطة ،الجزائر،2010،ص ص 44،45.

[3] كنيته أبي يزيد واسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله ابن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وزغت من بني يفرن احدى قبائل زناته،كان أبوه تاجرا يتوافد باستمرار على بلاد السودان ،قاد الثورة ضد العبيديين، والتف حوله الناس على اختلاف مذاهبهم بعدما ضاقت بهم مظالم العبيديين،استطاع تحقيق انتصارات كبيرة ضد الفاطميين.أنظر:سليمان بن الحاج داوود بن يوسف:**ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله**،دار البعث،قسنطينة الجزائر،ط1،1981. ابن عذارى المراكشي : **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تح ليفي بروفنسال،ج.س.كولان،دار الثقافة،لبنان،ط1،1983،ج1،ص ص 217،218.

[4] عمر بوعصبانة: مرجع سابق ،ص46.

[5] بني غانية:تعود أصولهم إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية ،عرفوا بهذا الاسم نسبة لاسم أمهم،وهي التسميات التي كانت معروفة عند المرابطين،مارسوا الغزو البحري بجنوب فرنسا وقطلونيا،كانوا موالين للخلافة العباسية في المشرق،واتخذوا الرايات السوداء شعارا لهم،قاموا بمهادنة الموحدين لبعض الوقت،وبعدها استغلوا الاضطرابات التي أصابت الدولة الموحدية بعد وفاة خليفتها يوسف بن عبد المومن وأعلنوا عصيانهم لها،وتوجهوا بعدها للمغرب الأوسط وتحالفوا مع القبائل الهلالية والسلمية.أنظر:محمد علي الصلابي:**دولة الموحدين**،دار البيارق للنشر،الأردن،1998،ص ص 168،169.

[6] عبد القادر موهوبي:مرجع سابق،ص161.

[7] عبد الحميد زوزو:**محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة** ،دار هومة،الجزائر ،2011 ،ص ص 85،86.

ويعود سبب النزوح البربري نحو ورقلة منذ القدم إلى حروبهم المستمرة مع الغزاة الأجانب خاصة الرومان التي دفعت بعضهم إلى الهرب نحو المناطق الداخلية والصحراوية[1] إضافة إلى هجرة أفراد الأسرة الرستمية إليها بعد سقوط دولتهم[2] على يد أبي عبد الله الشيعي الذي حرص على القضاء على كل فرد من بني رستم حتى لا يناوئه أحد منهم .[3]

ب– العرب:

يعتبر عقبة بن نافع الفهري[4] أول من وضع الحجر الأساس للفتوحات الإسلامية الحقيقية لبلاد المغرب[5]،ومن خلالها بدأ العرب في الاستقرار بالمنطقة لكن بأعداد قليلة ،فعملوا خلالها على تعليم البربر مبادئ الدين الإسلامي،لكن أغلب أقسام البلاد بقيت على أمازيغيتها لغاية حدوث الهجرة الشهيرة لقبائل بني هلال وبني سليم العربية،التي انطلقت من شرق صحراء النيل،إلى بلاد المغرب وانتشروا في السهول والجبال والواحات،ثم امتزجوا بالسكان الأصليين،فكثُر عددهم،وأصبحوا جزءا من النسيج الاجتماعي وتشمل هذه القبائل العربية كل من:قبيلة بني هلال ابن عامر التي يتفرع منها: معقل،أثبج،جوشم،رباح،زغبة،وقبيلة بني سليم ابن منصور ويتفرع منهادياب،هيب،زغب،عوف.[6]

---

[1] عمار بوحوش:**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،1997،ص8.

[2] أحمد توفيق المدني :**أبطال المقاومة الجزائرية** ، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص152 .

[3] محمود إسماعيل عبد الرزاق:**الخوارج في بلاد المغرب حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة،المغرب،ط2 ،1985م ،ص 232.

[4] هوعقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامربن أمية ابن الضرب بن الحارث بن فهر القرشي،شهد فتح مصر على يد عمرو بن العاص،واكتسب من خلالها خبرة في القتال،أرسله عمرو بن العاص على رأس جيش من العرب إلى زويلة ففتحها صلحا ،ثم توجه إلى مناطق أخرى ففتحها كذلك،قام بتأسيس القيروان واستخلف عليها زهير بن قيس البلوي ليواصل بعدها فتوحاته لمناطق أخرى من بلاد المغرب ففتح تلمسان،ووصل إلى طنجة والسوس الأدنى ثم السوس الأقصى بالمغرب الأقصى واستطاع أن يفتحهما، واستشهد سنة 36هـ في معركة تهودة بإقليم الزاب .أنظر:محمد شيت خطاب:**قادة فتح المغرب العربي**،دار الفكر ،لبنان،ط8،2002، ج1،ص 90.

[5] مبارك بن محمد الميلي:**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ج2،ص34.

[6] أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر،مرجع سابق ،ص ص 29،30.

أما بخصوص دخول العرب لمدينة ورقلة ،فكغيرها من بلدان المغرب،لاوجود لوثائق أو شواهد مادية تثبت تواجدهم بها قبل الفتح الإسلامي،[1]وقد أكَد ذلك ابن خلدون في قوله:« ..لأن العرب لم يكن لهم بالمغرب في الأيام السابقة بوطن ، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق من بني هلال وبني سليم، اختلطوا في الدول هناك..»[2]،لذلك فالتواجد العربي بورقلة كان بعد الهجرة الكبيرة للقبائل الهلالية والسلمية،وقد شمل أربعة قبائل وفدت عليها في فترات متباعدة نسبيا،بداية من القرن الخامس الهجري،الحادي عشر ميلادي[3]وتشمل كل من:

1- قبيلة الشعانبة :

تنحدر قبيلة الشعانبة من علاق،من عوف،من سليم بن منصور من العدنانية[4] القبيلة السلمية التي استقرت في البداية بليبيا،في الوقت الذي زحفت فيه القبائل الهلالية نحو بقية البلدان المغربية،ولم تبدأ في الانتشار في بقية المناطق إلا بعد قرن من الزمن،حيث كانت مدينة متليلي[5] المكان الأول لاستقرارهم،وكان ذلك في حوالي 1150م ،لكن وبعد بقائهم فيها لمدة، اشتد الضغط السكاني بها ،وعرفت تزاحما كبيرا على الموارد المائية والمراعي،مما دفع بالعديد من بطونها إلى الهجرة مناطق أخرى من الصحراء،فاتجه بطن المواضي إلى القليعة ،وبطن بوروبة نحو ورقلة [6]،وكان ذلك في القرن الثاني عشر ميلادي،وقد كانت قبيلة بوروبة الشعانبية من أكبر القبائل البدوية بورقلة،من حيث العدَد حيث يتفرع منها كل من: أولاد سعيد،أولاد زايد،أولاد إسماعيل،أولاد فرج،أولاد أبو بكر ودري،و كانت

[1] عبد الله السائح:مرجع سابق ،ص 65.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: مصدر سابق ،ج12،ص8.

[3] عبد الله السائح : مرجع سابق ،ص65.

[4] إسماعيل العربي :مرجع سابق،ص 163.

[5] إحدى بلديات ولاية غارداية ،تبعد عنها ب45كم.كانت أول منطقة نزلت واستقرت بها قبيلة الشعانبة.

[6] محمد عبد الحليم بيشي :**تطور الثورة الجزائرية في ناحية غارداية(1374-1382هـ/1954-1962م)**،مذكرة ماجستير، إشراف :شاوشي حباسي،جامعة الجزائر (قسم التاريخ)،2001-2002 ، ص15

تتنقل مابين تماسين،وعين صالح وجبال القصور مدة ثلاثة أشهر،ثم تعود لورقلة في الخريف في موسم جني التمور.[1]

وقد كانت تخضع قبيلة الشعانبة لسلطة شيخين الأول من أولاد إسماعيل والثاني من أولاد منصور، ويمارس أفرادها الصيد وتربية المواشي وزراعة النخيل.[2]

2- قبيلة سعيد عتبة :

كان أغلب أفراد قبيلة سعيد عتبة رُحل ينتقلون بين عدة مناطق ،ففي الشتاء يتوجهون نحو ميزاب لبيع منتجاتهم من التمور والمنسوجات الصوفية ،وبعدها يتوجهون نحو تاجرونة ،حيث يقضون الربيع مابين وادي زرقون ووادي المخفين،ليواصلوا زحفهم نحو وهران،ثم يعودون في الأخير لورقلة في نهاية الصيف لجني التمور،وقد كانت تضم هذه القبيلة سبعة عروش وهي:فطناسة،العمرات،أولاد قدول،الصبرات،الزقاقرة،الرحبة،بني منصور.

3- قبيلة المخادمة

تعد قبيلة المخادمة من أكبر القبائل العربية في المنطقة،وتتشكل هي الأخرى من سبعة عروش وهي: الفوارس،بني خليفة ،بنو حسن، بني ثور ،أولاد نصير،أولاد سيود،أولاد عبد الرحمان،كان يمارس أفرادها التجارة،والرعي،وزراعة التخيل ويتنقلون بين متليلي وبني يزقن ولبيض سيدي الشيخ وتاجموت من أجل بيع منتجاتهم من التمور،وشراء ما يحتاجونه من زيوت وحبوب وأسلحة وغيرها من متطلبات الحياة.[3]

الجدير بالذكر أن كل هذه القبائل العربية لم تكن في البداية مستقرة بورقلة ،وإنما جاء استقرارها على فترات متباعدة،فكانت البداية باستقرار بعض الأفراد من قبيلة بني ثور في الرويسات،وبالقرب

[1] عبد الله السائح : مرجع سابق ،ص 69.

[2] بن يوسف تلمساني :مرجع سابق،ص ص 114،115.

[3] نفسه،ص ص113،116.

من الشط خلال القرن السابع عشر ميلادي،وبعدها قبيلة المخادمة في القرن التاسع عشر، ثم قبيلتي الشعانبة وسعيد عتبة، اللذان استقرا بها في النصف الثاني من القرن العشرين.[1]

ج–العبيد:(رجال الحشان)[2]:

لقد وجدت فئة العبيد بنسبة كبيرة في ورقلة،لأن تجارها كانوا يقومون بجلبها من بلاد السودان ثم بيعها في الأسواق الداخلية للمدينة،لينتفع بها السكان،أو توجيهها إلى المناطق الشمالية للبلاد[3] وذلك لأن ورقلة كانت مركزا تجاريا ضخما في قلب الصحراء،يوَجه منها العبيد نحو مدن المغرب الأوسط وافريقية[4]ويعود ذلك لكون تجارة الرقيق تلقى رواجا كبيرا،ويتم الطلب عليها باستمرار من أجل توظيفهم في الجيش،أوفي بعض الأعمال الأخرى[5] كخدمة البساتين وحفر الآبار[6]،حيث كان لهم دور فاعل في الحياة الاقتصادية[7] لهم مكانة هامة طيلة التواجد العثماني بالجزائر،خاصة بعد تناقص كميات التبر المستوردة من السودان الغربي،[8]وبمرور الوقت تَم تحريرهم من العبودية واندمجوا مع السكان وانتسبوا لأجداد أسيادهم الذين حرروهم،وتختلف تسميتهم فهناك من يسميهم بالحرثاني[9]والبعض رجال الحشان والبعض الرواغة،وهو الاسم الواقع على سكان وادي ريغ بتقرت[10].

---

[1] عبد الله السائح: مرجع سابق ،ص ص 72،71.

[2] رجال الحشان: يذهب البعض إلى أن هذا الاسم أطلق على العبيد لاشتغالهم بزراعة النخيل،والحشانة هي الفسيلة.أنظر:إبراهيم أعزام:مصدر سابق،ص 184،هامش4.

[3] مختار حساني:**موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب**، دار الحكمة للنشر ،الجزائر، 2007م،ج2،ص 201.

[4] ابن سعيد المغربي:مصدر سابق،ص126.

[5] مسعود مزهودي: **الإباضية في المغرب الأوسط**، نشر جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 1996، ص163.

[6] إلياس بن عمر حاج عيسى : مرجع سابق،ص 37.

[7] بشار أكرم الملاح:**التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي**،دار غيداء للنشر،الأردن،ط1،2013،ص253

[8] ناصر الدين سعيدوني:**الوضع في ورقلة خلال العهد العثماني**،مجلةالأصالة،مطبعة البعث،قسنطينة،1977، ع41، ص84.

[9] الحرثاني: كلمة استعملها الناطقون بالعربية،للدلالة على لفظة «أحرطان» والتي تعني المعتوق بالبربرية المنقولة إلى العربية.أنظر: خياط سليم:**إزدواجية مكانة الرجل الأسود عبر تقديرات الأصناف السوسيولسانية**،مجلة طريق القوافل،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر2001م،ص43.

[10] إبراهيم أ عزام: مرجع سابق ،ص ص 184،185.

د–اليهود:

لا يعرف بالضبط تاريخ دخول اليهود إلى بلاد المغرب،فمنهم من يرى أن الأفكار اليهودية دخلت عن طريق الفينيقيين،قبل هجرة اليهود إلى بلاد المغرب في الفترة الرومانية[1]،في حين يرى البعض الأخر أن الهجرة اليهودية لبلاد المغرب بدأت منذ فترات قديمة تعود إلى الألف الأولى قبل الميلاد، واقتصرت على بعض الأفراد فقط،نتيجة للعلاقة التي ربطت مدينة صور الفينيقية بالعبرانيين[2].

وبخصوص التواجد اليهودي بورقلة،فقد كان لموقعها الجغرافي الهام على الخط التجاري الذي يربط بلدان الشمال الإفريقي بالسودان الغربي،دور كبير في جدب اليهود نحوها،حيث استقروا بها وعملوا بالتجارة،[3]وكانت مساكنهم بالسوق العمومي،لكن بسيطرة أولاد علاهم على المنطقة،تَم طردهم من البلاد فاتجهوا نحو ميزاب،ثم استطاعوا العودة مجددا للمدينة بعد الاحتلال الفرنسي،ومارسوا التجارة والصياغة،وقاموا بشراء ديار ونخيل وأملاك كثيرة[4]،وعُرفوا باستخدام الربا في تعاملاتهم الاقتصادية، الأمر الذي كان له نتائج ثقيلة على المنطقة،[5]لكن ذلك ليس بالغريب عن هذه الفئة التي كان التعامل بالربا طبيعة متأصلة فيها،أثارت الشكوك حولها إلى اليوم.[6]

إن هذا التباين والاختلاف في الأصل والانتماء الذي عرفته مدينة ورقلة،جاء نتيجة توالي هجرات مختلفة نحوها، لبعدها عن مركز الحكم في الشمال،ولموقعها المميز الواقع على خط طريق القوافل التجارية المتجهة نحو السودان الغربي،ولكونها محطة هامة من المحطات التي تقف عندها قوافل الحجيج، كل ذلك جعل منها منطقة جدب لهذه العناصر على الدوام.

---

[1] سعد زغلول: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال**، شركة الجلال للطباعة، مصر ، ص 113

[2] مسعود كواتي:**اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين** ،دار هومة،الجزائر،ط2،2009، ص 16.

[3] عبد الرحمان بشير: **اليهود في المغرب العربي(462.22 هـ/1070.642م)**، عين للدراسات والبحوث الإسلامية،مصر ،ط1، 2001،ص ص 44،45.

[4] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص 188.

[5]P.Blauchet :**l'Oasis et le pays de Ouargla**. **annales de géographie**, vol9, 1900 , p154

[6] مسعود كواتي:مرجع سابق،ص 126.

المبحث الرابع:ضواحي المدينة و المناطق المحيطة بها:

نظرا للمساحة الشاسعة التي تشرف عليها مدينة ورقلة نتج عنها وجود العديد من القرى والتجمعات السكنية التابعة لها على مر الأزمان ،وتختلف كل قرية عن الأخرى من حيث التركيبة الاجتماعية ومن حيث النشاط الذي يمارسه أهلها،لذلك سنحاول عرض المناطق التابعة لها والنشاط الذي يمارسه سكانها ومنها:

- **قرية نقوسة:**

تقع نقوسة في الشمال الشرقي لورقلة في منطقة رملية،تُظهر البقايا والآثار الموجودة بها على أنها مدينة ضاربة في القدم،تشتهر بكثرة مياهها الجوفية منها ثلاثون بئراً مخصص للسقي والشرب كعين موسى الواقعة في وسط المدينة،وترموست الواقعة بالقرب من سورها الخارجي،وعن غيرها من بيوت ورقلة تتميز نقوسة بوجود البيوت ذات الطوابق،وتملك خمس مساجد[1]،والعديد من البساتين والغابات الملتصقة بالديار،والبعض من هذه الأملاك مخصص للأوقاف يطلق عليه"ملك النبي"توزع غَّلته على الفقراء ولإغاثة قوافل الحجيج المارة عبر المنطقة[2]ومن بين الرحالة الذين مّروا منها الرحالة العياشي أثناء ذهابه لأداء فريضة الحج وذكَر بأنها غير خاضعة لسلطة ورقلة في قوله: « ثم ارتحلنا من واركلا يوم الاثنين ونزلنا ببلدة قريبة منها على نصف مرحلة تسمى مكوسا،وهم من طاعة وادي ريغ لا من طاعة واركلا»[3]،وعلى عكس القرى الأخرى كانت نقوسة في استقلالية محدودة عن ورقلة وفي تنافس كبير معها لعدة قرون[4]،رغم أنها تدفع الضرائب لتقرت من أجل السماح لها بممارسة التجارة،وكان سكانها يمارسون التجارة وزراعة النخيل[5]وصفها دوماس وأشار إلى أنها قصر محاط بسور خارجي يصل

[1] بن يوسف تلمساني:مرجع سابق،ص ص 109،110.

[2] إبراهيم أعزام: مرجع سابق ،ص ص218،222.

[3] العياشي: مصدر سابق،ص119.

[4] M.R Brigol:op.cit,p8.

[5] بن يوسف تلمساني: مرجع سابق،ص 110.

علوه لخمسة أمتار،مبانيها ذات طوابق مبنية بالحجارة وسقوفها من جذوع النخيل،وتشمل خمسة أبواب وهي: باب عين الزرقاء،باب القصبة،باب العلوش،باب الزريبة،تلموناست.[1]

- **قرية الشط:**

وتعرف أيضا باسم قرية عين عمر[2]و هي أول قرية بُنيت بعد خراب سدراتة،وتقع في الجهة الشرقية لورقلة،وتبعد عنها بحوالي سبعة كيلومترات،تمتلك القرية سبخة كبيرة جدا تستخدم أملاحها للاستنفاع المحلي وبعضه يوجه نحو ميزاب،ويذكر صاحب غصن البان الشيخ إبراهيم أعزام أن أهلها كانوا يبنون مساكنهم بقوالب الملح الصلبة لقربها منهم ولبعد الحجارة عليهم،[3]وبخصوص مدلول التسمية فينسبها البعض لمؤسسها سيدي أبي الخير الشطي[4]،وهو ما ذهب إليه الشيخ أعزام ،في حين يرى البعض أن تسمية القرية مأخوذ من البحيرة المالحة التي تفصل بينها وبين ورقلة [5]كان سكانها الفلاحة وبعض الحرف التقليدية و التجارة،وذلك لوفرة المياه الجوفية بها.

- **قرية اعجاجة**

تقع قرية اعجاجة في الجهة الشرقية لورقلة وتبعد عنها بسبعة كيلومترات،وهي بالقرب من قرية الشط ولا يفصلها عنها إلا كيلومتر واحد، لدرجة أن بساتينهما متداخلة مع بعضهما البعض،يمارس سكانها الفلاحة ولهم دراية كبيرة بفن الفلاحة وزراعة النخيل[6].

---

[1] Daumas :op.cit,p88.

[2] بن يوسف تلمساني:مرجع سابق،ص112.

[3] إبراهيم أعزام : مرجع سابق ،ص ص 224،225.

[4] **سيدي بلخير الشطي**:ولد في مطلع القرن السابع الهجري الموافق ل1300م بالقرب من قرية عجاجة،انتقل بعدها نحو قرية الشط وانشأ بها مسجدا للصلاة وتدريس العلم وفض النزاعات،بحيث أصبح مرجعا للجهة يؤتى له من كل مكان.أنظر:عبد القادر موهوبي:**معجم الصفوة**،تين وزيتون للنشر،الجزائر،2012م،ج1،ص ص 41،42.

[5] أحمد ذكار:مرجع سابق ،ص63.

[6] إبراهيم أعزام: مرجع سابق،ص ص 225،226.

– قرية الرويسات:

تقع على بعد ستة كيلومترات من الناحية الغربية،في أرض خصبة[1]يمارس سكانها الفلاحة وتربية الماعز،ويتخذون من جبل كريمة مرعا لهم،ويوجد بسفح هذا الجبل غابة نخيل ملك لبني سيسين يتوسطها بئر في المكان الذي يدعى بالعزات،[2] وسميت بالرويسات لوقوعها على رؤوس جبال صغيرة متصلة ببعضها البعض[3] فقيل رويسات أي تصغير لكلمة رؤوس.

– قرية سيدي خويلد:

سميت بهذا الاسم نسبة للولي الصالح سيدي خويلد[4]،و تقع على بعد 20أو 24كلم بالجنوب الشرقي لورقلة،عرفت بكثرة بساتينها المخصصة لزراعة النخيل والخضروات،لامتلاكها ثروة مائية معتبرة[5]،والمنازل بقرية سيدي خويلد مبنية بالحجر ويتوزع سكانها بين حيي أولاد عطاالله وحي أولاد سيدي خويلد ولكل حي مسجده الخاص، ولكونها تشتهر بزاوية المرابط سيدي خويلد فقد كانت مقصدا لجميع الناس على مختلف مستوياتهم الاجتماعية،لذلك حظيت بمكانة روحية كبيرة لدرجة جعلت سلطة ورقلة تعفي سكانها من دفع الضريبة[6]وقد وجدت بها آثار للفقارات،ومطامير لتخزين الحبوب ،وكانت تضم حوالي خمسين عائلة ومدرسة قرآنية بها ثلاثون طالبا.[7]

– قرية بامنديل:

تبعد بامنديل عن ورقلة بنحو تسعة كيلومترات من الشمال الغربي،كان يعيش بها سكان فقراء، معيشتهم صعبة ،يمارسون الفلاحة والاحتطاب،وهم من قبيلة سعيد عتبة،وديارهم ملتصقة ومتصلة

[1]Daumas:op.cit,p80.

[2] بن يوسف تلمساني: مرجع سابق ،ص111.

[3] إبراهيم أعزام: مرجع سابق،ص226.

[4] J.Letilleux :op.cit,p222.

[5] Daumas:op.cit, pp81,82.

[6] بن يوسف تلمساني:مرجع سابق ،ص111.

[7] ورقلة سلطانة الواحات:مرجع سابق،ص35.

ببعضها البعض وبجوار ديارهم يوجد العديد من الأجنة والبساتين التي تسقى بالآبار ،وقد كانت في فترة سابقة – في فترة ازدهار ورقلة –عامرة بالبساتين والعيون،وتسميتها نسبة لأحد البطون البربرية التي يحتمل أنها سكنت في هذه المنطقة[1]، وفيما بعد أصبحت شبه مهجورة بسبب الصراع بين سكانها من أولاد المريني الذي كان مع قبيلة المخادمة منذ1829م،التي ألحقت بهم هزيمة وطردتهم خارجها،فأصبحوا يسكنون الخيم ،ويدخلون قريتهم في الخريف فقط لجني تمورهم[2]وقد أشار لها الرحالة فكتور لارجو عندما وصل إليها في يوم 12ماي 1877م وذكر بأن بها عدة فقارات[3]عند مدخلها ،ووصف قصبتها وقصرها الحصين ،وذكر بأن فيها مجموعة من المباني المحاطة بسور خارجي به أربعة بروج ومساكنها متواجدة على حواف الساحات،وبها مسجدين أحدهما مالكي والأخر إباضي.[4]

– قرية يفرن:

سميت بهذا الاسم نسبة لبطن من بطون البربر وهم بنو يفرن،تبعد عن نقوسة باثنا عشر كيلومتر،يسكنها أعراب متفرقة،واشتهرت بالعلم والعلماء،يوجدبها بساتين وغابات نخيل وعيون جارية، كان يمارس سكانها الفلاحة،لكنها تعرَّضت للتخريب على يد الميورقي.

– قرية عين البيضاء :

يعيش بها أعراب من قبيلة الشعانبة القبالة وشعانبة بوسعيد،حرفتهم ممارسة التجارة ونقل السلع للبلاد،منازلهم متفرقة ومتقاربة من بعضها البعض ،وعلى القرب منها توجد الزاوية الرحمانية،لكن النخيل بها غير كثير،يعرف سكانها بتربية وركوب الجمال وامتلاكها.

---

[1] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص ص 230،231.

[2] بن يوسف تلمساني:مرجع سابق،ص 110.

[3] الفقارة:نظام متكامل يجمع بين تقنيات العصر وعادات المجتمع،استطاع بفضلها الإنسان فرض نمطه على الطبيعة،نظام الفقارة وماشابهها من تسميات هو نظام واحد يعود في الأصل إلى ماقبل الألف الثالثة قبل الميلاد،ويعتبر الكنعانيون أول من ابتكر هذا النظام،وتتشكل الفقارة من مجموعة من الآبار التي تبدأ نمن نقطة مرتفعة،تتجمع بها المياه الجوفية وتسير مياهها في مجرى ذي فوهات لمسافات بعيدة حتى تنحدر ببطء،وينتهي المجرى بحوض تتجمع فيه المياه ومنه تخرج القنوات الى البساتين.انظر:**فرج محمود فرج:إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي**،الجزائر،1977،ص 77،هامش5.

[4] دنيس بيلي:**معالم تاريخ ورقلة1872–1992**،تر:علي إيدير،ورقلة ،1995،ص 15.

– قرية بني ثور:

سكان بني ثور من عرب الرويسات الذين هجروا منها بعدما ضاقت بساكنيها،و عمّروها وهي واقعة بين الرويسات وورقلة،وتبعد عن ورقلة بحوالي ثلاث كيلومترات،كان يمارس سكانها الفلاحة والتجارة، وديارهم متفرقة وقريبة من بعضها،ويعيشون في رفاهية.

–ديار سكرة:

تبعد عن المدينة بخمس كيلومترات ويعيش بها شعانبة القبالة وأولاد سيدي الشيخ،ويمارسون التجارة.[1]

[1] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص ص 232،228.

الفصل الثاني: النشاط الاقتصادي لمدينة ورقلة خلال القرن التاسع شر ميلادي.

- المبحث الأول:الزراعة والحرف.
- المبحث الثاني: التجارة الداخلية والخارجية.
- المبحث الثالث: المسالك والمراكز التجارية.
- المبحث الرابع:المبادلات التجارية وأساليبها.

المبحث الأول:الزراعة والحرف.

أ- الزراعة:

كانت الزراعة النشاط الأساسي لسكان ورقلة عبر مختلف الأزمنة والعصور،رغم وقوعها في منطقة صحراوية تساقط الأمطار بها قليل وغير منتظم إلا أن ذلك لم يمنع من قيام نشاط فلاحي يسد الحاجات المحلية ويصدر ما تبقي منه إلى الأسواق الداخلية للبلاد أو الخارجية نحو بلاد السودان،بفضل امتلاكها لثروة مائية كبيرة تشمل المياه الجوفية ،استطاع السكان بفضلها استغلال هذه الثروة بكل نجاح، فتغلبوا على الصعوبات المناخية التي واجهتهم من حرارة وجفاف وقلة التساقط.

وبالعودة إلى كتابات الجغرافيين والرحالة نجدهم قد تحدثوا عن زراعتها وعن البساتين الجميلة التي كانت تشتهر بها ورقلة ،فقد ذكرها العياشي في كتابه ماء الموائد في قوله:«وتراءى لنا نخل ورقلة كأنه سحابة عجفاء»[1]،ويضيف الحموي قائلا عنها:«...كورة في إفريقية ضاربة في البر كثيرة النخل والخيرات»[2]،ومثله ابن الدين الأغواطي في قوله:«وتعج ورقلة بأشجار النخيل»[3].

لقد اختصت ورقلة بإنتاج بعض المواد الزراعية التي لا تنمو إلا في مثل وسطها الطبيعي،منها إنتاج التمور الذي كانت المورد الرئيسي لسكانها،حيث كانت إنتاجه وفيرا وذو نوعية جيدة ،ذلك أن اهتمام سكان ورقلة بإنتاج التمور نابع من تعدد فوائدها ومجالات استخدامها،فهي تعيل سكان المناطق الجافة لأن تمورها غنية بالمواد المغذّية من سكريات وأملاح معدنية وفيتامينات ف200غرام من التمور تمنح الجسم مابين 200الى300 سعرة حرارية،وبذلك تتجاوز الطاقة الحرارية لأغلب الفواكه،كما أن خشبها يستخدم في البناء وصناعة بعض الأدوات،بالإضافة إلى جريدها الذي

[1] العياشي:مصدر سابق،ج1،ص114.

[2] ياقوت الحموي:مصدر سابق،ج5،ص371.

[3] أبو القاسم سعد الله:**مجموع رحلات (رحلة ابن الدين الأغواطي)**،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع،الجزائر،2011،ص92.

يستخدم في أسقف المنازل وكمصدر طاقة للطبخ والتدفئة خاصة فصل الشتاء في فترات البرد،ذلك أن النخلة تنتج مابين عشرين إلى ثلاثين جريدة خلال السنة[1]أما نواها فهو يستخدم أيضا كعلف للبهائم.[2]

الجدير بالذكر أن تمور ورقلة قد وصل صداها إلى بلاد السودان بسبب جودتها ووفرتها ،حيث كانت من الاحتمال الكبيرة الموجهة إلى بلاد السودان[3].

و إلى جانب التمور اشتهرت ورقلة أيضا بإنتاج الحبوب والزيتون،وذلك بعد الاستغلال الأمثل للمياه الجوفية في عملية الري وفي هذا الصدد يقول الدكتور محمود إسماعيل عبد الرزاق:« كما ازدهرت الزراعة أيضا في واحة ورقلة اعتمادا على مياه الآبار،فاشتهرت بأشجار النخيل والزيتون والحبوب»[4]،فالحبوب التي كانت تنتجها ورقلة كالقمح والشعير كانت محاصيل شتوية ،تزرع في الخريف ويتم حصدها قبل اشتداد الحر، ما عدا الذرة التي كانت من الحبوب الصيفية التي تزرع في فصل الربيع،و إلى جانب زراعة الحبوب والنخيل التي حظيت باهتمام كبير من طرف الفلاحين لكونها تدر أرباحا كبيرة،اهتم الفلاحون كذلك بزراعات أخرى لا تَقل أهمية عن بقية المنتجات[5]كالخضر التي تشمل البصل والجزر،الفلفل،الطماطم،الخس،الباذنجان[6]و الفول الذي كان يزرع في كل مكان لأنه مفضّل ومحبوب لدى الورقليين،إضافة إلى زراعة الكرفس،والبقدونس واللفت والعدس والثوم التي كانت تنطلق في فصل الخريف،ليتم جني غلاتها في فصل الربيع،والى جانب هذه الخضروات المتنوعة

[1] حسن حافظي علوي:**سجلماسة وأقاليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي**،مطبعة فضالة،المغرب،1997، ص223.

[2]أبي حاتم السجستاني:**كتاب النخلة**،تح:حاتم صالح الضامن،دار البشائر الإسلامية،لبنان،ط1،2002،ص46.

[3]عبد القادر زبادية: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،ص220.

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق:مرجع سابق،ص275.

[5] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص160.

[6] Alain Romey : Histoire toponymie...,op.cit,p25.

كان فلاحي ورقلة يغرسون بعض الأعشاب لاستخدامها كعلاج شعبي مثل الحلبة،و النعناع،والريحان،والحبق،وغيرها.

أما الفواكه فقد كانت زراعتها تشمل بعض الأشجار التي تتلاءم مع مناخ ورقلة وسائر المناطق الصحراوية كالرمان ،والمشمش،والتين،والخوخ،والتي تتطلب كميات مناسبة وكافية من الماء.[1]

إلا أن هذه الزراعة كانت في بعض الأحيان تتعرض لبعض المشاكل التي تؤثر في كمية الإنتاج من بينها اجتياح الجراد للمدينة كما حدث في سنة 1877و1891م،والذي تسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية خاصة التمور[2]،بالإضافة إلى التساقط الغزير للأمطار الذي تشهده ورقلة في بعض الأحيان والذي يتسبب كذلك في خسائر مادية كبيرة من إتلاف للمحاصيل وتدمير المنازل والبساتين.[3]

ب- الحرف:

رغم أن التجارة كانت النشاط الأوسع الذي يمارسه سكان ورقلة،إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض الصناعات التقليدية المعتمدة على بعض المواد الأولية التي توفرها الثروة الزراعية والحيوانية،وقد صناعة تتميز بالبساطة،تعكس متطلبات السوق المحلية،ومرتبطة بالدرجة الأولى على المهن الضرورية،فلم تكن ذات إنتاج وافر،حيث كانت بالكاد تسد الاحتياجات المحلية،فقد كان يوجد في سبعة ألاف ساكن أربعة يمارسون الحدادة والبعض في مهنة النجارة والقليل في الخياطة وبالنسبة للحرف السائدة بورقلة نجد كل من:

1- النجارة:

كانت النجارة من الحرف الواسعة الانتشار بورقلة،حيث كان ممتهنيها يصنعون بعض الأدوات التي يَكثُر الطلب عليها،كالنوافذ والرفوف،والخزائن،وطاولات صغيرة لشرب الشاي وتناول

[1] M.R.Brigol:op.cit,pp229,230.

[2] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص ص 14،29.

[3] Mauroy M : op.cit,p152.

الأكل،إضافة إلى صناديق مغلقة بالحديد مطلية بمختلف الألوان وأبواب خشبية ترضي أذواق الزبائن،حيث كان يجري عرضها للبيع ويتهافت الناس لشرائها،ولم يقتصر دور النجار على صناعة هذه الأدوات فحسب بل كانوا يقومون أيضا بإصلاح بعض أدوات العمل الخاصة بالفلاحين البسطاء التي تعرّضت للتلف،ولأن الطلب كبيرٌ على هذه الأدوات فعادة ما كان النجّار يعمل في محله من الصباح الباكر إلى الليل،رغم تعرضهم لمشكل نقص الخشب وعدم وجوده بورقلة،ولجوئهم في كثير من الأحيان للذهاب إلى الجلفة أو مناطق أخرى من البلاد لشرائه.

2- الحدادة:

رغم قلة الأشخاص الذين امتهنوا حرفة الحدادة بورقلة،إلا أنها حظيت باهتمام وإقبال كبير من طرف السكان،وذلك لحاجة الفلاحين لبعض الأدوات التي تُصنع من الحديد،وتُستخدم في النشاط الفلاحي،كالمناجل،المعاول،والأدوات المتعلقة بآبار السقي[1] بالإضافةإلى صناعة السكاكين والسيوف[2].

ويشير موريس جاردن الذي زار أحد الحدادين بورقلة يدعى مسعود ميموني،إلى أنه يملك محلا بجانب منزله في غاية التنظيم،يعلق القطع الحديدية على جدرانه،ويحتفظ فيه ببعض القطع القديمة من أجل استخدامها مجددا،و بأنه يمتلك علبة حدادة خفيفة وسهلة للتنقل،بها جميع المعدات التي يحتاجها لتصليح بعض الأدوات في عين المكان،بناءا على طلب الزبائن الذين يترددون عليه باستمرار ومن جملة ما يقوم بفعله تلحيم القدور،وتصليح الأقفال وهياكل الدراجات،والأفران الكهربائية،ومد خيوط الكهرباء[3].

3- الصناعة النسيجية والجلدية:

كانت الصناعة النسيجية قائمة على تحويل الأصواف والجلود إلى سلع متنوعة كسروج وألجمة ،وأحزمة،برانس،أغطية،أحذية،وحافظات حنابل،وقنادر[4] وألبسة إضافة إلى صناعة مخدات وزرابي كان

[1] Maurice Jardon:**Ouargla**,tra: J.Delheure,Algérie,1970,p74,76.

[2] ناصر الدين سعيدوني:ورقات...،مرجع سابق،ص542.

[3] Maurice Jardon:ibid,p p 78,80.

[4] ناصر الدين سعيدوني:مرجع سابق،ص542.

لها سمعة تجارية رائجة خارج حدود ورقلة والجزائر[1] وذلك لوفرة الأصواف بها،التي كانت من أهم مصادر الثروة بالصحراء[2].

4- الصياغة:

أشار دوماس إلى أن الصياغة كانت من اختصاص اليهود المتنقلين الذين يأتون إلى ورقلة لقضاء بعض الأشهر،قبل مغادرتها في فصل الصيف، فقد كانوا يصنعون الحلي عن طريق إذابة بعض العملات الذهبية[3]بعد الحصول على الذهب من مناطق التعدين بغرب إفريقيا،أين يجري تحويله إلى سبائك في ورقلة[4]من خلال إذابته في النار وتصفيته من الشوائب ثم صبه في قوالب معينة ،تم توجيهه بعدها لمراكز ضرب العملة.[5]

5- صناعة الأسلحة:

كانت ورقلة تحتوي على بعض الحوانيت الصغيرة لصناعة الأسلحة[6]كالسيوف والسكاكين والبارود الذي كان منتشرا بالمدينة[7] وقد ذكر طريقة تصنيعه ابن الدين الأغواطي عند حديثه عن الحرف المنتشرة بالصحراء،وذكر أنه يتم بجمع التراب من الأرض أو من الملاط المالح في القرى المهدمة،ثم يوضع في ماعون،ويصب عليه الماء ثم يغلى إلى أن يصبح خاثرا، فيؤخذ رطل منه ويخلط مع أربعة أرطال من الكبريت،وأربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجر الدفلى، فيصير بارودا في غضون أربع ساعات[8].

---

[1] أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط2،2005،ج6،ص130.

[2] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**،دار البصائر للنشر،الجزائر،2009،ص116.

[3] Daumas :Le Sahara..,op.cit,p114.

[4] بوفيل:**تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**،تر:الهادي أبو لقمة،محمد عزيز،منشورات جامعة قاريونس،ليبيا،ط2، 1988،ض189.

[5]الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق،ص284.

[6] Daumas :op.cit,89,90.

[7]ناصر الدين سعيدوني:مرجع سابق،ص542.

[8] أبو القاسم سعد الله: مرجع سابق،ص90،91.

6- صناعة الفخار:

بالنظر إلى بعض القلل التي تَم العثور عليها بورقلة،والتي كانت تستخدم في جمع العسل ،يتضح أن المدينة عرفت صناعة الفخار منذ القدم[1]،وقد كانت هذه الصناعة بالغة الأهمية،لأن الأواني المستخدمة حينها كانت من الفخار أو الخشب.[2]

وقد وُجد في قصري الشط والعجاجة أيضا بعض الحرفيين الذين يعملون على تحويل بعض المواد إلى منتجات تقليدية كالسعف الذي كان يحوَّل إلى حصائر وسلال متنوعة وقبعات،لكنها إنتاجها كان قليلا ولا يتجاوز الاحتياجات المحلية.[3]

المبحث الثاني: التجارة الداخلية والخارجية لمدينة ورقلة.

أ- تجارة القوافل:

1- مفهومها:

القافلة هي الرفقة الكثيرة،الراجعة من السفر أو المبتدئة به،التي يكون معها دوابها وأمتعتها وزادها[4]وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى:{لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف}[5]،والمقصود بها ذلك التنظيم البشري والمادي والحيواني الذي لجأ إليه التاجر منذ فترة قبل الإسلام بغية بيع بضائعه سواء داخل بيئته أو خارجها[6]،أما عدد الأشخاص المشاركين بالقوافل فلا يوجد عدد معين فهي تشمل من شخصان اثنان فما فوق،وفي غالب الأحيان يرتبط عدد المشاركين فيها بأمن الطريق،فان كان الطريق آمنا يستطيع شخصان أن يأتيا بقافلة أما إذا كان الطريق تحفه

[1] مسعود مزهودي:مرجع سابق،ص162.

[2] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص63.

[3] P.Passager :**Ouargla**(Sahara Constantinois),Institut pasteur d'Algérie,1957,p165.

[4] المنجد الأبجدي،دار المشرق للنشر،بيروت،لبنان،1967،ط1،ص781.

[5] سورة قريش،الأية 1و2.

[6] جميلة بن موسى:مرجع سابق،ص60.

المخاطر ويقل فيه الأمن فان القافلة تحتاج لعدة أفراد،لأنهم يحتاجون لبعضهم البعض،[1]وبالنسبة لتجارة القوافل فقد كانت رابطة قوية جمعت بين بربر الصحراء و إقليم الزنوج معا،لفترات طويلة تعود للعصور القديمة لحوالي 1000سنة ق.م،حينما كانت العربات المجرورة تخترق الصحراء من الشمال.[2]

2- أعضاؤها:

لقد كانت القوافل التجارية المغاربية عموما،والورجلانية خصوصا تخترق الصحراء الكبرى من عدة جهات لتصل إلى بلاد السودان،من أجل التبادل التجاري الذي كان قائما بين الطرفين منذ عهود غابرة، فكانت هذه القوافل لا تتكون من فئة التجار فحسب بل شارك فيها العديد من الأشخاص كل حسب تخصصه،وهدفه الذي يسعى لتحقيقه من انضمامه لهذه القافلة،جمعتهم المصلحة العامة لضمان السير الحسن لهذه القافلة في رحلتها الطويلة،ومن بين العناصر المشاركة في القافلة نجد:

-قائد القافلة:

قبل الانطلاق في الرحلة يقوم المشاركون في الرحلة باختيار قائد للقافلة العابرة للصحراء،ويكون الوحيد المتحكّم في مسارها،يوجهها ويعمل كشرطي،يعرف كيف يفاوض أثناء العبور من منطقة قبيلة إلى أخرى،ويكون عادة محاربا شجاع لكي يبعد عنها هجمات الغزاة و قطاع الطرق.[3]

-الدليل(الكشاف):

كانت عملية اجتياز الصحراء شاقة وصعبة للغاية،لذلك كان التكشيف ضروريا لعبور تلك الصحراء[4] فاختيار أدلاء على دراية كبيرة بالمسالك والممرات ،ومواطن تواجد المياه،وكل ماله علاقة

---

[1] محمد حوتية:**توات والقوافل التجارية**، مجلة طريق القوافل ،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ ، الجزائر،2001م ص36.

[2] A.Adu Boahen :**The Caravane Trade in the Nineteenth Century**,The Journal of Africain History,Vol 3,1961,p349.

[3] J.Letilleux :op.cit,p169.

[4] محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة: **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،تح:عبد الله التازي،أكاديمية المملكة المغربية،المغرب،1997،مج4،ص ص 239،243.

بالأمن كمعرفة أماكن العصابات وقطاع الطرق،كان من الأمور الأساسية الهامة التي تُأخذ بعين الاعتبار قبل انطلاق أي رحلة[1]فقد كان على الكشَّاف معرفة كل نقطة من نقاط العبور عبر الطريق الذي سيسلكه،ففي الليل حيث تختفي النجوم كان باستطاعته معرفة المكان الذي وصلوا إليه دون أن يضل الطريق وذلك بواسطة مقبض عشبة يتذوقها،أو بتفحص قبضة من تراب يشمها،[2]لذلك كان الكشّاف يكترى بأثمان مرتفعة،لأهميته الكبيرة في الرحلة،وقد أشار ابن بطوطة إلى انه اكترى كشافا في رحلته من تغازى [3]إلى إيولاتن[4]،بمائة مثقال من الذهب[5].

– الحراس:

كانت مهمتهم توفير الأمن للقافلة وإبعادها عن الأماكن الخطيرة[6]،لذلك كان قادة القوافل التجارية يتفقون مع رؤساء القبائل من أجل إمدادهم بحراس لحماية قوافلهم مقابل منَح تقدم لهم حسب قيمة البضائع المحمولة،وبذلك استفادت هذه القبائل من التجارة الصحراوية،لدرجة أن معيشة البعض منها كانت قائمة على ما تدره عليها حماية وحراسة هذه القوافل[7].

– الطبيب:

الذي كانت له دراية ومعرفة بالأعشاب المفيدة لعلاج بعض الأمراض خلال الرحلة.

---

[1] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص142.

[2] Daumas :**Moeurs et coutumes de l'Algérie**(**Tell – Kabylie – Sahara**),Paris, 1853, p p,364 ,365.

[3] تغازى:تقع في جنوب المغرب الأقصى، على الطريق الرئيسي للقوافل بين المغرب وتنبكتو، تعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح، حيث كان ينقله تجار القوافل إلى بلدان المغرب، وبذلك مثلت تغازة مركز تجاري هام لهذا المعدن.أنظر: الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص309.

[4] **ايولاتن:**مملكة صغيرة، تقع على بعد خمسمائة ميل شمال تنبكتو،شكلت مركزا تجاريا على الطريق الجنوبي للصحراء بعد سقوط إمبراطورية غانة وقيام دولة مالي، كانت مقصدا لتجار بلاد البربر،انظر: الحسن الوزان:مصدر سابق، ج2، ص161.

[5] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص243.

[6] يحي بوعزيز: مرجع سابق،ص 142.

[7] Mauroy: op.cit,p63.

– الفقهاء والدعاة:

لقد كانت القوافل التجارية تعج بالدعاة والفقهاء[1]،الذين عرُف عليهم حسن الاطلاع،والمعرفة الكبيرة بالعلوم الشرعية،فكان يلجأ إليهم الناس لإفتائهم في أمور دينهم[2]،وقد كانت مرافقتهم للتجار في هذه الرحلة من أجل نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في أعماق إفريقيا.

- الخوجة (الكاتب):

كانت مهمته رئاسة الصفقات التجارية،وتسويتها،وكتابة الاتفاقيات ،وفي حال وفاة أحدهم تكون مهمته أيضا التكفل به وبتركته.

- **المؤذن:**مهمته الإعلان عن موعد الصلاة.

- **الإمام:**لإمامة المسافرين وإقامة الصلاة.

- **البراح:**منادي عمومي للإبلاغ عن الإعلانات.[3]

3– إعداد القافلة و تنظيمها:

قبل أن تنطلق القوافل التجارية في رحلة تستغرق شهورا عديدة،لابد أن يتم ضبط القافلة وإعدادها بشكل جيد،ضمانا لحياة الأشخاص المشاركين فيها،ولسيرهم بأمان نحو وجهتهم المقصودة،سواء نحو بلدان المغرب أو السودان الغربي،لذلك بعد اختيار الدليل الذي لديه دراية بالمسالك يجرى تحديد الطريق الذي ستسلكه القوافل،فإن كانت الوجهة نحو أحد البلدان المغربية يتم اختيار الطريق الأقصر والأكثر أمنا،والذي يمر عبر المدن التجارية الهامة،أما إني كانت الوجهة نحو السودان الغربي فلابد أن تمر القافلة عبر مواطن تواجد الآبار والمراعي،وذلك خوفا من الهلاك في الصحراء أو الموت عطشا،خاصة وأن الجمال تحتاج للغذاء و الماء ،ولا تقدر على تحمل العطش

[1] عمر عبد الرحمان الماحي:**مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط**، مجلة طريق القوافل ،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر2001م،ص67.

[2] محمد الصالح حوتية:**توات والأزواد،خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة(الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**،دار الكتاب العربي،الجزائر،2007،ج1،ص142.

[3] Daumas :op.cit,pp 363,364.

لأزيد من شهرين [1].

وفيما يتعلق بوسيلة النقل التي يعتمدها المشاركون في القوافل فهي تشمل الجمل الذي كان له دور كبير جدا في النقل لأنه أقدر الحيوانات على تحمل الحر والعطش[2]،وقطع الصحراء،لأن لديه خاصية أرجل لا تغوص في الرمال وسريع عند الحاجة،وله ميزة خاصة في تركيبة عينيه فهو يرى الأشياء البعيدة قريبة،و يتميز بذاكرته القوية التي تساعده في معرفة الطريق إلى الآبار و أماكن المياه ،وله ميزة تخزين المياه للأيام الشداد كذلك[3]،وبالنسبة لتجار ورقلة فقد كانوا يشترون أو يستأجرون الجمال الضرورية من البدو،ثم يقومون بمعالجتها وتعليفها لتكون بصحة جيّدة تساعدها في عبور الصحراء[4].

وبعد الانتهاء من تحضير كل مستلزمات الرحلة التي تحتاجها لاجتياز الصحراء الكبرى من غداء وماء، وتوفير الحراس والأدلاء، تنطلق هذه القوافل من أحد المحطات الصحراوية الكبرى الواقعة على أطرافها كغدامس، ورقلة ،توات- التي كانت محطات استقبال للبضائع والقوافل معا من الشمال والجنوب على حد سواء -[5]نحو وجهتها المقصودة إما في فصل الشتاء أو الخريف وذلك لتجنب الحرارة المرتفعة، والموت عطشا في الصيف،فقد أشار ابن حوقل إلى أن: « الصحراء لا تسلك إلا في الشتاء...»[6]،بينما ذكر الإدريسي أن القوافل تجتاز الصحراء في فصل الخريف صباحا، وتتابع سيرها إلى غاية اشتداد الحرارة،حيث تتوقف القوافل للاستراحة وتنصب الخيام لغاية انخفاض الحرارة،ومرور

[1] لطيفة بشاري:**العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد (7-10هـ/13-16)**،منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،2011،ص78.

[2] إبراهيم مياسي: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912)**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1990،ص22.

[3] D.Armagnac:**Le Mzab et les Pays Chaamba**,Edi : Baconnier,paris,1934,p194.

[4] J.Letilleux :op.cit,168.

[5] جميلة بن موسى:مرجع سابق،ص62.

[6] أبي القاسم بن حوقل النصيبي :**صورة الأرض**، منشورات دار المكتبة الحياة،بيروت،لبنان،1992م،ص100.

وقت الزوال ،لتستأنف بعدها السير مجددا،إلى غاية حلول الظلام فتتوقف ثانية وتخيم من جديد حتى طلوع الفجر لتنطلق في السير مرة أخرى.[1]

وتختلف مسافة السير التي تقطعها القوافل من فصل لأخر،فقوافل الشتاء تقطع مسافة أربعين كيلومتر بسبب قصر اليوم في هذا الفصل،وتُقطع صباحا ليستريح الجمال ليلا،بينما تصل المسافة التي تقطعها القوافل في فصل الصيف إلى حوالي الخمسين كيلومتر،ويكون السير فيها من السادسة مساءا إلى التاسعة صباحا،بسبب الحرارة المرتفعة في فصل الصيف،ولأن الظروف قاسية في الصحراء فان هذه القوافل لا تسلك طريقا مستقيما واضحا،وإنما تمر بعدة منعرجات الغاية منها المرور على أبار المياه،والمراعي والواحات[2]،وقد كانت تتألف القافلة من عدة جمال،حسب كمية البضائع وحسب عدد المشاركين بها،فقد قدّر ابن خلدون عدد الجمال المشاركة بأحد القوافل في عهده باثنا عشر ألف جمل،والإدريسي كذلك ذكر أن احد القوافل التي شاهدها تضم من سبعين إلى مائة جمل[3].

وبالنظر إلى عدد الأفراد المشاركين في هذه الرحلة، والأعداد الكبيرة للجمال المستعملة في نقل البضائع نلاحظ مدى عمق النشاط التجاري القائم بين ضفتي الصحراء، رغم الصعوبات الكبيرة التي تواجههم في هذه الصحراء الموحشة،[4] لكن هذه الصحراء وعلى الرغم من قساوتها طبيعيا فإنها لم تكن حاجزا بين بلاد المغرب وبلاد السودان،بل شكّلت همزة وصل بين المنطقتين على الدوام[5].

[1] محمد زنبير: **تجارة القوافل في المغرب**،مقال ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية،بغداد1404هـ/1984م ،ص181.

[2] محمد حوتية:توات والقوافل التجارية،مرجع سابق،ص36.

[3] محمد زنبير:مرجع سابق،ص182.

[4] عبد القادر زبادية:الحضارة العربية...،مرجع سابق،ص28.

[5] Mourice Délafosse:**Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges**, R.H,vol4, 1924,p153.

وبعد رحلة طويلة عبر الصحراء دامت شهرين أو ثلاث[1]،تصل قوافل الشمال الإفريقي لبلاد السودان بعد رحلة طويلة مثقلة بالمخاطر والصعوبات حيث تستقبل استقبالا كبيرا بالطبول من طرف السودانيين الذين كانوا ينتظرون قدومها بسلع الشمال مدة سنة[2].

وبوصول القوافل التجارية إلى بلاد السودان تباشر استبدال سلعها بالسلع السودانية،وبمجرد الانتهاء من هذه الممارسات التجارية ،تستعد للعودة نحو الشمال بعد المكوث فيها قرابة الثلاث أشهر[3]،أين تجد الأهالي في انتظارها بترقب،كل واحد يلبس أجمل ثيابه،الأعلام ترفرف والموسيقى تقام،والنساء يزغردن،والعديد من الناس خرجوا لملاقاة القافلة بعد غياب طويل،وشيئا فشيئا تُنزَّل الحمولة عن الدواب والبضاعة ترتّب،والمسافرون يُستقبلون بوجبة لذيذة من طرف عائلاتهم أو أصدقائهم،وفي الغد يتوجه المشاركون في الرحلة للمسجد لأداء الصلاة ثم يوجهون الشكر لقائد القافلة الذي أعادهم سالمين،من الجوع والعطش ومن قطاع الطرق،ليبقى بعدها حساب الأرباح وتصفية الحسابات.[4]

والجدير بالذكر أن هذه القوافل التجارية لم تكن لتقطع مسافات طويلة في صحراء شاسعة بهذا العدد الكبير من التجار لولا تضافر جملة من العوامل التي ساعدت على تنشيط هذا التبادل التجاري وبعث جسور التواصل الحضاري بين الطرفين،والتي انتهت بانتشار الدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية بهذه المنطقة،ومن هذه العوامل نجد:

وفرة المياه على طول الطريق المؤدي إلى السودان الغربي من عيون وآبار ارتوازية،[5] وقد أكّد

[1] عمر عبد الرحمان الماحي: مرجع سابق،ص66.

[2] جميلة بن موسى: مرجع سابق،ص 73.

[3] عبد الحميد جنيدي:**مدينة تنبكتو ودورها الحضاري خلال القرن10هـ/16م**،مذكرة ماجستير تحت إشراف د.عبد القادر زبادية،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2008-2009م ،ص29.

[4] J.Letilleux :op.cit,170.

[5] عبد الرحمان الماحي: مرجع سابق،ص66.

البكري ذلك في قوله: «إن الماء متوفر في الصحراء ويوجد على مستوى مسيرة يومين أو ثلاثة أيام من وادي درعة إلى وادي تارجا،ومن جبل إدرار مجابة ماؤها على ثمانية أيام وهي المجابة الكبرى....»[1]، كما كان لبعض القوى السياسية ببلاد المغرب دور كبير في دعم هذا التواصل التجاري بين المنطقتين،من خلال توفير الجو الأمثل لسير القوافل التجارية ، كالوالي عبد الرحمان بن الحجاب الذي أمر بحفر الآبار في الطريق التجاري الذي كان يمر من السوس إلى أودغشت[2]،ويؤكد هذا الإجراء حديث المقري التلمساني عن جده التاجر في قوله:«ثم اشتهرت ذريته على ما ذكر من طبقاتهم بالتجارة،فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار،وتأمين التجار....»[3]،كما لا يخفى أيضا جهود الدويلات التي نشأت ببلاد المغرب في توفير المياه للقوافل من بينها الدولة الرستمية، الموحدية،الحفصية،الزيانية[4]،وذلك لما كانت تدره عليها هذه التجارة من أرباح طائلة[5].

4- المخاطر التي تواجه القوافل:

كان اجتياز الصحراء الكبرى[6]عملية صعبة وشاقة[7]،فقد كانت هناك العديد من الصعوبات والمشاكل التي تواجه القافلة في هذه الرحلة الطويلة في أعماق الصحراء منها ماهو طبيعي والبعض الآخر سياسي أو أمني ومن بينها:

---

[1] البكري:مصدر سابق،ص175.

[2] عباس كريم عبد: **الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي** ،مجلة كلية التربية الأساسية،جامعة بابل،العراق، ع4, 2010م ،ص ص 48.47.

[3] بشار قويدر: **القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجارة وآثارها)**، مجلة طريق القوافل ،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر،2001م.

[4] عبد الرحمان الماحي:مرجع سابق،ص69.

[5] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص28.

[6] الصحراء الكبرى:تبلغ مساحة الصحراء الكبرى التي عبرها الكثير من العلماء والتجار والدعاة والعلماء على مر الأزمنة والعصور ثمانية ملايين كلم2،وتمثل أكثر من ربع مساحة إفريقيا،وتشمل النصف الشمالي للقارة،وتمتد على نحو 5600كم من الأطلسي إلى البحر الأحمر،وبعرض يقدر بنحو1900كم من الإقليم السوداني جنوبا حتى سلسلة جبال الأطلس الصحراوي شمالا،وتضم حاليا أجزاءمن المغرب،أقصى جنوب تونس،الجزائر،ليبيا،مصر،مالي،النيجر،ليبيا،تشاد،الصومال،إثيوبيا،جيبوتي.أنظر أحمد بوعتروس :**الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث 13هـ/19م**،دار الهدى ،الجزائر،2009 ، ص44.

[7] أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الأصطخري:**المسالك والممالك**،مطبع بريل،ليدن،1870،ص20.

– قلة المياه:

من المعروف أن مناخ الصحراء مناخ جاف ،يعرف بارتفاع درجة الحرارة وقلة التساقط،لذلك اجتيازها في هذه الظروف المناخية الصعبة يعد من الأمور الشاقة والمتعبة ،لاسيما وان صاحبها نقص في المياه،كما هو الحال في بعض المناطق التي لا تتوفر على المياه، فقد ذكر ابن حوقل أن مشكلة نقص المياه،كانت من ضمن المشاكل التي تواجه القوافل في طريقها نحو بلاد السودان في قوله:« بين المغرب وبلاد السودان مفاوز وبراري قليلة المياه ،متعذرة المراعي لا تُسلك إلا في الشتاء..»[1]،إضافة إلى أن الصحراء كانت تشهد رياحا جنوبية تتسبب أحيانا في جفاف مياه القرب، مما يدفع الرحالة إلى نحر جمالهم،وبقر بطونها وشرب ما فيه وتخزين بعض منه في هذه القرب التي جفّت.[2]

– العواصف والرياح:

تتسبب الرياح والعواصف الرملية في العديد من المشاكل للقوافل العابرة للصحراء ،حيث تساهم في تشتيت شملها ومحو آثار المسالك [3]وإحداث أضرار كبيرة لهذه القوافل،لأنها تحمل ذرات من الرمَال الدقيقة وتدفع بها إلى جسم الشخص المسافر كالسكاكين الحادة،فإن تراكمت حول الواقف قبرته في بضع دقائق،[4]وقد أشار مورو إلى أن رياح الجنوب داهمت أحد القوافل القادمة من تنبكتو،مكونة من ألفي شخص،وألف وثمانمائة جمل،فشربت المياه من طريقها ،فلم ينج منها أحد[5].

[1] ابن حوقل :مصدر سابق،ص103.

[2] ابن سعيد المغربي:مصدر سابق،ص113،أنظر: ابن بطوطة: مصدر سابق ،ص277.

[3] إبراهيم بحاز:مرجع سابق،ص269.

[4] خالد بلعربي:**تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط**،مجلة الواحات للبحوث والدراسات،ع15،جامعة غرداية،2011،ص38.

[5] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص163،هامش3.أنظر:فليكس جاكو:**حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية أفريل–ماي 1847**،تر: حليمي بابوش،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2013،ص195.

– التيه في الصحراء

يتسبب الضياع في الصحراء في هلاك القافلة ككل أو جزء منها في حال ابتعدوا عنها[1]خاصة وأن الرمال بها متحركة وتتسبب في طمس معالم الطريق،لذلك كان من أولى الأولويات اتخاذ دليل على خبرة ودراية بالمسالك وحركة الرمال[2]،فقد توهَّم ابن بطوطة أن تلك الصحراء مليئة بالشياطين بسبب ما عاناه فيها من الرمال المتحركة والسراب،وكثرة التائهين فيها الذين لم يعرف لهم أثر[3]حيث يقول:«وتلك الصحراء كثيرة الشياطين،فإن كان التكشيف منفردا ،لعبت به واستهوته حتى يصل عن قصده فيهلك...»[4].

– قطاع الطرق:

تتعرض القوافل التجارية أثناء عبورها الصحراء لهجومات من طرف اللصوص وقطاع الطرق،كبعض البدو الرحل أو الطوارق[5]،الذين يهاجمون القافلة و يسلبون حمولتها،ولان القوافل تقطع مسافات طويلة في ظروف طبيعية صعبة للغاية،يلجؤون في كثير من الأحيان لسلك طرق معينة تتوفر على الآبار ومصادر المياه،وهو الأمر الذي استغله قطاع الطرق الذين يعيشون على السلب والنهب ،وسهل عليهم مهمة نهبها،وهو ما كان يتخوف منه التجار كثيرا،خاصة الذين تكرر معهم الأمر عدة مرات،مثل ما حدث لقافلة أولاد زياد التي فقدت كل حمولتها على يد اللصوص،أثناء مرورها من حاسي وشن وحاسي الغر ،مما جعلها تمتنع عن المشاركة في قافلة السنة المقبلة،وكان ذلك في بداية القرن العشرين[6].

---

[1] محمد زنبير:مرجع سابق،ص182.

[2] صلاح معيوف مفتاح:**جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن 2هـ إلى أواخر القرن3هـ**،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،ليبيا،2006،ص65.

[3] محمد بركات البيلي:**مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي في العصر الإسلامي**،مجلة المؤرخ المصري، جانفي 1889، ع3،ص77.

[4] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص243.

[5] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص141.

[6] محمدحوتية:توات والأزواد،مرجع سابق ،ص ص 149،167.

– ارتفاع ضرائب العبور:

لقد كانت القوافل التجارية تدفع الضرائب لبعض القبائل أثناء مرورها بالمناطق الخاضعة لها،مقابل حمايتها أو السماح لها باجتياز أراضيها بأمان،خاصة وان هناك قبائل تعيش على ما توفره لها هذه الضرائب[1]،غير انه بمرور الوقت أصبحت هذه الضرائب ترتفع باستمرار خصوصا بعد بروز المنافسة الانجليزية على الساحة وتحول طريق التجارة من طرابلس نحو المحيط الأطلسي [2]،مما جعل بعض القبائل تزداد جشعا ورغبة في الكسب الأكثر فتقوم برفع الإتاوات،وهو ما كان له انعكاس سلبي على المشاركين في القوافل،حيث كانوا يلجئون أحيانا إلى التراجع وعدم المشاركة في القوافل كل سنة،وأحيانا أخرى إلى تغيير الطريق تفاديا للمرور عبر هذه المناطق[3]،ويروي ابن بطوطة أن قافلته دفعت لطوارق الهجار مقابل السماح لها بالمرور حيث يقول:«..ووصلنا إلى بلاد هكار،وهم طائفة من البربر ملثمون،لا خير عندهم،ولقينا أحد كبرائهم فحبس القافلة حتى عزموا له أثوابا وسواها..»[4]..

لذلك وحفاظا على سلامة القافلة،وعملا على وصولها بأمان نحو وجهتها المقصودة،كانت تخضع القافلة لبعض الإجراءات الأمنية منها:

– توفير الأسلحة اللازمة للقافلة من أجل الدفاع عن نفسها تحسبا للأخطار التي تواجهها أثناء سيرها،لإرغام المهاجمين على التراجع.

–اختيار رجال أقوياء وأشداء،متعددي الانتماءات القبلية للمشاركة في القوافل لكي يكثر أنصارها،ويصعب الاعتداء عليهم.

–اتخاذ أدلاء على دراية بالممرات والمسالك ،و أماكن المياه،ومناطق تواجد قطاع الطرق،هويتهم وطرق هجومهم وتحركاتهم.[5]

---

[1] Morouy :op.cit,p163.

[2] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص141.

[3] إسماعيل العربي: مرجع سابق،ص61.

[4] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص277.

[5] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص142.

وهنا يبرز دور بعض الطرق الصوفية التي عملت على جعل منطقة الصحراء منطقة آمنة،حيث كان يلجأ إليها الأفراد والقوافل للحصول على تصاريح أو توصيات تحمل أختاما خاصة بها،يبرزها هؤلاء لقطاع الطرق،فيتركون سبيلهم،ويسمحون لهم بالمرور،وهو دليل على القوة والمكانة التي كانت تتمتع بها الطرق الصوفية.[1]

ب- النشاط التجاري لورقلة:

1-التجارة الداخلية:

كانت التجارة الداخلية تتم على مستوى الأسواق المحلية والجهوية،أو الحوانيت والمعارض السنوية،حيث يتم عرض المنتجات فيها،سواء كانت هذه المنتجات محلية أو مستوردة[2]،ولأن سوق ورقلة كانت تعد من أهم أسواق الجنوب الشرقي للجزائر فإنها كانت مقصدا للعديد من القبائل من مختلف أنحاء البلاد[3]،لعرض منتجاتهم المتنوعة والتزود بما يحتاجونه من سلع وبضائع غير متوفرة لديهم،فقد كان الرحل يعرضون في أسواقها منتجاتهم الخام من وبر وصوف وجلود،ويشترون ومنها السروج لخيولهم وبعض المصنوعات الأخرى[4]،كما أن قبائل الأرباع،وأولاد سيدي الشيخ،وشعانبة متليلي وبني ميزاب وبني علال تقصد ورقلة باستمرار [5]،خاصة فصل الخريف الذي تكون فيه أسواقها عامرة ،لأنه موسم جني التمور،الذي تكون فيه القبائل البدوية مستقرة بالمدينة.[6]

أما تجار ورقلة فقد كانوا يتجولون في أسواق المدن الصحراوية والتلية ،من اجل الحصول على بعض المنتجات الأساسية التي يحتاجونها في استخداماتهم اليومية،أو لإعادة بيعها في أسواق السودان

---

[1] عطية مخزوم الفيتوري:**دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)**،دار الكتب الوطنية،بنغازي ليبيا،ط1،1998 ،ص ص 108،109.

[2] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 45،65.

[3] يمينة بن صغير حاضري:مرجع سابق،ص226.

[4] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص210.

[5] Daumas :Le Sahara…,op.cit.p 84 ,85.

[6] عبد الحميد زوزو: محطات .. ،مرجع سابق،ص ص 90،91.

الغربي كالمرجان والأسلحة المستوردة من أوروبا ،أو المصنوعة في قسنطينة أو الزيبان وميزاب حيث تباع مجددا في تنبكتو[1].

وتعد أسواق ميزاب من أهم الأسواق الداخلية التي ترتادها بعض القبائل الورقلية كقبيلة المخادمة،وشعانبة بوروبة التي تبيع لها بعض السلع وتشتري منها ماتحتاجه .[2]

ولأن ورقلة قد ربطتها علاقات تجارية كبيرة مع بلاد السودان الغربي،فقد جعل ذلك منها مركزا تجاريا ضخما في قلب الصحراء،يتوافد عليه التجار من مختلف المناطق سواء من المناطق الداخلية التلية والصحراوية،أو الخارجية من بعض البلدان المغاربية،خاصة وأنها تموّن هذه المناطق بالعبيد الذين يتم جلبهم من السودان الغربي وهو ما أكده ابن سعيد المغربي في قوله:«...وهي بلاد نخيل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية.»[3]،وهي التجارة المربحة التي ساهمت في غنى المدينة وتطورها اقتصاديا،فسعر العبد الواحد في أسواق إفريقيا الذي كان يتراوح مابين مائة وخمسين إلى مائتي فرنك ،يصعد إلى أربعمائة أو خمسمائة فرنك بمجرد وصوله للمدن الصحراوية الجزائرية،ويعود ذلك للطلب الكبير عليه،والصعوبات والمشاكل التي كان يواجهها التاجر في رحلته نحو السودان الغربي ،والتي كانت تؤخذ بعين الاعتبار بلا شك.

ويعود الفضل في ازدهار التجارة بورقلة إلى دعم وتشجيع الحكومات لهذه الأسواق،رغبة منها في فرض سلطانها على السكان ،إضافة إلى أن ورقلة كانت محطة هامة تقف عندها القوافل التجارية المتجهة نحو المشرق أو السودان الغربي[4].

وقد أشار العياشي إلى حجم النشاط التجاري الكبير الذي كانت تشهده ورقلة ،حين حل بها في طريقه للمشرق حيث صادف وجوده بها دخول قافلة من أعراب الأرباع تحمل سمنا وغنما وزرع

[1] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق ص166.

[2] Daumas :op.cit,83.

[3] ابن سعيد المغربي:مصدر سابق،ص126.

[4] ناصرالدين سعيدوني:**النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-1830)**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، ط2،1985ص38.

وابل ،اشترى الناس ما يحتاجونه منها بأرخص الأثمان،وفي اليوم الذي بعده دخلت قافلة أخرى كذلك تحمل مثل الأولى وأكثر،واشترى منها الحجاج كذلك غنما كثيرا.[1]

2-التجارة الخارجية:

أما فيما يتعلق بالتجارة الخارجية لمدينة ورقلة،وبحكم موقعها الجغرافي الذي يربط طرق التجارة الصحراوية بين الشرق والجنوب الشرقي[2]،وبلدان إفريقيا ما وراء الصحراء، فقد كانت تربطها علاقات تجارية هامة مع السودان الغربي،ومختلف البلدان المغاربية كتونس وليبيا والمغرب.

وقد أمدنا المؤرخون والرحالة الذين زاروا المدينة بمعلومات هامة وقيمة حول طبيعة التجارة القائمة بها،وعن علاقاتها مع مختلف البلدان الإفريقية،فالإدريسي أشار إلى العلاقة التي كانت تربط ورقلة ببلاد السودان،وتجارها الذين كانوا يتجولون في بلاد غانا وونقارة،التي يجلبون منها التبر،ويحملون إليها الفواكه[3]،بينما ذكر الحسن الوزان في حديثه عن المدينة أن منازلها جميلة ،وبها صناع كثر، وسكانها أغنياء [4]بسبب اتصالهم وارتباطهم الوثيق بأقدز وونقارة من أجل الحصول على التبر وسَك العملةمنه[5]ومن أهم الأسواق التي يتردد عليها تجار ورقلة سوق تنبكتو،كاتشنة،أغادس،أحير،[6]فالنشاط التجاري الواسع الذي ربط ورقلة ببلاد السودان يعود إلى الأرباح الكبيرة التي كان يحققها التجار من هذه التجارة،فهناك مقولة كانت سائدة بورقلة يقول:«إذا كان علاج جرب الجمل القطران،فإن علاج الفقر السودان»[7].

---

[1] العياشي:مصدر سابق،ج1،ص114.

[2] عبد الحميد زوزو:مرجع سابق،ص83.

[3] الإدريسي:مصدر سابق،ج1،ص 21.

[4] الحسن الوزان:مصدر سابق،ج2،ص136.

[5] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق ،ص300.

[6] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص182.

[7] J.Letilleux :op.cit,p165.

إن العلاقات التي جمعت مدينة ورقلة ببلاد السودان تعود إلى القدم وتجلت أكثر في عهد الممالك والإمبراطوريات التي نشأت بالمنطقة كمملكة مالي،[1] و إمبراطورية غانا،[2] و سنغاي.

كما امتد النشاط التجاري لورقلة ليشمل البلدان المغاربية ،كتونس التي وبحكم قربها جغرافيا من ورقلة،كان التبادل التجاري معها نشيطا للغاية،حيث كان تجار ورقلة كغيرهم من تجار الجنوب الشرقي للجزائر يتوجهون إليها باستمرار وبشكل يومي في غالب الأحيان لبيع منتجاتهم أو المنتجات التي تصلهم من أسواق التل،وشراء ما يحتاجونه منها خاصة السلع المستوردة من أوروبا ،وذلك من أجل

[1] كانت مملكة مالي من أقوى الممالك الإسلامية التي ظهرت بالسودان الغربي ،وعملت على توحيد قبائله في القرن السابع هجري ، الثالث عشر ميلادي،وتوسعت لتشمل أجزاء واسعة من بورنو شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا،ومن جنوب المغرب الأقصى شمالا إلى ما يقرب المحيط جنوبا، متألفة من خمسة أقاليم هي غانة،صوصو،كوكو،تكرور،مالي،عرفت مالي ازدهار ورخاء اقتصاديا كبيرا بفعل انفتاحها على العالم الإسلامي سياسيا واقتصاديا وثقافيا بفعل ثرواتها الطبيعية الكثيرة والمتنوعة.أنظر: صلاح الدين المنجد: **مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**،دار الكتاب الجديد،بيروت،لبنان،ط1982،2،ص5.أحمد الشكري:**الإسلام والمجتمع السوداني.إمبراطوريةمالي(1230–1430)**،المجمع الثقافي،الإمارات،ط1،1999،ص193.

Gouvernement général de l'Afrique occidental Francaise :**Notice sur la région de Tombouctou**,Saint Louis imprimerie,1896,pp4,5.

[2] كانت أول إمبراطورية ذات نفوذ إسلامي ظهرت بغرب إفريقيا في العصور الوسطى،اقتبست تسميتها من مدينة غانا التي كانت عاصمتها،وفي لغة قبيلة السوننكي كلمة غانا تعني القيادة العسكرية،لذلك أطلقت التسمية على المدينة التي كانت مركزا للقيادة،و اشتهرت غانا بمعدن الذهب الذي كان يتواجد ببلاد ونقارة،التي كانت جزء منها،وتبعد عنها بمسيرة ثمانية أيام،لكن غانا فقدت أهميتها كمركز تجاري بعد سقوطها على يد المرابطين،وانصرف عنها التجار المغاربة،بحيث توجهوا شرقا نحو جني وتمبكتو وغاو. محمد فاضل على باري سعيد كريدية:**المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**،دار الكتب العلمية،لبنان،ط1،2007 ،ص ص 57،58. عبد العزيز الحلوي:**الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال كتب بعض الرحلات**،مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة،منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس،ليبيا ،1999،ص 431. الشيخ الأمين عوض الله: **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**،(كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،معهد البحوث والدراسات العربية،بغداد1404هـ/1984م ص77.

إعادة بيعها في الأسواق الداخلية أو السير بها نحو بلاد السودان وقد أشار مورو إلى أن أسواق الجنوب الشرقي للجزائر بما فيها ورقلة كانت علاقاتها التجارية مع تونس أكثر من المدن التلية[1].

و فيما يتعلق بالتبادل التجاري مع المغرب الأقصى ،فقد كان محدودا بسبب بعد المسافة،وعدم وجود ما يستوجب تنقل القوافل بشكل مستمر،فالقوافل التي تخرج من ورقلة كانت تصل إلى تافيلالت كأخر محطة تبيع فيها منتجاتها وتتزود بما تحتاجه تم تعود أدراجها،[2]كما أن وقوع ورقلة على خط الطريق المؤدي إلى المشرق،قد جعل قوافل الحجيج المغربية تمر عبرها وتقف لتستريح عندها ،وما من شك أنها تتزود من أسواقها بما تحتاجه قبل الانطلاق مجددا،وهو ما أكده العياشي الذي مكث فيها يومين في قوله:« وكان من لطف الله بالحجاج أن صادف دخولهم دخول قافلة من أعراب الأرباع قدمت بسمن كثير وغنم وابل وزرع،اشترى الناس ما احتاجوه بأرخص ثمن،وقدمت أخرى بعدها بيوم تحمل مثل ذلك وأكثر،فتنعم الناس باللحم والتمر والسمن،واشترى الحجاج غنما كثيرا حتى كأن تلك الليالي التي أقاموها منى من كثرة اللحم.»[3]

أما ليبيا فهي الأخرى كانت مقصدا لتجار ورقلة ،الذين يتوجهون لأهم سوق بها في مدينة غات الذي يعقد مرة كل سنة،حيت يلتقون هناك بقوافل تونس،مصر،طرابلس ،ويعرضون فيه سلعهم للبيع،ويشترون ما يحتاجونه منها ،كما وجدت بعض المحطات التجارية التي تقف عندها قوافل ورقلة في طريقها نحو بلاد السودان كغدامس،مرزق، وقد أشار كارات إلى وجود علاقة قوية ربطت ورقلة بغدامس ،بسبب المنافسة التي كانت بين الوادي وغدامس.[4]

المبحث الثالث:المسالك والمراكز التجارية:

أ-المسالك التجارية: كانت المسالك بمثابة الوسيلة الكبرى لإقامة علاقات تجارية،لذلك كان يراعى في اختيارها بعض الشروط كقربها واتساعها،وتوفر المياه ومحطات الاستراحة بها،وانتشار الأمن في

[1] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق، ص ص159،103.
[2] المرجع نفسه،ص ص 175،176.
[3] العياشي :مصدر سابق،ص114.
[4] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 179.180.

أرجائها[1]،وقد كانت قوافل ورقلة التجارية تسلك في طريقها إلى بلاد السودان أو المغرب مسالك محددة بعضها تابت،و الأخر متغير لجملة من الأسباب أملتها الظروف الطبيعية،أو تحكمت فيها القبائل المسيرة،ومن بين هذه المسالك:

1- المسالك نحو بلدان المغرب:

- نحو المغرب الأقصى[2]:

كانت قوافل ورقلة المتجهة إلى المغرب ،تتبع الطريق الجنوبي الذي ينطلق من ورقلة ويمر عبر القرارة وغرداية ثم متليلي[3] وصولا إلى فقيق،ثم تافلالت،التي كانت المحطة الأخيرة التي يقفون عندها للتبادل التجاري [4]ثم العودة .

- نحو تونس وليبيا[5]:

تعددت المسالك التي تربط مدينة ورقلة بأسواق تونس وليبيا،فالطريق إلى تونس كان منظما بدقة ،حيث كان التاجر لا يجد مشكلة في التنقل أبدا ومن بين هذه المسالك:

-طريق ورقلة الوادي نفطة:

ينطلق هذا الطريق من ورقلة نحو الوادي ويمر عبر عدة مناطق،فمن الوادي وقمار نحو قفصة لا تتجاوز مسافة السير الثلاث أيام،ليمر بعدها إلى نفطة التي لا يستغرق الوصول إليها أكثر من خمسة أيام.

---

[1] صالح بوسليم:**إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 18و19الميلاديين**،المطبعة العالمية،غرداية، الجزائر،ط1، 2015، ص208.

[2] انظر الخريطة بالملحق 04 ص 155.

[3] إحدى بلديات غرداية،تبعد عنها ب45كيلومتر.

[4] Rozet et Carette :**l'Algérie**,paris,1850,p312.

[5] انظر الخريطة بالملحق 05 ص 156.

-طريق ورقلة الفيض نفطة غدامس:

أهم ما يمز الطريق نحو نفطة هو انتشار العمران وأبار المياه،وبالتالي لا تتعرض القافلة فيه لخطر الطبيعية،على عكس الطريق نحو غدامس الذي كان محفوفا بالمخاطر بسبب زحف الرمال الذي يتسبب في كثير من الأحيان في طمس معالم الطريق وآبار المياه الموجودة بها.

-طريق ورقلة غدامس غات:

يعد الطريق من ورقلة إلى غدامس من الطرق الصعبة ،حيث كانت القوافل التجارية تقطعه في ظرف عشرة أيام، مع معاناة من نقص المياه الذي كان لا يوجد بها إلا بعد ثلاثة أيام من السير عبر الفيافي[1]،ومن غدامس إلى غات مسافة 20أو 21يوما لايوجد بها الماء في الطريق إلا مرتين أو ثلاثة[2]

2- نحو بلاد السودان[3]:

لقد القوافل التجارية تنطلق من ورقلة وتخترق الصحراء الكبرى من جوانبها المتعددة ،من الشمال إلى الجنوب أو العكس، وتعددت الطرق المؤدية إلى بلاد السودان وكان البعض منها تابثا والبعض الآخر متغيرا وفق ما تمليه الظروف حينها، ومن أهم هذه المسالك نجد:

-طريق ورقلة إلى غاو:

يعد من أهم الطرق التجارية نحو بلاد السودان حيث كان [4]متصلا ببعض المدن الشمالية كسكيكدة،بجاية وغيرها،وأحيانا تمر عبره بعض قوافل الجريد التونسية للوصول إلى السودان الغربي [5]،

[1] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 156،157.

[2] فيليكس جاكو:مرجع سابق،ص205.

[3] انظر الخريطة بالملحق 05 ص 156.

[4] محمد محمود: **العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى**،مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م)،مراجعة:عبد الحميد عبدالله الهرامة،منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس،1999،ص56.

[5] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص29.

وفي طريقها إلى غاو كانت قوافل ورقلة تتوقف للاستراحة في تادمكت[1] التي تفصلها عن ورقلة مسيرة خمسين يوما،[2]وقد كان هذا الطريق يعج بالأعداد الهائلة للقوافل التجارية.[3]

-طريق ورقلة غات أحير أغادس:

بعد السير لمدة ثلاثة وسبعين يوما تقطعها القوافل من ورقلة نحو غات ،تصل هذه القوافل إلى أول محطة سودانية وهي أحير ،بعد مشاكل وصعوبات واجهتها في الطريق من رمال متحركة وهجمات من قبائل الطوارق والخنافسة، لتنطلق بعدها في السير لمدة سبعة أيام لكي تصل نحو الوجهة الثانية وهي مدينة أغادس التي لا يوجد الماء في الطريق نحوها إلا مرة واحدة،حيث تقف القوافل عندها للتبادل التجاري[4]،وتعتبر أغادس من أهم أسواق السودان الأوسط التي يتردد عليها تجار ورقلة باستمرار،فقد ذكر الحسن الوزان أن غنى سكان ورقلة يعود إلى علاقتهم بها حيث كانوا يجلبون منها التبر[5].

-طريق ورقلة عين صالح المبروك تنبكتو[6]:

كان هذا الطريق ينطلق من ورقلة و يمر عبر عدة مناطق منها امقيد وتيميساو،وايفراون وصولا إلى مبروك تم تنبكتو ،وهو الطريق الذي مرّ عبره الرحالة فلاترز[7].

---

[1] تقع شمال غاو على بعد تسعة أيام منها، وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب،أهلها بربر مسلمون،بناياتها أحسن من مدينة غانا وكوكو،ومعنى تادمكت مكة انظر:البكري:المصدر السابق،ص 181

[2] نفسه،ص182.

[3] J.Letilleux :op.cit,p160.

[4] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص 162.أنظر: فليكس جاكو:مرجع سابق،ص205

[5] الحسن الوزان:مصدر سابق،ص136.

[6] محمد حوتية:توات والأزواد..،مرجع سابق،ج1،ص 173.

[7] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص112.

ب–المراكز والمحطات التجارية:

1–المغاربية:

امتد النشاط التجاري لمدينة ورقلة ليصل إلى عدة أسواق ببلاد المغرب،حيث كانت قوافلها التجارية تصل إلى هذه الأسواق محمَّلة بالعديد من المنتجات المحلية أو المستوردة ليتم بيعها أو مقايضتها بسلع أخرى تحتاجها للاستهلاك المحلي أو التصدير إلى بلاد السودان،ومن أهم هذه المراكز التجارية نجد:

– غدامس:

تقع غدامس في الجنوب الغربي ،من مدينة طرابلس،وتبعد عنها بحوالي ثلاثمائة كيلومتر[1]،تلتقي حدودها مع كل من تونس والجزائر ،ولان موقعها استراتيجي ،فقد جعل منها مركزا تجاريا هاما منذ عهود غابرة [2]تعود إلى الفترة الرومانية،أما في الفترة الإسلامية فقد شكلت غدامس محطة أساسية ومركزا تجاريا له دوره في تسهيل مرور قوافل التجارة الصحراوية بين الشمال والجنوب،ودعم التواصل التجاري بين تونس والجزائر حيث كانت تلتقي قوافلهما بأراضيها ثم ينطلقون سويا نحو بلاد السوادن[3]،لأن موقعها كان في مفترق طرق القوافل بين طرابلس،تونس والجزائر،[4] وهو ما ساهم في تنشيط التجارة بين ضفتي الصحراء على مدى قرون ،فضلا عن كونها محطة هامة تحط عندها قوافل

[1] الهادي المبروك الدالي: مرجع سابق،ص 296.

[2] Ulrich Haarmann :**The dead ostrich life and trade in Ghdames(Libya) in the nineteenth centry**,die.welt des Islams,news series,vol 38,1998,p p9.10.

[3] مفتاح يونس الرباصي:**ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى**،مجلة الساتل، جامعة 7أكتوبر، ليبيا،ص ص 94،95.

[4] صلاح الدين حسن السوري:**العلاقات بين ليبيا وشعوب الصحراء في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من خلال بعض الوثائق العثمانية**، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس،ليبيا، 1999 م,ص208.

الحجيج المغاربية وهو ما جعلها تنال حظها من الشهرة والثراء[1]،كما كان لتجارها دور كبير جدا في تسيير تجارة القوافل لحسابهم ،فقد ذكر ابن بطوطة انه في طريقه إلى تكدة توجه رفقة قافلة للغدامسيين[2]،ومن حيث الإنتاج فإن أهم ما اشتهرت به غدامس هو الجلود المدبوغة والتي عرفت بجودها ،وقد أشار إليها الحموي في معجمه حيث يقول:«...تدبغ فيها الجلود الغدامسية،وهي من أجود الدباغ لاشيء فوقها في الجودة،كأنها ثياب الحز في النعومة والإشراق»[3].

أما فيما يتعلق بقوافل ورقلة والجنوب الشرقي للجزائر فقد كانت تصل إلى غدامس لبيع منتجاتها والحصول على بعض البضائع السودانية[4]كالعاج،والشمع،والبخور ،والأقمشة القطنية،والمسك والعسل،فالرحالة لارجو الذي زار المدينة ذكر انه صادف وجوده بها دخول قافلة محملة بمائة غزال،وقافلة أخرى مكونة من خمس جمال محملة بلحم الغزال الذي كانت تحمله إليها قبائل السوافة والشعانبة المشهورين ببيع لحوم الصيد[5].

– غات:

كانت غات عاصمة لسلطنة أزقر التارقية،وهي تقع في الجنوب الغربي لليبيا، على خط الطريق التجاري الرابط بين شمال وجنوب الصحراء الكبرى، وهو ما جعل القوافل التجارية العابرة للصحراء تصل إليها من تونس وطرابلس[6]وورقلة،حيث شكّلت همزة وصل بين الشمال والجنوب، الشرق والغرب،لأن قوافل هذه المناطق كانت تقف عندها للاستراحة والتزود بالمؤونة ،بعدما هيأ الطوارق

[1] عمار حجيدر:**واحة غدامس منطلقا للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحراء(ملاحظات أولية من خلال مخطوط تذكير الناسي)**، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس 1999،ليبيا،ص ص 239،240.

[2] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص272.

[3] ياقوت الحموي:مصدر سابق،ج4،ص187.

[4] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص.157

[5]V. Largeau : le Sahara Algérien… ,op.cit,p p 245 ,246.

[6]محمد سعيد القشاط:**صحراء العرب الكبرى**،دار الرواد للنشر،ليبيا،ط1،1994،ص29.

الموجودين بها الجو الأمثل و الظروف الملائمة للمرور عبر أراضيهم،من خلال توفير الأمن والحماية لهم ،لأن مصدر عيشهم مرتبط بهذه القوافل التجارية[1].

وفيما يتعلق بتجار ورقلة،فقد كانت غات وجهتهم الهامة التي يقفون عندها ويمرون عبرها باستمرار للوصول إلى بلاد السودان [2]،خاصة في القرن التاسع عشر حيث كانت غات حينها مركزا تجاريا هاما يمكن الانطلاق منه نحو وجهات متعددة ،كمرزق مركز فزان،أو عين صالح مركز الصحراء الغربية،ومنها نحو تمبكتو أو المغرب،لذلك كانت هذه المدينة محل أطماع من فرنسا بسبب أهميتها الاقتصادية الكبيرة[3].

– مرزوق:

كانت مرزوق قاعدة فزان الكبيرة،التي تبعد عن طرابلس بمقدار ثلاثين يوما سيرا للقوافل،فقد كانت محطة للقوافل الصحراوية والسودانية على حد سواء،لأنها واقعة في منتصف الطريق المؤدية لبرنو،لذلك كانت تأتيها القوافل من مصر وتوات،وقوافل الحجيج المغربية التي كانت تمكث بها مدّة من الزمن للبيع والشراء،ثم إكمال طريقها،وبذلك ازدهرت ونمت التجارة بها حتى بلغت حدا كبيرا من الرفاهية[4]،لدرجة أن هناك بعض الآراء تشير إلى أن مرزوق أخذت ما كان لجرمة من دور متميز في تجارة القوافل ،عندما كانت جرمة عاصمة للجرامانت في العصور الوسطى ،وذلك بفضل موقعها الجغرافي المتميز ،فمن جهة تقع في وسط الصحراء ولها صلات مع باقي المناطق الجنوبية

[1] مفتاح يونس الرياصي:مرجع سابق،ص 95.

[2] عبد الرحمان الماحي:مساهمة القوافل في نشر اللغة العربية.. ،مرجع سابق،ص 66.

[3] عبد الرحمان تشايجي: **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**،تر:علي اعزايزي،دار الكتاب للنشر،ليبيا،ط2، 1993،ص ص55،56.

[4] نقولا زيادة:**إفريقيات**،دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي،رياض الريس للنشر،لندن،ط1،1991،ص ص 261.259.

كسبها،النطرون ،زويلة،غات غدامس ومن جهة أخرى شكلت مركز الاتصال مع المحطات والمراكز التجارية لإفريقيا ما وراء الصحراء كبرنو وكانم .[1]

لكن وبعد قرون طويلة عُرفت بها مرزوق كعاصمة اقتصادية لفزان،وكمركز كبير لتجارة الرقيق يربط طرابلس بالتشاد، تدهورت أوضاعها الاقتصادية،بعد صدور قرار تحريم الاتجار بالبشر،الذي كان يعد أهم نشاط يمارسه تجارها،وكان من بين الرحالة الذين زاروها الألماني هنري بارث[2] سنة 1851م،حيث قدَّر عدد سكانها بحوالي الثلاثة ألاف نسمة حينها،والتي تضاءلت ،وصارت لا تتجاوز الأربعمائة نسمة بعد احتلالها من ايطاليا.[3]

– فقيق:

تقع فقيق على بعد مائتين وخمسون ميلا شرقي سجلماسة،وهي عبارة عن ثلاث قصور في وسط الصحراء يحيط بها عدد كبير من النخيل،يمارس بعض سكانها التجارة مع بلاد السودان،اشتهرت بصناعة النسيج الذي كان يوجه إلى فاس وتلمسان ويباع بأثمان مرتفعة لجودته[4]كانت تقصدها القبائل من كل جهة لكونها تتصل شمالا بفاس وغربا بتافيلالت وجنوبا وشرقا بأسواق الجزائر،وكانت ساحة المدينة بها تشرف على أزيد من ثلاثمائة حانوت [5]كانت من أهم المراكز التجارية المغربية التي يقصدها تجار الشرق الجزائري خاصة ورقلة وقسنطينة وبسكرة[6].

---

[1] محمد المبروك يونس:**موضوعات من التاريخ العربي الإفريقي**،اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام،دار الكتب الوطنية،بنغازي ،ليبيا ، 2007،ط1،ص98.

[2] هنري بارث: رحالة ألماني جنده الإنجليز لتقديم معلومات عن ليبيا وغرب إفريقيا،ولرصد القبائل والشخصيات القيادية في المنطقة،ورصد آبار المياه،ورسم خرائط للطرق ووصل إلى تنبكث وأغادس.أنظر:محمد محمود الأرواني:**تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان**،تق و تح:الهادي المبروك الدالي،دار الكتب الوطنية،ليبيا،2010،ص 181،هامش1.

[3] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص132.

[4] الوزان:مصدر سابق،ص ص 132،133.

[5] محمد العربي الزبيري: مرجع سابق،ص176،هامش1.

[6] نفسه،ص188.

– تافيلالت:

تقع تافيلالت في الجنوب الشرقي للمغرب الأقصى،و تتكون من مجموعة من الواحات التي تصل إليها القوافل التجارية القادمة من الصحراء باتجاه المغرب،ويعود تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي حين كانت سجلماسة العاصمة الروحية والتجارية لهذا الإقليم،وتعتبر تافيلالت كذلك مركزا تجاريا ذا أهمية كبرى استمرت لعدة قرون ،فكان يتم من خلاله التبادل التجاري بين الشمال والجنوب،حيث كان يمر عبرها الذهب والتوابل والعبيد من و إلى السودان الغربي[1]،وقد أشار إليها الرحالة العياشي في حديثه عن توات قائلا:« وسبب إقامتنا في هذه البلاد في هذه المدة أن كثيرا من الحجاج لما غلا صرف الذهب في تافيلالت أخّروا الصرف إلى توات،فان الذهب فيها أرخص...»[2].

وقد كانت تافيلالت من الأسواق التجارية الهامة التي يرتادها تجار ورقلة ،والمحطة الأخيرة في المغرب التي تقف عندها قوافلهم،للتبادل التجاري معها ثم العودة إلى ورقلة بعدها[3]،حيث ظلّت على نشاطها التجاري كمركز يستقطب القوافل التجارية حتى بعد الاحتلال الفرنسي لتوات وتندوف.[4]

2–المراكز السودانية:

– جني:

تقع جني جنوب غرب تنبكتو،وتفصلها عنها مسافة ستمائة كيلومتر[5]،وتعد من أهم مدن سنغاي ،تأسست في القرن الثالث الهجري،وانتشر الإسلام في أوساط سكانها بعد إسلام ملكها

---

[1] نبذة عن تاريخ تافيلالت ،**http://www.oasistafilalet.ma/ar/main.php?id=113** اطلع عليه يوم**2015/08/05**م. على الساعة **14:25**.

[2] العياشي:مصدر سابق،ج1،ص 79.

[3] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص176.

[4] خديجة الراجي: **التجارة الصحراوية توابت ومتغيرات**،مقال بكتاب مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية،تنسيق:رحال بوبريك،دار أبي الرقراق للنشر،المغرب،2010،ص111.

[5] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص 306.

كنبر،ازدهرت بفضل سلاطينها الذين أولوها اهتماما كبيرا فشيدوا المساجد و المساكن لطلبة العلم ،ودعموا الطلبة وشجعوا العلم[1] أشار السعدي إلى أن أسواقها من أعظم أسواق المسلمين العامرة في أيام الأسبوع كلها،فكان يلتقي بها تجار الذهب والملح[2]وقد كانت جني من المناطق المحصنة والآمنة من هجمات المعتدين بسبب الموقع الاستراتيجي الذي تمتلكه لكونها محاطة بالمياه،حيت كان يستخدم القوارب في نقل السلع والتبادل التجاري مع تنبكتو وبذلك أضحت مركزا تجاريا[3]وثقافيا له تأثير قوي في تقدم الإسلام في السودان الغربي.[4]

– غاو:

كانت غاو عاصمة مملكة سنغاي ،تقع على بعد أربعمائة ميل جنوب شرق تنبكتو،تم تأسيسها قبل دخول الإسلام إليها في القرن الثاني للهجرة،بينما دخلها الإسلام في القرن السادس للهجرة[5] ،ذكرها العديد من الرحالة والجغرافيين كالبكري الذي قال عنها:« وعلى تسع مراحل من مدينة أنبارة مدينة كوغة،وبينها وبين غانة مسيرة خمس عشرة مرحلة وأهلها مسلمون وحواليها المشركون وأكثر ما يتجهز إليها الملح والودع»[6]،وحواليها معادن التبر كثير وهي أكثر بلاد السودان ذهبا،فهي إلى جانب تنبكتو تعد من المحطات الهامة التي تقف عندها القوافل التجارية حيث كانت همزة وصل بين بلاد المغرب والسودان[7].

---

[1] راضية يوسف: **التفاعل الحضاري في إفريقيا**،مجلة إفريقيا قارتنا،2013، ع4،ص 3.

[2] عبد الرحمان السعدي:**تاريخ السودان**،المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية،باريس،1981،ص ص 11،13.

[3] الأمين عوض الله:مرجع سابق،ص ص 83.84.

[4] توماس أرلوند:**الدعوة إلى الإسلام،بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**،تر:حسن إبراهيم حسن وآخرون،مكتبة النهضة المصرية،مصر،1971،ص355.

[5] سامح كريم عبد: مرجع سابق،ص ص 52،53.

[6] البكري:مصدر سابق،ص179.

[7] الحسن العماري:**العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي بداية العصر الحديث من خلال كتاب "وصف أفريقيا"**، مقال ضمن دورية كان التاريخية، 2010، ع9،ص37.

وقد ذكرها الحسن الوزان وأشار إلى أن سكانها أثرياء،وان السود يتوافدون عليها بنسب كبيرة من اجل شراء السلع المغربية والأوروبية،وذكر بان فيها سوقا للعبيد[1]وقد بلغت غاو أوجها في عهد الأسيكيين حيث عرفت أسواقها رواجا كبيرا للسلع الشمالية و الجنوبية على حد سواء[2]،وقد زارها كذلك الرحالة ابن بطوطة وأعجب بها وذكر بأنها من أحسن مدن السودان [3].

لكن بعد تدهور الأوضاع بسنغاي أصبحت القوافل ترد إلى غاو ثم تنبكتو،بعدما كانت ترد تنبكتو ثم تتوجه بعدها لغاو،وذلك بسبب الازدهار التجاري الذي شهدته ممالك الهوسا[4]وقد عرفت غاو في كتابات الرحالة والمؤرخين بتسميات مختلفة من بينها:كاغ،جاغ،كوكو.[5]

– تنبكتو:

تقع مدينة تنبكتو على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى،عند منحى نهر النيجر[6] تأسست في نهاية القرن الخامس الهجري ،الحادي عشر ميلادي[7] من طرف طوارق مقشرن الذين كانوا في البداية ينزلون بها صيفا للرعي ثم يرتحلون خريفا إلى أن استقر وا في النهاية بها[8]،وتعد تنبكتو من أهم المراكز التجارية والثقافية بغرب افريقيا،التي لاتقل مكانة وأهمية عن مثيلاتها من حواضر الشمال

---

[1] الحسن الوزان:مصدر سابق، ج2،ص169.

[2] سعد أمطير غيث: **الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة السادس والسابع عشر للميلاد**،دار المدار الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1، 2005،ص202.

[3] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص271.

[4] الشيخ الأمين عوض الله:مرجع سابق،ص 83.

[5] سعد أمطير غيث:المرجع السابق،ص202.

[6] محمد فاضل علي باري،سعيد إبراهيم كريدية:مرجع سابق،ص 95.

[7] عبد السلام أبو أسعد:**العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها**،مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس ،ليبيا،1999 م،ص18.

[8] عبد الرحمان السعدي:مصدر سابق،ص 20.

كالقاهرة،القيروان وفاس[1] فقد أشار الى مكانتها أنداك القاضي محمود كعت في قوله:« ...فتنبكت يومئذ لا نظير لها في البلد من بلاد السودان إلى أقصى المغرب من بلاد مل مروة وحرية وتعففا وصيانة وحفظ العرض ورأفة ورحمة بالمساكين والغرباء وتلطفا بطلبة العلم وإعانتهم»[2]، كما كانت من أهم الأسواق التي يأتيها التجار من مختلف مدن الشمال من مصر،فزان،توات،غدامس،فاس وغيرها[3] هذه الأسواق التي كانت تغلق بعد صلاة المغرب ويخصص لها رجال لحراستها حيث لا يسمحون لأي شخص بدخول المدينة إلا في صباح اليوم الموالي،وهو ما وفر الحماية للتجار[4]واشتهرت هذه الأسواق كذلك بكثرة الدكاكين والمحلات المتنوعة والمتخصصة بها،وبثرائها الاقتصادي وازدهارها الثقافي الذي يعود إلى موقعها الاستراتيجي كنقطة تلتقي بها القوافل القادمة من الشمال عن طريق الصحراء أو الجنوب عبر نهر النيجر،فضلا عن دور حكامها في الترويج لتجارتها وتأمين الطرقات ووسائل النقل[5]،وكانت تربطها علاقة جيدة بورقلة لدرجة إستعداد حاكمها للوقوف مع أهلها ضد الاحتلال الفرنسي[6] .

– أغادس :

تقع أغادس على تخوم ليبيا[7]شمال شرق نيامي عاصمة النيجر حاليا،كانت من أهم المدن التي

---

[1] عصمت عبد اللطيف دندش:**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430.515هـ/1038.1121م)مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر العربي** ،دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1988،ط1،ص163.

[2] القاضي محمود كعت:**تاريخ الفتاش في أخبار البلود والجيوش وأكابر الناس**،مطبعة بردين،باريس،1913،ص179.

[3] عبد الرحمان السعدي :مصدر سابق،ص 21.

[4] شوقي عطاالله الجمل:**التجارة بين شمال افريقيا وغربها وأثرها في انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في هذه البلاد**،مقال بموقع salehkamel.net أطلع عليه بتاريخ 2015/09/21 على الساعة18:55.

[5] عبد الله عبد الرزاق إبراهيم :**دور تمبكتو الجغرافي والاقتصادي في التجارة الصحراوية**،مقال بموقع منارات افريقية، http://www.islam4africa.net/ar/more.php?cat_id=18&art_id=138 أطلع عليه بتاريخ 18جويلية2015 على الساعة09:45.

[6] عبد القادر زبادية: ورقلة عروس.. ،مرجع سابق،ص146.

[7] الحسن الوزان:مصدر سابق،ج2،ص 171.

يتوافد عليها التجار من مختلف أنحاء بلاد المغرب خاصة تجار ليبيا[1]و ورقلة التي ذكر الوزان بان سكانها أثرياء بسبب اتصالهم بها[2]، ويعود ذلك إلى موقعها الاستراتيجي الهام الواقع على مسار وملتقى الطرق التجارية التي تصل بين مصر والشمال الإفريقي وبين السودان الغربي والأوسط ،لذلك سكنها العديد من التجار الذين صاروا فيما بعد يشكلون غالبية سكانها[3]وقد اشتهرت أغادس بالذهب والبخور[4]،فملكها كان يتحصل على مبالغ هائلة من النشاط التجاري القائم بها،بفرضه ضرائب على البضائع المستوردة،وكان يدفع إتاوة لملك تنبكتو تقدر بمائة وخمسين مثقالا سنويا[5]،وقد تميزت أغادس كذلك بصناعاتها الجلدية المتنوعة،حيث كانت القوافل التجارية تشتري منها النعال،والسروج للإبل،وحقائب كانت تلقى رواجا في مختلف الأماكن[6].

بالإضافة إلى هذه المراكز وجدت محطات تجارية أخرى تحتوي على أسواق لاتقل أهمية عن سابقيها،كانت القوافل التجارية الصحراوية تقف عندها للتبادل التجاري من بينها تكدا التي زارها ابن بطوطة رفقة قافلة غدامسية[7]،والتي تقع في الجنوب الغربي لتنبكتو،ازدادت أهميتها التجارية بعد اكتشاف معدن النحاس بها[8].

-كانم:

تأسست مملكة كانم في القرن الثاني الهجري على يد جماعة قدمت من الشمال الشرقي لبحيرة تشاد،انتشر فيها الإسلام في أواخر القرن الخامس الهجري وأكسبها أهمية كبيرة،بعدما كانت على الوثنية لمدة من الزمن،وتوسّعت بعدها مملكة كانم لتشمل مساحة شاسعة من غرب إفريقيا امتدت من

[1] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص 311.

[2] الحسن الوزان: مصدر سابق ،ج2،ص136.

[3] سعد أمطير غيت:مرجع سابق،ص203.

[4] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص311.

[5] مارمول كربخال: مرجع سابق ،ج3،ص 207.

[6] J.Letilleux :op.cit,p166.

[7] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص272.

[8] الهادي الدالي :مرجع سابق،ص 310.

النيجر غربا إلى النيل شرقا[1]،خاصة بعد توحد قبائلها المختلفة بعد انتشار الإسلام بها [2]وقد قام أبو يعقوب السدراتي بزيارتها في رحلة من رحلاته،وذكر أنها تقع بين كوار وزغاوة، وقد عرفت مملكة كانم أيضا بعلاقاتها التجارية القوية مع ورقلة والتي تعود لفترات،حيث تميزت بوجود السدراتيين فيها بكثرة واندماجهم بها حتى صاروا جنسا من أجناسها[3].

كما وصل تجار ورقلة كذلك لمناطق أخرى من السودان الغربي من أجل التبادل التجاري مثل أسواق كاتشنة ،و أحير.[4]

المبحث الرابع:المعاملات التجارية وأساليبها.

أ- الصادارت[5]:

1- نحو البلدان المغاربية:

كانت السلع والبضائع التي تصدرها ورقلة نحو البلدان المغاربية متعددة ومتنوعة البعض منها منتج محليا والبعض الأخر مستورد من الخارج من بلاد السودان أو البلدان الأوروبية ،فقوافل ورقلة التي تقصد الأسواق الليبية كانت تنقل إليها بعض المنتجات التي يتم بيعها أو مبادلتها بسلع أخرى مع تجار ليبيا أو تونس،خاصة وان سوق غدامس قد كان ملتقى للقوافل التجارية القادمة من تونس والجزائر وطرابلس الذين يلتقي بهم تجار ورقلة ،فمن جملة السلع المصدرة لليبيا وتونس نجد: التمور، الأسلحة ،الحبوب، الزيوت، الأقمشة القطنية والحريرية.

---

[1] فرغلي علي تسن هريدي:**تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر(الكشوف-الاستعمار-الاستقلال)**،العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر،ط1،2008،ص ص 27،28.

[2] نعيم قداح: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**،مراجعة:عمر الحكيم،مكتبة أطلس،دمشق،سوريا،ص84.

[3] عمر بوعصبانة: مرجع سابق، ص 160.

[4] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص.182.

[5] انظر الجدول بالملحق 10 ص 162.

وبخصوص صادرات ورقلة نحو المغرب فقد كانت تشمل: وبعض المنتجات الصوفية المصنعة محليا،و ريش النعام [1] ،بالإضافة إلى بعض المنتجات التونسية[2]و الخردوات المستوردة[3].

2- نحو السودان الغربي:

-التمر:

كانت التمور من أهم صادرات ورقلة نحو بلاد السودان،حيث كانت تصدره بأحمال كبيرة خاصة في عهد مملكة سنغاي [4]حيث أخذت شهرة كبيرة في أسواق تنبكتو،وكانت تباع في كثير من الأحيان بطريقة العد(أربعة،عشرة) لا بطريقة الكيل أو الوزن[5]، وقد كان يستخلص من التمر الرُب [6]،ويصدر منه إلى بلاد السودان والمغرب،وقد عثر على بعض القلل التي كانت تستخدم في جمع العسل.

- الفواكه:

شكلت الفواكه إحدى المنتجات الهامة التي تحملها قوافل ورقلة نحو السودان الغربي،بعدما تقوم بجلبه من افريقية والمغرب لتعيد بيعه مجددا في هذه الأسواق ،وذلك بسبب طابع المدينة الصحراوي[7]،ويؤكد الإدريسي على أهمية ورقلة ودورها في تزويد بلاد السودان بالفواكه في قوله:« وليس في بلاد السودان شيء من الفواكه الرطبة إلا ما يجلبه إليها من التمر من بلاد سجلماسة أو بلاد الزاب يجلبه إليهم أهل وارقلان.»[8].

---

[1] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 188.157.

[2] تشمل الشواشي الأحزمة،بعض المواد الأوروبية المستوردة عن طريق ايطاليا ومالطا.

[3] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 188،157.

[4] عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي ..،مرجع سابق،ص 220.

[5] عبد القادر زبادية: ورقلة عروس.. ،مرجع سابق،ص 145.

[6] يقصد بها عسل التمر .

[7] مسعود مزهودي:مرجع سابق،ص 162.

[8] الإدريسي:مصدر سابق،ج1،ص 20.

ومن بين الفواكه كذلك التين المجفف الذي كان لديه قيمة استهلاكية كبيرة جدا،وهي المادة التي ترد إلى الأسواق السودانية عن طريق القوافل المغربية بما فيها ورقلة.

– ريش النعام:

يعد ريش النعام من البضائع الهامة التي كان لها رواج في الأسواق،نظرا لتعدد مجالات استخدامه حيث كان يستخدم منه مراوح للتهوئة والزينة، وتحشى به الأرائك و المخاد في البيوت والقاعات[1]وتستخدمه بعض القبائل في خيامها لإبراز شرفها وسمو مكانتها،وكانت ورقلة تصدره لبلاد السودان ،لأنه موجود بكثرة في أراضيها[2].

– الملح:

شكلت مادة الملح العنصر الأساسي في العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء الشمالية والجنوبية،فتاريخ التجارة الصحراوية من القرن العاشر إلى حدود القرن العشرين ميلاديي،هو تاريخ لتجارة الملح في الصحراء،وذلك لأهميته بالنسبة لشعوب بلاد السودان[3] ولندرته وانعدامه في أراضيها[4] حيث كان الطلب عليه بكثرة،فالحمولة التي توجهها القوافل المغاربية نحو بلاد السودان أكثر من نصفها عبارة عن ملح،والذي كان ينفد بسرعة،ويشتريه أهلها بالذهب وبأثمان كبيرة[5]،وذلك لأهميته الكبيرة في حياة السودانيين وتعدد مجالات استخدامه،حيث كان يستخدم في الطبخ[6] والأجسام تحتاج

[1] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية.. ،مرجع سابق،ص35.39.

[2] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص 167.

[3] خديجة الراجي:مرجع سابق،ص ص 112،114.

[4] الوزان:مصدر سابق،ج2،ص280. أنظر:الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي:**صبح الاعشى**،المطبعة الاميرية،مصر،1915، ج5،ص291.

[5] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص 36.

[6] سعد بن حمد الخثلان: **دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنيين الثالث والخامس الهجريين** ،مجلة جامعة الملك عبد العزيز للآداب والعلوم الإنسانية،السعودية،1992 م، ع5،ص53.

إليه لأنها تفقد كميات كبيرة منه عند التعرق خصوصا تلك القاطنة في المنطقة الحارة[1]،فقد أورد الوزان عن اهتمام شعوب بلاد السودان به بدرجة كبيرة حيت كانوا عند أكلهم الخبز يمسكون قطعة الملح في يدهم ،ويلحسونها مع كل مضغة ،حتى لا يستهلكوه بكثرة[2]،حيث لم يكن لديهم مانع في مبادلته بالذهب وزنا بوزن،وقد أكد هنري بارت هذه الحقيقة عند حديثه عن تجارة تنبكتو،حيث ذكر بان الذهب والملح ،من أهم الأصناف المعروضة،وان الملح كان أحيانا أهم من الذهب نفسه[3]،وهو ما يفسر تهافت التجار عليه،لأنهم يجنون منه أموالا طائلة[4]،ولأن ورقلة قد تواجد بها سبخة من الملح،خاصة قرية الشط،فقد كان يستغل ويستخدم منه محليا ،ثم يوجه جزء منه لمقايضته بسلع أخرى ببلاد السودان[5].

– الأسلحة:

من بين السلع التي تحملها قوافل ورقلة إلى السودان الغربي الأسلحة بمختلف أنواعها،وتشمل البارود الذي يتواجد بمناطق عدة خاصة منطقة الزيبان،التي تستخدمه قبائل أولاد نائل ويحمل لورقلة ثم إلى تنبكتو حيث تباع هناك بأسعار مرتفعة،بسبب قوة مفعولها وجودته [6]إضافة إلى صفائح السيوف المصنوعة في قسنطينة ،وبعض الأسلحة النارية التي يتم استيرادها من الدول الأوروبية،وأسلحة أخرى يجلبها تجارها من أسواق تقرت وميزاب[7].

[1] إمحمد مصباح الأحمد:**تاريخ العلاقات العربية الإفريقية**،دار الملتقى للنشر،لبنان،ط1، 2001،ص 175.

[2] الحسن الوزان:مصدر سابق،ج2،ص280.

[3] الشيخ الأمين عوض الله:مرجع سابق،ص ص 84،85.

[4] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص 288.

[5] رابح رمضان:مرجع سابق،ص203.

[6] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 166،167.

[7] مختار حساني:مرجع سابق،ج2،ص201.

وكانت القوافل تحمل أيضا بعض المصنوعات الحديدية المتعددة الاستخدامات،كالمناجل والسكك التي تستخدم في الحرث والحصاد،والأزمة والحدب لتجهيز الخيول[1]ومن بين الأسلحة التي لقَت رواجا في أسواق بلاد السودان كذلك السهام والخناجر وأقواس النشاب،الدروع والخوذ،حيث كان الحكام يستخدمونها لتسليح رجالهم سعيا لفرض احترامهم[2].

– الأقمشة المتنوعة:

وتشمل الأقمشة الصوفية والحريرية،حيث كان تجار ورقلة يحملونها إلى مختلف أسواق السودان الغربي ،حيت كانت تنتج بعض الأقمشة الصوفية محليا ،لاسيما وأنها كانت من أهم مصادر الثروة بالصحراء،وتدخل ضمنها الحنابل و القنادر والبرانس ،الألبسة والأغطية والتي كان ثمنها يتراوح مابين فرنكين إلى أربعة فرنكات للمتر الواحد،أما فيما يتعلق بالأقمشة الحريرية فقد كانت تستورد من تونس وتباع مجددا في أسواق بلاد السودان[3].

– الحيوانات:

وتشمل الأغنام وبغال المغرب العربي،التي تتميز بالقوة والضخامة ،والقدرة على الكر والفر في الحروب ،حيث كان البغل الواحد يستبدل من خمسة عشر إلى عشرين عبدا أسود في بورنو،كما كانت الجمال تباع أيضا خاصة التي عبروا بها الصحراء،وصارت ضعيفة ومرهقة بسبب ثقل الحمولة وطول المسافة التي قطعتها،حيث يتم شراء جمال أخرى تكون أكثر قوة [4]،فقد اشترى ابن بطوطة جملين للركوب في تكدا بسبعة وثلاثين مثقالا وثلثا[5] والأمر نفسه بالنسبة للعياشي حيث يذكر بأنه استبدل جماله في توات بجمال أخرى أقوى[6] .

[1] عبد القادر زبادية:مرجع سابق،ص 34.

[2] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص116.

[3] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 165،166.

[4] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص ص 117،118.

[5] ابن بطوطة:مصدر سابق،ص277.

[6] العياشي:مصدر سابق،ج1،ص79.

منتجات أخرى: تدخل ضمن صادرات ورقلة نحو بلاد السودان منتجات أخرى بعضها منتج محليا والبعض الأخر مستورد [1] ومن بينها:

- المصنوعات الزجاجية والحديدية،وبعض الحلي للزينة ومقتطعات مرجانية[2].

- العطور المستخدمة من بعض المواد الأولية التي يتم جلبها من بلاد السودان،كالمسك والعنبر،حيث يتم تصنيعها وحملها بعد ذلك إلى الأسواق السودانية،حيث تلقى رواجا كبيرا لدى السكان خاصة الحكام والقضاة،ويجنى التجار منها أرباحا طائلة.

- الأواني النحاسية المتعددة الاستخدامات،بعضها يستخدم للزينة ،كالأساور والأقراط،والبعض الأخر كأواني منزلية وأقفال للأبواب ولوازم للخيول كاللجام.[3]

- بعض الأدوية العشبية والبهارات ،ومواد الصباغة ،الشاي والسكر.[4]

ب-الواردات:

1- من البلدان المغاربية:

من جملة السلع والبضائع التي تحملها قوافل ورقلة من مختلف الأسواق الليبية نجد المنتجات السودانية على رأس القائمة والمتمثلة في التبر ،العبيد،العاج،البخور السوداني،جثث النعام،إضافة إلى بضائع وسلع تونسية أخرى كالأحزمة والشواشي ومواد أوروبية أخرى مستوردة من ايطاليا ومالطا.

أما وارداتها من المغرب فتشمل الفيلالي،الخيول،الأسلحة،[5]والحبال،والصابون،والأحذية الجلدية (البلاغي)،والأقمشة الحريرية وغيرها من جملة ما تحمله قوافل الحجيج أثناء مرورها واستراحتها بورقلة، أين يجري البيع بين الطرفين[6]

---

[1] مسعود مزهودي:مرجع سابق،ص 157.

[2] عبد القادر زبادية: ورقلة عروس... ،مرجع سابق،ص ص 144،145.

[3] عبد القادر زبادية: الحضارة العربية... ،مرجع سابق،ص ص 33،35.

[4] يحي بوعزيز:مرجع سابق ص117.

[5]محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص157.

[6] عمار بن خروف:**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن10هـ/16م**،دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر،2008،ص ص 86،87.

2- من بلاد السودان:

الذهب:

كان الذهب والرقيق السلعتين الرئيسيتين في صادرات السودان الغربي نحو البلدان المغاربية ،ويأتي الذهب في المرتبة الأولى من حيت القيمة والأهمية ،وهو ما تؤكده المصادر التاريخية التي تحدثت عن بلاد السودان[1]،والتي أشارت إلى وجود قوافل كبيرة تجوب أعماق الصحراء ،متحملة المسافات الطويلة والمشاق الكبيرة التي تواجهها فيها ،بغية تحقيق أرباح طائلة من هذه التجارة[2].

والذهب حسب القلقشندي نوعان:« نوع في زمان الربيع ينبت في الصحراء له ورق شبيه بالنجيل،أصوله التبر،والثاني يوجد في أماكن معروفة على ضفّات مجاري النيل تحفر هناك حفائر،فيوجد فيها الذهب كالحجارة والحصى[...]والأول أفحل في العيار وأفضل في القيمة...»[3].

وقد كان التجار يتحصلون على الذهب من مناطق عدة أهمها غانة،التي أطلق عليها الرحالة والجغرافيين تسمية بلاد الذهب[4] رغم وجوده في مناطق أخرى غيرها كونقارة، بمبوك،سيكاسو،أعالي نهر النيجر[5] إلا أن مناجم المناطق الاستوائية الداخلية الواقعة جنوب مملكة غانا ،كانت المصدر الرئيسي لذهب السودان،وهو ما جعلها تسيطر على تجارة الذهب،خاصة بعدما أنشأت نظام ضريبي دقيق قائم على الذهب يفرض من خلاله دينارا ذهبيا على حمل الحمار من الملح يدخل أراضيه

---

[1] سعد الخثلان:مرجع سابق،ص أنظر:عبد العزيز الفشتالي:**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**،تح:عبد الكريم كريم،مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والثقافية،المغرب،1972،ص117.

[2] عبد القادر زبادية: مرجع سابق،ص38.

[3] القلقشندي:المصدر السابق،ج5،ص289.أنظر:شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري:**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،تح:حمزة أحمد عباس،إصدارات المجمع الثقافي،أبو ظبي،الإمارات، ط1، ج4،ص118.

[4] امحمد مصباح الأحمد:مرجع سابق،ص ص 177،178.

[5] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص282.

ودينارين على الخارج منه ،وبذلك يتحصل على ثلاثة دنانير من الذهب على كل حمار يمر عبر أراضيها[1]،ومن أجود أنواع الذهب ،على حد قول البكري هو الموجود في منطقة غيارو[2].

وبعد حصول التجار المغاربة على الذهب من مناطق التعدين بغرب إفريقيا ،يتم تحويله إلى سبائك في المراكز التجارية الواقعة في الأطراف الشمالية للصحراء الكبرى ومن بينها ورقلة[3]،وقد أكد ذلك الإدريسي في قوله : «...فيجد كل إنسان منهم في بحته هناك ما أعطاه الله سبحانه وتعالى كثيراً أو قليلا من التبر وما يخيب منهم أحد فإذا عاد النيل إلى حده باع الناس ما حصل بأيديهم من التبر[4] وتاجر بعضهم بعضا واشترى أكثره أهل وارقلان وأهل المغرب الأقصى وأخرجوه إلى دور السكك في بلادهم فيضربونه دنانير يتصرفون بها في التجارات والبضائع وهكذا في كل سنة.»[5].

وقد كان لتجارة الذهب نتائج ايجابية للطرفين ،فقد ساهمت تحقيق الرخاء الاقتصادي للبلدان المغاربية[6] حيث أصبح لديها سيادة اقتصادية على الشرق والغرب على حد سواء[7]،كما كان لها أهمية كبيرة أيضا بالنسبة لبلاد السودان ،من خلال مساهمتها في ثراء الدول العظمى الموجودة بها[8].

---

[1] سعد الختلان: مرجع سابق،ص 51.

[2] البكري:مصدر سابق،ص 176.

[3] بوفيل:مرجع سابق،ص189.

[4] التبر: ما كان من الذهب غير مضروب أو غير مصوغ أو في تراب معدنه، المنجد الأبجدي،مرجع سابق، ص 225.

[5] الإدريسي:مصدر سابق، ص ص 25.24.

[6] أمين توفيق الطيبي:**أثر الإسلام الحضاري في غانة ومالي في العصر الوسيط(القرن10 إلى القرن 14م)**، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة :عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس،ليبيا، 1999 م،ص 117.

[7] خديجة الراجي:مرجع سابق،ص 116.

[8] أ.ج. هوبكنز: **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تق:محمد عبد الغنى سعودي ،تر: أحمد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1998،ص ص 164.163.

– العبيد:

كانت تجارة الرقيق في المرتبة الثانية بعد الذهب من جملة ما تصدره بلاد السودان نحو شمال إفريقيا[1] فأسواق النخاسة كانت منتشرة بكثرة في السودان الغربي،حيث كان يتوافد عليها العديد من النخاسين من مختلف أنحاء البلاد،خاصة سوق غاو الذي كان أكبر أسواق بيع الرقيق في المنطقة ويتزود منه تجار بلاد المغرب[2].فما من شك أن الطلب الكبير والمتزايد على العبيد يعود لكونهم يدا عاملة يتم توظيفها في مجالات متعددة كالجيش[3] والأنشطة الحرفية والزراعية،وفي بيوت المترفين،حيث شكلوا قوة منتجة لا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عنها[4].

وقد كان يتم الحصول على الرقيق من مصادر متعددة كالإغارة على القبائل البدائية المقيمة في الأدغال،فحسب بوفيل فان غانا كانت تتحصل على رقيقها من بعض القبائل التي تأكل لحم البشر والمعروفة عند العرب باسم لملم أو دمدم[5] في المنطقة الواقعة في الغابات الجنوبية الوثنية [6].

وبخصوص تجارة الرقيق فقد كانت ورقلة مستودعا للعبيد الذين يتم جلبهم من مختلف بلاد السودان وتدريبهم على بعض المهن الجديدة من أجل توجيههم إلى المغرب أومصر بعد ما مكثوا فيها لبضعة أشهر من أجل استعادة عافيتهم من متاعب السفر الطويل[7].

– العاج:

كان العاج من ضمن أهم السلع التي تصدرها بلاد السودان الغربي نحو بلاد المغرب ،ذلك أنها استحوذت على اهتمام التجار المغاربة،الذين يعود لهم الفضل في شهرة و انتشار العاج الإفريقي

[1] الشيخ الأمين عوض الله:مرجع سابق،ص 88.
[2] جميلة بن موسى:مرجع سابق،ص 220.
[3] مسعود مزهودي:مرجع سابق،ص157.
[4] بشار قويدر:مرجع سابق،ص15.
[5] بوفيل:مرجع سابق،ص 152.
[6] عبد القادر زبادية:مرجع سابق،ص39.
[7] J.Letilleux :op.cit,p161.

بمناطق عدة في الشرق،[1]حيث كان الطلب عليه شديدا خاصة في شبه الجزيرة العربية وبلاد الهند،وذلك لكون أنياب الفيل الإفريقي أقل صلابة وطواعية للنقش مقارنة بمن سواه[2].

وبخصوص تجار ورقلة فقد كانوا يجلبون العاج من أسواق السودانية وينقلونه إلى الجزائر حيث يتم تصديره إلى أوروبا[3]،وكانت تنبكتو إلى جانب شهرتها بالذهب مشهورة بالعاج[4].

– مواد غذائية متنوعة:

– الكوروا: فاكهة مالحة بمثابة القهوة يستعملها الأفارقة كانت تباع بقسنطينة وبعض المدن الأخرى.[5]

–جوزة الكولا:

تعد الكولا من أهم مواد الترف في السودان الغربي،التي تعرف إقبالا كبيرة عليها[6]،حيث كانت تستخدم أحيانا كعملة للصرف لكن قيمتها قابلة للتغير على غرار المواد التجارية الأخرى[7].

– الحناء:

كانت الحناء ضمن السلع التي يجلبها تجار ورقلة من السودان الغربي[8].بالإضافة إلى منتجات أخرى من بينها الجبن المجفف[9]،الفول السوداني، الحشيش،والعسل.

---

[1] سعد الخثلان:مرجع سابق،ص55.

[2] ج.ت نيابي:**تاريخ إفريقيا العام(إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)**،المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1998، مج4،ص619.

[3] مختار حساني:مرجع سابق،ص 201.

[4] حسن إبراهيم حسن:**انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**،مكتبة النهضة المصرية،مصر،ط3 ،1984 ،ص221.

[5] مختار حساني:مرجع سابق،ص .201

[6] ك مادهو يانيكار:**الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا**،تر وتح:أحمد فؤاد بلبع،المجلس الاعلى للثقافة،مصر، ط2،ص404.

[7] Oskar Lenz:**Tombouctou Voyage ou Marocain Sahara et ou Soudan**. Tome.libraire Haghette Paris1887.p162.

[8] Rozet et Carette :op.cit , p313.

[9] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص118.

– منتجات أخرى:

بالإضافة إلى الذهب والرقيق ،كانت قوافل ورقلة تستورد العديد من السلع والبضائع الأخرى المتنوعة من بينها الأحجار الكريمة و بعض الأقمشة الإفريقية[1] والأقمشة القطنية وجلود البقر الوحشي المدبوغة والبخور[2]

ج–أساليب التعامل التجاري: استعمل تجار ورقلة العديد من الطرق في تعاملاتهم التجارية منها:

1-المقايضة:

كانت المقايضة أو ما يعرف بالتجارة الصامتة [3]،إحدى أهم الوسائل التي تعامل بها تجار السودان الغربي مع تجار الشمال الإفريقي منذ القدم [4]حيث كان يجري استخدامها بصورة واسعة جدا بسبب قلة العملة وضعف استخدامها[5].وكانت تتم المقايضة من خلال الاتفاق بين الطرفين فيما يعرضانه من سلع،حيث يعرض التاجر الذهب كسلعة رئيسية ومعها سلع أخرى كالتوابل والريش في حين يعرض الطرف الأخر الملح مع منتجات أخرى ثم يختفي الطرفان[6] فإذا أخد التجار الذهب ،فهو يعني أن المعاملة تمت ،وبذلك يأخذ السودانيين كذلك الملح أو السلع الأخرى [7]،وهناك نوع أخر من المقايضة يتم بحضور الطرفين وهو ماعرفته مدينة تنبكتو،[8]فكان تجارها يقايضون الذهب بالملح لكثرته عندهم وعدم استخدامه في ضرب العملة.[9]

---

[1] المرجع نفسه،ص118.

[2] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص ص 169،182.

[3] هي التعامل والمساومة بين أقوام لا يعرف احدهم لغة الأخر،حيث يحرص احدهم على سر منابع ثروته خوفا من النهب والسطو أنظر: شوقي عبد القوي عثمان:**التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر المماليك**،المجلس الأعلى للثقافة،مصر،2000،ص59.

[4] الهادي المبروك الدالي:مرجع سابق،ص339.

[5] مبروك مقدم:**الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية في إفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ/15م**،دار الغرب للنشر ،وهران الجزائر،ص219.

[6] الهادي المبروك الدالي:المرجع نفسه،ص 339.

[7] القلقشندي:مصدر سابق،ج5،ص 291.

[8] سعد أمطير غيت:مرجع سابق ،ص ص 351،352.

[9] Oskar Linz :op.cit.p115.

2- العملات النقدية :

من بين العملات النقدية التي كانت واسعة الاستعمال في التجارة الصحراوية نجد:

- **عملة نحاسية حمراء**: قيمتها منخفضة، 400 قطعة منها لا تساوي سوى دوخة واحدة.
- **الكوري**: المستوردة من الهند أو فارس، غير أن قيمتها منخفضة تساوي 0.75 فرنكا.
- **الدوخة**: وهي نوعان ذهبية وفضية.
- **الدراخمة**: وهي عملة مستوردة من الخارج من قبل التجار.
- **المثقال** الذهبي: قيمته 4.25 غرام ذهب.
- **الدينار**: وقيمته 40 درهما، وينتشر في بلدان المغرب.
- **المحبوب**: عملة ذهبية منتشرة ميلاد المغرب.
- **القائمة**: عملة نحاسية.
- **البينيتو**: عملة أجنبية مستوردة من الخارج.
- **الدورو الفضي**: المستعمل ببلاد المغرب.[1]

3-المقاييس والمكاييل والموازين:

أ- المقاييس: عرفت أسواق ورقلة عدة أنواع من المقاييس والتي كانت تستعمل لقياس الطول والمسافات والأبعاد من أهمها نجد:

- الفتر: الذي يعتبر من الوحدات الصغيرة، طوله يكون البعد ما بين طرفي السبابة والإبهام (حوالي 17 سنتما).

-**الشبر**: المسافة بين الخنصر والإبهام لليد اليمنى للرجل (حوالي 22 سنتيم).

- الذراع: هو الامتداد ما بين نهاية المرفق ونهاية الأصبع الوسطى للرجل (حوالي 50 سنتيما).

-الخطوة: المسافة ما بين الرجل اليمنى واليسرى عندما يخطو الرجل وتعادل 1 متر.

[1] يحي بوعزيز: مرجع سابق، ص 145، 146.

–الحبل: وحدة خاصة بالأرض، ويستعمل للقياس حبل يقدر طوله بـ10 أمتار.

–القامة:وهي طول الرجل المتوسط وتساوي عادة 1.70سنتمتر.

–القدم:لقياس الأرض وتحسب قدما بعد أخرى ويستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال.

–الحبل:لقياس الأرض كذلك وطوله عشرة أمتار.

–الميل :مسافة تقدر بحوالي1900متر.[1]

–الفرسخ:مسافة ثلاثة أميال.

–البريد:ساعة واحدة بالسير المتوسط بالحصان.

ب–الموازيين:

بالإضافة إلى المقاييس المذكورة سابقاً نجد أن تجار ورقلة استعملوا أيضاً بعض الموازين منها:

– المثقال: الذي يساوي 19 فرنكا في تنبكتو. بالإضافة إلى بعض الموازين الأخرى مثل: الدرهم

– **الأوقية** التي تعادل 27.5 غرام، الرطل الذي يعادل 500 غرام.

ج–**المكاييل**:

جرى استعمال العديد من أدوات الكيل بورقلة، وعرفت عدة تسميات من بينها:

– المد: الذي قدر بحفنة اليد، ويستعمل في كيل المواد الجافة كالحبوب والتمور.

– الصاع: المقدر بأربعة أضعاف المد [2](4 حفنات باليدين)، أي مايعادل ثلاثة لترات تقريبا.

– القنطار: يعادل مائة رطل.

– المزود: عبارة عن كيس مصنوع من الجلد[3]، يزن ما بين خمسين إلى ثمانين كيلو غرام.

---

[1] علي جمعة:**المكاييل والموازين الشرعية**،القدس للنشر والتوزيع،مصر،ط2 ،2001 ،ص 97.

[2] باقر محمد جعفر الكرباسي:**النقود والمكاييل والأوزان في المعجمات العربية**،مجلة مركز دراسات الكوفة،2000، ع6، ص177.

[3] مبروك مقدم:مرجع سابق،ص58.

الفصل الثالث: الاحتلال الفرنسي لورقلة وآثره على تجارة القوافل الصحراوية.

- المبحث الأول: الأوضاع السياسية لمدينة ورقلة خلال القرن التاسع عشر.
- المبحث الثاني: الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية ودوافعه.
- المبحث الثالث :السياسة الاستعمارية الفرنسية للسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية .
- المبحث الرابع: انعكاسات الاستعمار الفرنسي على تجارة القوافل بورقلة.

المبحث الأول:الأوضاع السياسية لورقلة خلال القرن التاسع عشر ميلادي:

أ- الصراعات الداخلية :

شهدت مدينة ورقلة في النصف الأول للقرن التاسع عشر جملة من الأحداث السياسية المتنوعة، التي ساهمت في إضعافها وتراجع مكانتها السياسية والاقتصادية،من خلال انتشار حالة من الفوضى واللإستقرار بها،بسبب الصراع على السلطة بين أفراد الأسرة الحاكمة حينها،وهي الظُّروف استغلتها فرنسا بذّكاء للتغلغل في المنطقة والسيطرة عليها.

إن هذّه الفوضى التي عرفتها ورقلة تعود إلى الصراع بين أفراد أسرة بني علاهم[1]على حكم المدينة،حيث تعاقب حينها العديد من أفرادها على السلطة بشكل سريع جداً،ففي ظرف ثمانية سنوات وفي الفترة الممتدة مابين (1841-1849) حكمها ست سلاطين وهم مولاي الطيب ،مولاي الذهبي،مولاي عبد القادر،مولاي علي الذي اغتيل بعد سنتين من توليه الحكم(1847-1849)[2]،وخلَفه بعدها مولاي سليمان الذي لم يدم حكمه هو الأخر سوى ثلاثة أيام،ليخلفه بعدها مولاي احمد الذي استقر بالقصبة وحكم لمدة شهرين فقط،وهو ما نتج عنه في الأخير زوال حكم أسرة بني علاهم نهائيا من ورقلة بعد حكم دام حوالي القرنين ونصف،تميز في الأخير بكثرة الاغتيالات والصراعات[3].

---

[1] أسرة ذات نسب شريف من أصل مغربي،من مدينة فاس قصدها وجهاء ورقلة من أجل إعطائهم أحد أولادها لحكم المدينة، وبعد مفاوضات بين الطرفين وافق الوالد على منحهم الابن الأصغر الذي كان يدعى مولاي علاهم،وبقدومه لورقلة وضع تحت تصرفه أربعون عبدا،وجُهز له قصر محاط ببساتين نخيل،وبه أبراج للمراقبة،حيث تم تنصيبه سلطانا على ورقلة سنة 1602م،خلفا لعائلة بني غابول،استمر حكم هذه الأسرة لأزيد من قرنين ونصف .أنظر :Gouvernement Général de L'Agérie « **Notes pour Servir a l'Historique d'Ouargla 1885** » R.A, n 64, 1923,pp388,386.voir aussi:Charles Féraud:**Notes historiques sur la province de Constantine Ouargla**,R.A,vol 30,1886, p374.

[2] عبد الحميد نجاح:مرجع سابق،ص ص 26،110.

[3]J. Letilleux :op.cit ,p247.

وبعد هذه الأحداث ظلّت ورقلة محل صراعات متجددة،تغذيها القبائل البدوية التي عُرفت بتدخلاتها المستمرة وبمواقفها المتقلبة،مما جعلها تخضع في غالب الأحيان إلى سيطرة أسرة بني بابية[1]رغم تفوقها السياسي والاقتصادي عنها[2]وهو ما ساهم في تدهور العلاقة بين الطرفين،خاصة بعد فرض مشيخة نقوسة الضرائب على ورقلة باستمرار،إلا أن هذا الوضع لم يدم على حاله إذ أنه بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر،امتنعت ورقلة عن دفع التزاماتها المعتادة لسلطنة نقوسة،واغتنمت فرصة وصول السلطان إبراهيم سلطان بني جلاب[3]بجيشه إلى نقوسة لتسوية خلافه معها،وأرسلت له جيشا لمساعدته في إخضاعها،إلا أن هذه الأخيرة تفطنت للأمر،واستطاعت تسوية خلافاتها مع بني جلاب،بعدما قضت على قوات ورقلة[4]،ثم وجّهت أنظارها بعد ذلك لورقلة،واستغلت خلو العرش بها بعد تنحية أخر سلاطين أولاد علاهم مولاي احمد ،فتدخل الحاج أحمد بن بابية حينها بإرسال رسالة مع ابنه أبو حفص رفقة عدد كبير من أولاد سعيد عتبة إلى قائد القوات الفرنسية بتيارت ،أبدى لهم فيها استعداده إخضاع ورقلة والمناطق المحيطة بها مقابل منحه لقب الخليفة [5]وهو ما كان

[1] للإطلاع أكثر عن عائلة بني بابية أنظر:.Alain romey:**histoire toponymie …**,op.cit,p p104,115

[2] عبد الحميد نجاح:مرجع سابق،ص91.

[3] تأسست إمارة بني جلاب على يد أحد مشايخ فاس بالمغرب يدعى سليمان المريني ،الذي كان يزور تقرت سنويا وباستمرار أثناء ذهابه للحج،وكان يمارس التجارة بها خلال وجوده بها،فطلب الناس منه الاستقرار في المدينة ،فاستجاب لطلبهم،واحضر زوجاته معه وأسكن كل واحدة في قصر الأولى وهي بدرة بنت مولاي يزيد شريف المغرب في تقرت والثانية هي بذرية ابنة حاكم مكناس في تماسين ،ووضع في خدمتهما ثمانين عبدا،وعاشوا حينها بسلام الى غاية سنة (836هـ/1431م) السنة التي شهدت مجاعة وجفاف كبير دفعت بالسكان إلى بيع أولادهم وزوجاتهم،ثم أنفسهم بعد استمرارها،وكان الشيخ المريني من اشتراهم ووظفهم في الفلاحة وفي بناء أحد المساجد،وبعد انتهائهم من بنائه جمعهم وقام بعتقهم،فردوا له الجميل بتنصيبه حاكما عليهم ووعدوه بالوفاء له ولأبنائه من بعده،وشهدت المدينة في عهدة أوجها بسبب الإنجازات التي حققها. أنظر:

Charles Feraud:**les bani Djellab sultans de Touggourt.notes historiques sur la province de constantine**,R.A,vol 23,1879,p p 165,166

[4] عبد الحميد زوزو: محطات تاريخية… ،مرجع سابق،ص ص 92،93.

[5] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص 48.

له حيث أرسلت له فرنسا مائتي فارس لإخضاع المنطقة وإقرار سلطته عليها[1]وهو ما لم يقبله سكان ورقلة خاصة الصف الغربي[2] الذي عارضه بشّدة ،لذلك عمل بشتى الوسائل على إرغامهم لتقبل زعامته عليهم كتدعيم شرعية أحقيته بالحكم من خلال تأكيده على نسبه الشريف الذي يعود إلى حليمة السعدية،مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم – وهو ما كان يرفضه سكان ورقلة- كما اعتمد كذلك على القبائل ذات الإمكانيات القوية،كقبيلة بني واجين،وقبيلة سعيد عتبة التي كانت من قبائل المخزن التي تحظى بامتيازات واسعة من طرف العثمانيين،من اجل تدعيم مكانته بها،وبذلك تمكّن من التدخل والتحرش بالمدينة باستمرار لإذكاء الصراع بين أفراد كتلة الغرابة المعادية له.[3]

ب- الاحتلال الفرنسي لورقلة[4]:

سعت فرنسا بعد مرحلة الاستكشاف العلمي والاستطلاع العسكري،وترجمة كتب الرحلات المتعلقة بالصحراء في المضي قدما للتوغل في أعماقها من أجل السيطرة على كامل التراب الجزائري[5]وكان ذلك جليا في عهد الماريشال راندون الذي جعل من منطقة الصحراء نقطة هامة وأولوية من أولوياته[6] ومن بينها مدينة ورقلة التي شهدت في مطلع القرن التاسع عشر حالة من الفوضى و اللإستقرار بسبب الصراع حول الحكم من جهة،والتطاحن بين الأعراش الثلاث الموجودة بها وهي بني سيسين،وبني واجين،وبني إبراهيم من جهة أخرى،وهو الأمر الذي استغلت الحكومة الفرنسية للنفاذ إليها ثم السيطرة عليها[7] بطريقة غير مباشرة في البداية من خلال تعيين بعض

[1] C.Trumelet :**Les Français dans les Désert**,challamel ainé,2eme édi,1885,p38.

[2] يضم أهل الشط،بني سيسين،أولاد مولاة،والجمعة،وبني ثور.أنظر:J.Letilleux :op.cit,p227

[3] عبد الحميدزوزو:مرجع سابق،ص ص 92،93.

[4] انظر الخريطة بالملحق 6 ص 157.

[5] التواتي بومهلة: مرجع سابق ،ص ص 40،41.

[6] أبوالقاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط1،1992،ج1،ص 354.

[7] عبد الحميد نجاح:مرجع سابق،ص 27.

القيادات المحلية التي أعلنت ولائها لفرنسا،كالشيخ أحمد بن بابية الذي طلب مساعدتها في إخضاع ورقلة في ربيع 1849وكان له ذلك ،لكن سلطته لم تدم طويلا بسبب وفاته سنة 1851 أثناء عودته من زيارة الامتثال للقيادة الفرنسية بوهران،فخلفه بعدها ابنه بوحفص،الذي دخل في صراع مع أخيه الطيب حول خلافة أبيهما في الحكم،مما ساهم في تردي الأوضاع بالمدينة ولم يكن أمام سكانها إلا الاستعانة بالشريف محمد بن عبد الله[1] الذي حل بورقلة حينها،ليكون سلطانا عليهم،وذلك لما رأوا فيه من ورع وتقوى ودراية بالفنون الحربية[2]وبتعينه سلطانا على ورقلة سنة 1851 شرع في إخضاع العديد من المدن كالاغواط و واد سوف وتقرت بعدما لقي في فترة وجيزة إقبالا ودعما كبيرا من الثوار المحليين[3].

وأمام هذا النشاط الذي قام به الشريف محمد بن عبد الله أصبحت الحكومة الفرنسية متخوفة منه بشكل كبير لأنه شكّل تهديدا لها،لذلك عملت على إخضاع ورقلة قبل أن تتحول لقاعدة ثورية للمقاومة الشعبية[4]فوجهت حملة لها في السابع وعشرين جانفي من سنة 1854 بقيادة الكولونيل ديريو Durrieu ،انتهت بتنصيب الآغا سي الزبير بن سيدي الشيخ قائدا عليها[5]وبإلزام سكانها على دفع ضريبة سنوية لفرنسا تقدر ب2000فرنك[6]بعد تمكنها من هزيمته الشريف محمد بن عبد الله وإجباره على الانسحاب من المدينة[7]إلا أن عدم استقرار هذه القوات العسكرية بورقلة واكتفائها بتعيين قيادات محلية فقط شجعت الشريف محمد بن عبد الله للعودة مجددا إلى ورقلة سنة 1861،بعد نجاحه في استمالة عرش الشعانبة وكسبه لصفه،حيث مكث بها مدة من الزمن،ثم

[1] J.Letilleux :op.cit,p248.

[2] عبد الحميد زوزو:مرجع سابق،ص ص 96،94.

[3] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص 45.

[4] رضوان شافو:**الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة (قراءة في الدوافع والعراقيل)**،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة حمة لخضر واد سوف، ع2،ديسمبر2011،ص87.

[5] Denys pillet :op.cit,p8.

[6] Trumelet :op.cit,p243.

[7] يحي بوعزيز:**وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله**،مجلة الثقافة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،جوان 1976، ع33،ص ص 18،17.

غادرها في عشرين أكتوبر من نفس السنة،وفي السنة الموالية قام الكومندان كولومييه Colomieu بتعيين سي الأعلى أخ سي الزبير أغا على ورقلة.

وبعد إعلان قبيلة أولاد سيدي الشيخ مؤازرتها للقبائل الرحّل بورقلة في ثورتها على فرنسا سنة 1863، ردّت فرنسا بارسال بعض الفرق العسكرية الفرنسية كفرقة سيروكا Seroka و أرنودو (Arnaudeau) لورقلة من أجل ربطها إداريا بمقاطعة قسنطينة، وكان ذلك بين عامي 1865 و 1866،ثم دخل بعدها محمد التومي الملقب ببوشوشة ورقلة سنة 1871وأعلن نفسه سلطانا عليها، وهو ما دفع بفرنسا للتدخل مجدداً في ورقلة لإبعاد بوشوشة من المنطقة بإرسال قوة عسكرية بقيادة الجنرال لاكروا (Lacroix)،الذي تمكن من إبعاده،وتعيين الآغا بن إدريس بن قانة البسكري حاكما عليها سنة 1872،ثم انسحابه بعدما أتم مهمته بالمدينة.[1]

ج–المقاومة الشعبية بورقلة:

شارك سكان ورقلة في المقاومات الشعبية التي اندلعت بها منذ اللحظة الأولى للوجود الفرنسي بالمدينة،والذي كان في بداية الأمر بطريقة غير مباشرة عن طريق تعيين بعض القياد والزعماء الموالين لها،بداية بمقاومة الشريف محمد بن عبد الله الذي بدأ يخطط لها أثناء تواجده بمكة المكرمة لأداء فريضة الحج،حيث اتصل حينها ببعض الجزائريين المنفيين والهاربين من القمع الاستعماري الفرنسي، و كان من ضمنهم محمد بن علي السنوسي الذي طُرد من الجزائر سنة 1849م،فوثّق صلته به ،وأسسا معا زاوية دينية هناك،كانت مقصدا للجزائريين الموجودين هناك من أجل حل مشاكل بلادهم السياسية،ثم قاما بعدها بمراسلة رفقائهما في تونس وطرابلس والجزائر،لتتبع أخبار الجزائر بانتظام[2]وركّزا اهتمامها لدراسة المشكل الأساسي والخطير وهو الاستعمار الفرنسي،وكيفية معالجته من خلال إعداد خطة مناسبة للقيام بالثورة[3]وشجعهم حينها للمضي قدما فيما خططوا له الأحداث التي

[1] Denys pillet :op.cit,p8.

[2] يحي بوعزيز: مرجع سابق،ص ص 13،14.

[3] محمد بن معمر:**علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله**،ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة(1842-1895)،ورقلة 25-27فيفري 1998،ص 64.

شهدتها الجزائر في الأربعينيات بظهور عدة ثورات شعبية كثورة الزعاطشة والزاب الظهراوي والحضنة والأوراس وثورة الناصر بن شهرة[1]،فقرر العودة للجزائر،بعدما اتفق مع السنوسي على ضرورة الكفاح المسلح،فانطلق إلى طرابلس ووصلها في أواخر سنة 1850ثم توجه بعدها إلى واد سوف وتقرت،ثم وصل لورقلة التي استقر بها في أحد زوايا الرويسات[2]ولقي بها ترحابا واستقبالا كبيرا،حيث تم تعيينه سلطانا عليها سنة 1851،فصار له في فترة وجيزة أتباع ومناصرين كثُر،وبذلك اتخذ من ورقلة قاعدة لعمله وتحركاته[3]وبسيطرته عليها أراد الشريف محمد بن عبد الله السيطرة على تقرت الخاضعة لسلطة بني جلاب منذ زمن طويل،فاتجه إليها بمساندة سلطانها السابق سليمان بن جلاب الذي عزلته فرنسا ،وعوضته بابن عمه عبد القادر بن جلاب،وشاركه فيها أيضا سكان متليلي[4]،ثم غادرها بعد ذلك متجها إلى جبل عمور لجمع المزيد من الأنصار،بعدما صادر أملاك عائلة شيخ نقوسة،واعتقل أفرادها وسجنهم بالرويسات،ثم غزا بعد ذلك دوار أولاد ساعد بن سالم في أولاد نايل[5].

[1] بن الناصر بن شهرة:ينتمي إلى قبيلة المعامرة والحجاج التي تنتمي بدورها إلى الحرازلية ،ولد سنة 1804 بالأرباع قرب ورقلة،كان أبوه بن شهرة وجده فرحات قائدين وشيخين بالتوالي على الأرباع، انضم إلى الطريقة القادرية ،وتزوج بابنة سلطان الأغواط أحمد بن سالم،وهو يدل على مكانته وعلو شأنه لكن بعد خضوع بن سالم إلى الفرنسيين أنكر عليه ذلك وطلّق ابنته بعد رفضها الذهاب معه للصحراء بعيدا عن فرنسا،وأعلن تمرده على فرنسا ،مما جعلها تعتقله وتفرض عليه إقامة جبرية بمعسكر،لكنه تمكن من الفرار منها،فلاحقته جنود الصبايحية بقيادة الملازم كروز ،واستطاع أن يهزمهم ويستولي على أسلحتهم،بعدما وجهة رسالة للقيادة الفرنسية يخبرها بأنه لن يطيع فرنسا ولن يقبلها،وبذلك بدأت مسيرته الثورية بعد ما توجه إلى ورقلة لتنسيق الجهود مع الشريف محمد بن عبد الله،حيث تمكن من الاستيلاء على ورقلة والأغواط،ومهاجمة أعوان الفرنسيين.أنظر:يحي بوعزيز:**كفاح الجزائر من خلال الوثائق**،عالم المعرفة للنشر،الجزائر،2009،ص ص 137،139.

[2] محمد حسين:**أهمية التاريخ والثورات الشعبية بالجنوب**،ثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة (1842-1895)،ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895)،ورقلة 25-27فيفري1998،ص28.

[3] Trumelet :op.cit,p67.

[4] يحي بوعزيز: وثيقتان جديدتان... ،مرجع سابق،ص15.

[5] يحي بوعزيز:**ثورات الجزائرفي القرنين التاسع عشر والعشرين**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر،ط2،ج1،ص154.

وحاول في شهر فيفري 1852 التوسع شمالا فدخل في صراع مع باشاغا منطقة الجلفة الشريف ابن الأحرش،وخليفة مدينة الأغواط أحمد بن سالم،وأغا جبل العمور الدين بن يحي،والتقى معهم في معركة انتهت بانتصاره عليهم وتزايد المناصرين حوله من مختلف القبائل، وبعدها بأشهر توجه للأغواط رفقة ابن الناصر بن شهرة،واعتصم بها،ودافع عنها طويلا ضد الفرنسيين،لكنهم تمكنوا في الأخير من افتكاكها منه في الرابع ديسمبر من سنة 1852[1] بعد مواجهة كبيرة بينهما في عين الرق أسفرت عن مقتل مائتي رجل،وغنيمة ألفي جمل وحوالي عشرين ألف رأس غنم من أعوان فرنسا بالمنطقة،وأصيب فيها الشريف محمد بن عبد الله بجروح جعلته يتوقف عن نشاطه لبعض الوقت،حتى يتعافى منها،ثم عاد في شهر فيفري 1853 لنشاطه مجددا بعدما تحالف مع ابن ناصر بن شهرة،وسي النعيمي ولد سيدي الشيخ الذي كان غاضبا من أخيه سي حمزة،وحاول برفقتهم غزو الأغواط مجددا،لكن فرنسا تدخلت واستغلت الصراع الذي كان بين سي النعيمي وسي حمزة،وقدّمت الدعم لسي حمزة وجنَّدت لأجله قوة كبيرة مشكّلة من حوالي ألفي فارس رفقة قوات دوريو،وبارال،ونيقو،توجّه معها إلى ورقلة ،ثم نقوسة التي التقى فيها الطرفين أولا،ثم حصلت بينهما معارك أخرى في بريزينة والرويسات،انتهت بهزيمة محمد بن عبد الله وانسحابه إلى نفطة بتونس،التي مكث بها بضعة أشهر.[2]

وفي سبتمبر 1854،عاد محمد بن عبد الله للجزائر،واتجه لورقلة رفقة سليمان بن جلاب السلطان السابق لتقرت،لكن حاكمها سي الزبير ولد سيدي الشيخ قاومهما وأرغمهما على الانسحاب منها،فاتجها إلى واد غير أين اعترضتهما قوات فرنسية في المقارين بقيادة الكولونيل ديفو الذي قَدم من بوسعادة والأغواط،وحصلت بينهما معركة كبيرة في التاسع وعشرين نوفمبر،انتهت بانسحاب الشريف محمد وابن جلاب إلى تقرت ثم إلى الجريد التونسي،أما القوات الفرنسية فقد استعادت ورقلة وتقرت في 1 و2 ديسمبر على التوالي،وطبقت فيها أساليب العنف والقوة ضد السكان،تمهيدا للتوسع نحو بقية المدن الصحراوية كواد سوف وواد ريغ،لكن في هذا الوقت تمكّن

[1] عبد الحميد زوزو:مرجع سابق،ص ص 100،99.

[2] بوعزيز: وثيقتان جديدتان.. ،مرجع سابق،ص ص 18،17.

محمد بن عبد الله من العودة من تونس سنة 1858 فاتجه إلى توات،ومنها إلى الأغواط في محاولة جديدة لاستعادتها إلا أن سي بوبكر ولد سي حمزة ولد سيدي الشيخ كان يطارده باستمرار إلى أن تمكن من محاصرته في العرق الغربي والقبض عليه سنة 1861،ثم تقديمه للسلطات الفرنسية التي قامت بنفيه إلى فرنسا وفرض إقامة جبرية عليه في سجن عسكري بساحة دوبيريقون.

وبعد عودته من المنفى شارك محمد بن عبد الله في العديد من المعارك مع رفقائه القدماء،فانضم إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ،ثم ثورة المقراني والحداد[1]،وبعدها اتصل بابن شهرة في تقرت وبوشوشة في ورقلة،وقام معهم بعدة معارك وانتصر في الكثير منها،وضَّل يتنقل بين المناطق الصحراوية يكافح الاستعمار وأعوانه إلى أن توفي سنة 1895م.[2]

كما شارك سكان ورقلة أيضا في الانتفاضة التي كانت بقيادة محمد بن التومي بوشوشة[3] الذي بدأَ حركته الثورية بتمركزه في عين صالح سنة 1869،حيث تمكن خلالها من كسب مؤيدين له بمجرد

[1] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص ص 19،20.

[2] محمد حسين:مرجع سابق،ص 28.

[3] هو محمد بن التومي بن إبراهيم،الملقب بوشوشة بمعنى الفارس،لتطبعه الفروسية منذ نشأته الأولى،ولد بقرية الغيشة قرب المنيعة،بجبال عمر،التي كانت أغوية خاضعة للمكتب العربي بأفلو،لا يعرف بالتحديد تاريخ مولده،ولكن بالتقريب حوالي عام 1826أو1827،استنادا إلى تاريخ اعتقاله عام 1862حيث كان عمره أنداك وخمسة ثلاثين عاما،وكان والده فقيرا معدما يتجول في الأسواق والقرى كمداح ومغني شعبي للحصول على قوت عائلته،وشاع في توات أن أصله من الزيبان،مارس منذ صغره الرعي والفروسية ،وتنقل في أطراف الصحراء صحبة أحد المؤدبين الذين كانوا يعلمون القرآن للصبيان،ثم انفصل عنه واتجه إلى سكان قصر كرادة بالبيض بمفرده،واستقر لدى أولاد عيسى بعض الوقت قبل أن يتجه إلى فقيق لجمع الأموال والمؤن والأسلحة الضرورية لتنقلاته وحركته،ويظهر أنه سطا في الطريق على أموال بعض خصومه فأوقفه قائد البيض أولاد سيدي الشيخ،واقتاده إلى معسكر حيث قدم لمحاكمة تأديبية حكمت عليه في 22ديسمبر1862 بعام سجن قضاه في زمالة بوخنيفيس على الضفة اليسرى لواد مكرة على بعد15كم من مدينة سيدي بلعباس،وبعد خروجه من السجن أو هروبه كما يدعي رين عام1863،حاول أن يلعب دورا في ثورة أولاد سيدي الشيخ التي اندلعت عام 1864 لكنه لم ينجح فتزوج من أخت أرملة أخيه الأكبر،ورحل إلى طرابلس في ذلك العام لأسباب غير معروفة قد تكون للبحث عن مصدر للمال أو السلاح أو الأنصار أو تلقي تعليمات إذا صح أنه من أعوان السنوسيين حسب قارو،ليعود بعدها للجزائر في سنة 1865،حيث توجه إلى الأغواط ثم فقيق مركز تجمع ثوار سيدي الشيخ واستقر في زاوية أولاد مساوة لبعض الوقت،ثم توجه إلى زاوية كرزاز التي استقبله شيخها بحفاوة بالغة،ثم تنقل بعدها في

ظهوره كزعيم وداعية للثورة ضد الاستعمار الفرنسي،حيث قام بحَث الناس على حمل السلاح للدفاع عن الوطن،فالتف حوله العديد من الأنصار من توات،وشعانبة متليلي والمنيعة وورقلة، وانضم إليه ابن ناصر بن شهرة في مارس 1869 رفقة عدد كبير من المقاتلين والتقيا في قرى المحرق وقنيفيد على الضفة اليسرى لوادي مزي،وقاما بتحرير مدينة المنيعة وطرد قائدها جعفر الذي عينته السلطة الفرنسية،كما اتصل به الشريف محمد بن عبد الله وأعلن له دعمه للمقاومة في ورقلة.

وبعد هذه المبايعات المتتالية شرع بوشوشة في حشد وحث سكان الجنوب على التصدي للاستعمار الفرنسي والمتعاونين معه،وبدأ في مطاردة الشيوخ الذين عينتهم فرنسا وعزلهم ،ثم تعيين أشخاص آخرين خلفا لهم،كما فرض غرامات مالية على كل من اشتبه أمره،أو عُرف بتعاونه مع فرنسا،وبعد طرده لقائد المنيعة في أفريل من سنة 1870،توجه في الخامس من ماي من نفس السنة إلى متليلي واستولى عليها[1]وبعدها إلى الرويسات بورقلة،ثم تقرت التي أراد السيطرة عليها لكنه لم يستطع بسبب وجود عدد كبير من المقاتلين فيها ،فتوجه إلى واد سوف،ثم عاد بشكل مفاجئ إلى نقوسة في الخامس مارس من سنة 1871 فتصدى له سكانها ولم يستطع دخولها فعاد إلى ورقلة بنفس اليوم و دخلها بدون قتال بعدما فاوض سكانها[2]ومنها توجه إلى قمار فرفض محمد الصغير شيخ الزاوية التيجانية استقباله وعزم على مقاومته،إلا أن بوشوشة طمأنه بأنه لم يأت لقتالهم وإنما لمهاجمة زمالة على باي[3]آغا تقرت الذي نصبته الحكومة الفرنسية،لكن موقف سكان واد سوف كان

جهات توات ،ووثق صلاته بشيخ رقان الديني ،وضم إليه عددا من الأنصار والأتباع ،وعزم للذهاب إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج،ثم عدل عن ذلك بسبب المجاعة التي اجتاحت البلاد سنة1867.أنظر:يحي بوعزيز:**أضواء على كفاح الشريف بوشوشة**،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة فيفري 1999، ص 26.عبد المجيد بن نعمية وآخرون:**موسوعة أعلام الجزائر(1830–1954)**،م،و،د،ب،ح،و،ث،أ،ن1954، 2007،ص ص362،367.

[1] ثورة الشريف محمد بن التومي (بوشوشة)،إعداد مصلحة البحوث والأرشيف،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة ،فيفري1999،ص20.

[2] Louis Rinn: **Histoire de l'insurrection de1871 en Algérie**, Alger,1891, pp140,486.

[3] Ibid, p 486.

رافضا له حيث عرضوا عليه مبلغا من المال مقابل رحيله عنهم،وأمام هذا الرفض توجَّه بوشوشة إلى حوييت القائد أين وصلته رسائل تعرض عليه المساعدة من بعض شيوخ وزعماء بعض القبائل الموالية لابن قانة كسكان قبلي وسلماية وأولاد حويلت وأولاد دحمان ونزلة ومجارية،حيث طالبوه بالقضاء على سلطة علي باي بن بوعكاز وقوته المكونة من حوالي سبعة وستين جنديا وحارسا من الرماة،فانطلق بأنصاره إلى تقرت ووصلها في 13ماي،وشرع في تنظيم أحوالها فعيّن بوشمال بن قبي آغا عليها،وأحمد بن العربي شيخا على تقرت،والطالب علي رئيسا على تبسبست،وزيروش شيخا على الزاوية،ثم بعدها غادر إلى تماسين فحاصر الزاوية التيجانية المعارضة له[1]لكن زعيمها محمد العيد رفض استقباله وردّ عليه قائلا :«إن دخول الفرنسيين للجزائر كان بمشيئة الله،وان حكومتهم دائمة فاحترس»[2]وبعد هذا الرفض،خرج بوشوشة إلى بلدة عمر ثم اتجه جنوبا إلى عين صالح لجمع المؤونة وكسب الأنصار وتحضير خطط للمقاومة بعدما حصل على قاعدتين هامتين ورقلة وتقرت.

إن سيطرة الشريف بوشوشة على ورقلة،قد دفعت بقائدها علي باي إلى التوجه نحو بسكرة في 27 ماي،والاحتجاج لدى قائدها الفرنسي على تواطؤ أولاد بني قانة مع بوشوشة وتقديمهم المساعدة له للسيطرة على ورقلة وتقرت،إلا أن هذا الأخير اتهمه بالتقصير والإهمال وتوعَّد بمحاكمته،مما دفعه للعودة مجددا لورقلة من أجل استرجاع نفوذه بها،فوصل إلى تقرت وحاصرها في 8جويلية بمساعدة أولاد عمر وأولاد بن زكري وأولاد نايل لكنهم فشلوا في اقتحامها،فبعد يومين من ذلك جرت معركة ثانية بين الطرفين بعد وصول بوشوشة و بن الناصر بن شهرة إليها،انتهت بانهزام علي باي وانسحابه إلى بسكرة في 13جويلية،تاركا أتباعه من أولاد زكري يخوضون ثلاث معارك مع بوشوشة مابين شهري جويلية وأوت انتهت بفقدان الشريف بوشوشة لعدد من أنصاره والبعض من جماله ومواشيه[3]

[1] يحي بوعزيز: أضواء على كفاح الشريف بوشوشة...،مرجع سابق،ص ص 30.29.

[2] Louis Rinn :op.cit.p493.

[3] محمد بن معمر:مرجع سابق،ص 47.

وبعد هذه الأحداث توجه بوشوشة إلى النومرات جنوب العطف على رأس ستمائة فارس،ووصلها في 31أوت،حيث التقى فيها بسي الزوبير ولد سيدي الشيخ مع مجموعة من شعانبة برزقة والمواضي،ونتج عن هذا اللقاء مصاهرة بين الطرفين بزواج بوشوشة من ابنة عم سي الزبير فاطمة بنت جلول في 1سبتمبر 1871،فأثمرت هذه المصاهرة بتعيين بوشوشة لصهره سي الزبير آغا على ورقلة.

أما موقف الحكومة الفرنسية من نشاطه فقد كان في البداية قائما على تكليف بعض من أعوانها لملاحقته وتتبع تحركاته لانشغالها بمحاربة ثورة المقراني والحداد في الشمال،من بينهم القائد بولخراس بن قانة والسعيد عتبة،اللّذان هاجماه بقواتهما في السابع نوفمبر في كويف خلبة بين العالية والقرارة في واد غير،وكان معه في هذه المعركة البعض من المقرانيين الفارين من الشمال الذين تحملوا معه مشاق المواجهة،وأصيب فيها بوشوشة بجروح حُمل على إثرها لورقلة لتلّقي العلاج،و ما إن استعاد عافيته حتى عاد لنشاطه من جديد، فقسَّم أنصاره إلى خمسة كتائب صغيرة للعمل الأولى بقيادته وسي الزبير،والثانية تتالف من الشعانبة،والثالثة من المخادمة،والرابعة بقيادة بن الناصر بن شهرة،والخامسة من المقرانيين الهاربين من الشمال[1]و انتقلوا إلى حاسي قدور ثم حاسي التامزقيدة ومن خلفهم القوات الفرنسية تطاردهم بعدما نجحت في تشتيتهم في الشمال،واستطاعت استعادة تقرت في 27 ديسمبر 1871،ثم ورقلة في 2جانفي 1872،بعدما قضت على زمالة بوشوشة واستولت على ما فيها من أطفال ونساء و خيم وزرابي،وحبوب وتمور،وفرّقت أنصاره عنه فتوجه الشعانبة إلى عين طيبة جنوبا وبعدهم ابن ناصر بن شهرة مع المقرانين إلى الحدود التونسية ،في حين توجّه صهره سي الزبير إلى عين صالح .

لكن ورغم كل هذه الأحداث فقد ظّل نشاط بوشوشة مستمرا،حيث استطاع أن يجمع حوله الأنصار،ويتنقل معهم بين عدة مناطق،وهو ما دفع بالجنرال ليبير Libert بتكليف السعيد بن إدريس لملاحقته،والتقى الطرفين في معركة محدودة في 19فيفري بربوات حاسي كلوة ،ولم ينجح خلالها

[1] يحي بوعزيز:مرجع سابق ص ص 33،34.

السعيد بن إدريس في القضاء عليه فعاد إلى ورقلة حيث وجد القوات الفرنسية قد حضرت له قوات أخرى أكثر عددا[1]انطلق بها لقتال الشريف بوشوشة في 4مارس 1874،و نجح في حصاره في واد عقاربة،وأستطاع بعج بن قدور وهو احد رجال السعيد بن إدريس من قادة قبيلة سعيد عتبة أن يأسره في معركة الميلوك في 31 مارس 1874،فاقتيد مع البعض من أتباعه إلى ورقلة،ثم العاصمة لعرضه على المجلس الحربي،وأحيل بعدها على مجلس قسنطينة الحربي أين تمت محكمته،ثم تنفيذ حكم الإعدام عليه بمعسكر الزيتون قرب قسنطينة في 29جوان 1875م[2].

د- حركة المدقنات:[3]

ظهرت هذه الحركة بعد المجاعة التي أصابت الجزائر سنة 1867،وما خلّفته من فقر وجفاف، جعلت بعضا ممن يحتفظون بماشيتهم يتغذون من لحومها،بينما كان الآخرون يأكلون لحوم بعض الزواحف،وجذوع النباتات،في حين لجأ بعضهم للهجرة كما فعل سالم بن الشرير الذي توجه إلى المنيعة بعدما أغار على العديد من المراعي في طريقه وسلب مافيها،وفي أحد الأيام نزل أحد كبار شعانبة ورقلة المدعو معطاالله بوظفر عند مخيم سالم بن شرير ورفقائه، فقاموا بضيافته و إكرامه،رغم أن

[1] يحي بوعزيز:مرجع سابق ص ص 35،37.

[2] محمد بن معمر:مرجع سابق،ص ص 54،55.

[3] يعود أصل تسمية المدقنات إلى أحد الطوارق من الهقار يدعى مدقن كان يقوم ببعض الأعمال المنافية سنة 1860،طرد منها حيث صار في فقر مدقع،دفعت به هذه الأوضاع للهجرة شمالا نحو ورقلة حيث نزل عند شعانية هب الريح واستقر بها ،وكان له سبعة أبناء يرافقونه ،وأثناء إقامتهم بها أقرضه الشعانبة بعض الجمال،واشتروا لهم القمح والتمر،فعاشوا عدة شهور من حياتهم تحت ضيافة أهلها وكانوا يصطادون الغزلان في العرق ويتنقلون في أي مكان،وبعد استعادتهم لعافيتهم بعد التعب جراء الحضر الذي فرض عليهم ، لم يستطيعوا مقاومة العودة لمغامراتهم القديمة ،فشرعوا في السطو والنهب من مكان لمكان،مما دفع بالقبائل المتضررة من عملية سطوه ونهبه خاصة قبائل الشعانبة ،لملاحقته بستين من المهارى،ووصلوا إلى اجلمان في حدود تيديكلت وتادميت حيث استسلموا بدون قتال ،ولم يبق من العائلة إلا طفل صغير قاد بعض الجمال المنهوبة من طرف إخوته إلى عين صالح،ومنذ دلك الوقت صار يطلق اسم مداقنة على كل قاطع طريق أو خارج عن القانون. انظر: Le Chatellier (Capitaine d'infanterie) :**Les medaganat**,R.A n30,1886,pp40,41.

خيمهم لم يكن بها لاحليب ولا قمح أو ملح أو زبدة،فكان على أبو بكر بن الحاكم الذي كان أقل فقرا أن يذبح لهم عنزة كان قد اشتراها قبل أيام،ويقدمها كما هي دون ملح أو دسم ،فقال الشيخ معطالله ممازحا مضيفيه:« لقد هربتم بعد أن سرقتم الناس الذين فعلوا الخير فيكم، أنتم تسرقون العدو والصديق،وتعيشون مثل الطوارق،أنتم من المدقنات» ومنذ ذلك الوقت بقي اسم المدقنات فيهم[1].

وبعد هزيمة واعتقال الشريف بوشوشة في أوائل *1874*،تشكلت مجموعة من الشعانبة الثائرين وبعض من أصدقائه الأولين،والأوفياء له حركة أصبحت تعرف بالمدقنات،عُرف أصحابها بانجازاتهم البطولية،حيث قطعوا الصحراء في مدة عشر سنوات من واد دراع إلى نفزاوة،ومن أدرار إلى جبل العمور[2]وهاجموا المصالح الفرنسية بالمنطقة و الأشخاص الموالين لها..

المبحث الثاني:دوافع الاهتمام الفرنسي بورقلة والصحراء الجزائرية:

بعد مقاومة عنيفة وشرسة استطاعت فرنسا التوسع في المناطق الشمالية للجزائر وبسط نفوذها عليها وما إن تمكنت من ذلك،حتى بدأت توجه أنظارها صوب المناطق الجنوبية،التي ظلّت صعبة المنال بالنسبة لها إلى غاية العهود الأولى من القرن التاسع عشر ميلادي،حينما شجّعت ودعّمت بعض الرحلات الاستكشافية نحو هذه المنطقة الهامة من أجل التعرف عليها أكثر،والواقع أن الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية يعود لفترة ما قبل الاحتلال،ويتضح ذلك من خلال استغلال الضباط الفرنسيين لتقارير بعض الرحالة الأوروبيين،واستفادتهم منها في غزو الصحراء[3]وذلك لتحقيق جملة من المكاسب المتعددة التي وجدتها في الصحراء الجزائرية والمناطق المجاورة لها والتي تكمن في:

أ- الدوافع الاقتصادية:

يُعّد الجانب الاقتصادي من أولى أولويات الإدارة الاستعمارية الفرنسية لذّلك جنّدت له كل قوتها العسكرية والبشرية من أجل تحقيق بعض الأهداف التي كانت وراء قيامها بعملية الاحتلال

[1] Le Chatellier :op.cit ,p p44,46.

[2] Ibid ,p40.

[3] شهرزاد شلبي:**الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية**،مجلة كان التاريخية،2011، ع11،ص84.

والتي كان من ضمنها السيطرة على الثروات الطبيعية المعدنية والطاقوية،[1]وتحقيق استثمار صناعي بالصحراء الجزائرية من أجل منافسة بريطانيا خاصة وان فرنسا كانت تدرك تخلفها صناعيا عن بريطانيا في تلك الفترة،وفي هذا الصدد يقول الاقتصادي الفرنسي بول ليروا بوليو P.Leroy Beaulieu :«يتراءى لنا أن الصحراء الجزائرية كانت على جانب كبير من الثروة المعدنية والمدّخرات المنجمية المتنوعة»،لذلك وضمانا لانجاز هذا المشروع الاقتصادي الكبير وعملا على إنعاش تجارتها،قامت بتأسيس العديد من الجمعيات والبنوك التجارية والشركات الاحتكارية كالبنك التجاري الإفريقي،والشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر،بنك إفريقيا الغربية،الشركة الصناعية التجارية لإفريقيا،وجمعية التجارة لإفريقيا الغربية،من أجل السيطرة على ثروات إفريقيا[2].

هذا وقد كانت تسعى فرنسا منذ اللحظة الأولى لجعل المنطقة سوقاً استهلاكية لسلعها ومنتجاتها الفائضة[3] وقد أكد ذلك وزير الحربية الماريشال سولت Soult بقوله: «إن الصحراء في هذه الفترة يمكن اعتبارها أهم مركز للبحث عن الأسواق التجارية الرابطة بين الصحراء والشمال الإفريقي من جهة والصحراء الجزائرية وإفريقيا السوداء من جهة ثانية....»[4].

والواقع أن الاهتمام الفرنسي الكبير بالصحراء الجزائرية نابع من النشاط التجاري الكبير الذي كان قائما بين الحواضر الصحراوية ومختلف بلدان السودان الغربي،الذي كان يدر أرباحا طائلة على الطرفين[5]لذلك سعت فرنسا بقوتها للسيطرة عليه من أجل التحكم في تجارة الصحراء والسودان ومراقبة الطرق التجارية الرابطة بين المنطقتين[6].

---

[1] يحي بوعزيز:**الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**،عالم المعرفة للنشر،الجزائر،2009،ص10.

[2] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص 23.

[3] محمد رجائي ريان:**التوسع الفرنسي في الصحراء الكبرى وموقف بريطانيا والقوى الإسلامية في المنطقة 1890.1943**، المجلة التاريخية المغربية،تونس،1997، ع85،86، ص73.

[4] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص 23.

[5] مياسي إبراهيم:**الاهتمام الفرنسي بالصحراء**،مجلة طريق القوافل التجارية،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر2001م،ص80.

[6] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص53.

لذلك يمكن القول أن الدوافع الاقتصادية من وراء الاهتمام الفرنسي بالصحراء الكبرى عموما والصحراء الجزائرية خصوصا كان نتيجة حتمية لبعض الأحداث التي شهدتها فرنسا وأوروبا في تلك الفترة،من بينها الثورة الصناعية التي كانت تحتاج لمواد أولية وأسواق لصرف الفائض من الإنتاج،في ظل سيطرت طبقة التجار والرأسماليين على مقاليد الحكم في البلدان الكبرى،فأصبحت الأغراض التجارية والصناعية تتحكم في سياسات هذه الدول،حيث كانت ترى في هذه المستعمرات مصدرا للمواد الأولية الزراعية والمعدنية،ومستودعا للفائض من المصنوعات الغير جيدة وبأسعار عالية[1]ومناطق لتعويض الأموال التي فقدتها،وقد أشار أحد أساقفة فرنسا (**موري**) في كلمة ألقاها في الجمعية الوطنية الفرنسية عام1791م:«إذا فقدتم سنويا ما يزيد عن 200مليون جنية ،تحصلون عليها الآن من مستعمراتكم لإطعام الصناع في بلادكم وللإبقاء على بحريتكم،ولدفع عجلة زراعتكم ولتغطية قيمة وارداتكم،ولتوفير احتياجاتكم الكمالية،ولجعل الميزان التجاري مع أوروبا وآسيا لصالحكم،فإنني أقولها حينئذ بصراحة غن المملكة سوف تضيع بلا رجعة»[2].

ب–الدوافع السياسية:

كانت فكرة إنشاء إمبراطورية فرنسية نشطة في عهد نابليون الثالث (**1848–1870م**)،ويعود لها الفضل في تمرير المشروع الاستعماري الفرنسي للجزائر،الذي لم يلقَ في البداية قبولا من عدة أطراف بفرنسا،لكن بمجرد طرح فكرة الإمبراطورية حتى لقيت رواجا كبيرا لدى السلطات الفرنسية التي باشرت في تنفيذ هذا المخطط بداية باحتلال الجزائر[3]ثم التوجه جنوبا نحو الشرق لحصار تونس عسكريا واقتصاديا بقطع المبادلات التجارية و العلاقات الاجتماعية بينها وبين واد سوف تمهيدا لاحتلالها من جهة،ومن جهة أخرى حصار المغرب الأقصى من الجنوب الغربي من اجل السيطرة عليه

[1] شوقي عطا لله الجمل،عبد الله عبد الرزاق إبراهيم: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،دار الزهراءللنشر،الرياض،السعودية، ط2، 2002،ص56،57.

[2] والتر رودني:**أوروبا والتخلف في أفريقيا**،تر:أحمد القصير،مراجعة: إبراهيم عثمان،سلسلة عالم المعرفة،ع132،1988،ص95.

[3] إلهام محمد علي ذهني:**جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار(1850م–1914م)**،دار المريخ للنشر، الرياض،1988م،ص61.

وعلى موريتانيا،لتحقيق حلمها في السيطرة على الشمال الإفريقي[1] وتكوين إمبراطورية عظمى تضم كل من إفريقيا الغربية و الاستوائية[2]لكنها اصطدمت ببريطانيا التي سيطرت على أجزاء واسعة بإفريقيا وأصبحت تشكل قوة منافسة لها[3]فعملت على إبعاد هذا المنافسة من الصحراء الجزائرية بعقد اتفاقية مع بريطانيا في 5أوت 1890م[4]التي تحصلت من خلالها على عدة مكاسب،فبموجبها اعترفت بريطانيا بامتداد نفوذ فرنسا إلى الساحل الشمالي الغربي من بحيرة تشاد[5].

كما كان لفرنسا دوافع أخرى من رغبتها في السيطرة على هذه المساحات الشاسعة من الصحراء،التي شكَّلت معقلا للثوار الفارين من الشمال،حيث كان توغلها في أعماق الصحراء الصحراء يهدف لحماية مصالحها بقسنطينة من خطر الثائرين عليها،فقد صرّح أوغستين Augustin عن ذلك قائلا:«إن الهدف من التوسع في الصحراء هو تحقيق جملة من المكاسب أهمها حماية الوجود الفرنسي بقسنطينة من خطر الثائرين وفي مقدمتهم الأمير عبد القادر»[6]فقد كان في نظر السلطات الفرنسية أن فصل الصحراء عن الشمال سيسهل لها عملية تفكيك وتقسيم المجتمع الجزائري،وتكوين دولة جديدة مستقلة تضم سكان الصحراء فقط،ومنها يتم تفريغ الصحراء من سكانها وتجميعهم بحيث يسهل عليها مستقبلا السيطرة عليهم عسكريا وسياسيا.[7]

ج- الدوافع العسكرية والإستراتيجية:

استهوى النشاط التجاري القائم بين ضفتي الصحراء الحكومة الفرنسية،لذلك عملت بكل الوسائل المتاحة لديها للسيطرة على هذه المناطق الحيوية بداية باحتلال الجزائر في الشمال،وبعض المناطق في غرب إفريقيا كالسنغال،لكن أثناء رغبتها في التوسع جنوبا نحو الصحراء الجزائرية والإفريقية

[1] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص23.

[2] إلهام محمد علي ذهني:مرجع سابق،ص59.

[3] منصف بكاي:**أضواء على تاريخ إفريقيا**،دار السبيل للنشر،الجزائر،ط1، 2009،ص 67.

[4] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص22.

[5] محمد رجائي ريان:مرجع سابق،ص75.

[6] شهرزاد شلبي:مرجع سابق،ص85.

[7] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص21.

واجهتها مشكلة المواصلات الصحراوية والتي عملت على تحسينها من أجل ربط مستعمراتها ببعضها البعض في وسط القارة وشمالها وغربها،تسهيلا لمرور قواتها العسكرية،وتيسيرًا لظروف استقرارها في المراكز العسكرية والمناطق الإستراتيجية التي استولت عليها.[1]

هذا وقد زادت حاجة المستعمر الفرنسي للصحراء الجزائرية لكونها نقطة إستراتيجية تربط بين إفريقيا وأوروبا[2]وقد أشار إلى هذه الأهمية العديد من قادتها كالجنرال ديغول الذي تحدّث عنها أثناء زيارته للجزائر في ديسمبر 1958م في قوله:« إن الصحراء هي أرض المستقبل وشريط بين عالمين،عالم البحر المتوسط وعالم إفريقيا،وبين المحيط الأطلسي وعالم النيل والبحر الأحمر».[3]

المبحث الثالث:السياسة الاستعمارية الفرنسية للسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية.

يعود الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية بالدرجة الأولى إلى نقطتين أساسيتين هما:أهميتها التجارية وثروتها الكبيرة[4]التي اكتسبتها بفعل النشاط التجاري الواسع الذي كان قائما بينها وبين مختلف الأسواق السودانية،والذي تُرجم إلى علاقة اقتصادية واجتماعية قوية جمعت بين المنطقتين منذ القدم،ومن بينها مدينة ورقلة التي لاقت اهتماما كبيرا من طرف فرنسا بسبب هذه التجارة،لدرجة جعلتها توظّف العديد من الوسائل والسياسات للسيطرة عليها،وعلى بقية المدن الصحراوية الأخرى،من أجل خدمة هدفها الاستراتيجي وهو التحكم في التجارة الصحراوية ومسالكها، ومن بين هذه السياسات نجد:

أ/البعثات الاستكشافية:

تميزت بداية القرن التاسع عشر في أوروبا بالرغبة في المغامرة والاستكشاف على مستوى الأفراد وحب السيطرة والاحتلال بالنسبة للحكومات،فلاحت في الأفق فكرة استكشاف الصحراء

[1] محمد رجائي ريان:مرجع سابق،ص73.

[2] يحي بوعزيز: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية**،مرجع سابق،ص ص65.66.

[3] أحمد مريوش:**التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار1916**،مجلة المصادر،المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م،الجزائر،2005، ع11،ص117.

[4] شهرزاد شلبي:مرجع سابق،ص84.

والتعرف على أحوالها [1]كانت مراحل الاستكشاف الفرنسي الأولى للصحراء الجزائرية عن طريق ترجمة وطبع كتب الرحلات التي ألفها علماء ورحالة مسلمون خلال العصر الوسيط،ومن أبرزها تاريخ ابن خلدون(732هـ-808هـ/1332-1406م) الذي قدم فيه معلومات هامة عن المدن الصحراوية كالزاب،ووادي ريغ،مزاب،ورقلة،توات،الهقار وغيرها،حيث وصف قصورها،وسكانها ،ومياهها،ومسالكها التجارية،كما تُرجمت كتب أخرى لا تقل أهمية عن تاريخ ابن خلدون ككتاب المسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري،ووصف إفريقيا للحسن الوزان،ورحلة العياشي،والأغواطي والدرعي،من أجل الاستفادة منها سياسيا وعسكريا[2]في عملية غزو الصحراء من خلال التعرف منها على الطرق التجارية الصحراوية،وتتبع الأنهار الإفريقية،وأسسوا لذلك الغرض الجمعيات العلمية والجغرافية،التي باشرت في إرسال البعثات الاستكشافية تسهيلا للتوغل في الصحراء[3] حيث وصلت هذه البعثات الاستكشافية للصحراء قبل الاحتلال الفرنسي بإيعاز وتشجيع من الحكومة الفرنسية ،التي استهواها كثيرا النشاط التجاري الكبير الذي ربط سكان جنوب المغرب العربي بممالك السودان الغربي[4]فجنّدت لذلك رحّالة ومستكشفين من جنسيات مختلفة[5] كان من أولهم المغامر الفرنسي روني كايي[6]الذي توغّل في أعماق الصحراء واستطاع الوصول إلى تنبكتو سنة 1827،بعدما ادعى أمام

[1] محمد الصالح حوتية:**آل كنتة(دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين12-13هـ/18-19م)**،دار الكتاب العربي، الجزائر،ط1، 2008،ص174.

[2] التواتي بومهلة:مرجع سابق، ص ص 25،26.

[3] عبد القادر بوباية:**دور الرحالة والمستكشفين في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية(1827-1877)**،مقال ضمن ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة ،فيفري1999،ص76.

[4] إبراهيم مياسي: **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962**،دار هومة للنشر،الجزائر،ص 26.

[5] عبد القادر بوباية:مرجع سابق،ص 79.

[6] روني كاييه:رحّالة أوروبي عرف بميولاته الكبيرة للرحلات،زار عدة مناطق من إفريقيا منها السنغال التي زارها سنتي 1818 و1824، نجح في الوصول إلى نهر النيجر ثم بعدها تنبكتو في 20أفريل من سنة1828،بعد ما أقام بتنبكتو مدة أسبوعين غادرها بعدما دوّن معلومات دقيقة عنها وعاد لفرنسا حيث كافأته الجمعية الجغرافية على هذه المعلومات.أنظر:إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص ص 69،70.

القبائل انه مصري تربّى في فرنسا من الصغر،وبعد إتمامه لزيارة المدينة رجع عبر الصحراء مرورا بتوات وتافيلالت ثم فاس ووصل إلى طنجة،ودوّن كل ما شاهده من معلومات جغرافية وحضارية حول هذه المناطق في كتاب،استفادت منه فرنسا في عملية غزو الصحراء الجزائرية والإفريقية[1]لأنه قدم معلومات بغاية الأهمية عن عدة مناطق كجني،تنبكتو،توات وغاو.[2]

ثم قام النقيب بونمان Bonnemainبرحلة إلى غدامس سنة 1856،تعرف من خلالها على الطريق الرابط بين واد سوف وغدامس،وقدَّم معلومات هامة حول النشاط التجاري القائم بينهما[3]وبعده رحلة هنري دوفيري[4]Henri Duveyrier التي استغلتها واستفادت منها الحكومة الفرنسية بشكل كبير لكونها تحتوي على معلومات عديدة حول مناطق شاسعة من الصحراء،حيث انطلقت رحلته من سكيكدة في الثامن ماي من سنة 1859،ومرّت بقسنطينة وباتنة وبسكرة، ثم القرارة وغرداية ووصل إلى متليلي التي غادرها إلى المنيعة فاحتجزه سكانها وطلبوا منه المغادرة،فلم يستطع الوصول إلى بلاد التوارق،لكنه أعاد المحاولة في فيفري 1860م،فانطلق إلى بسكرة ثم وادي سوف،ومنها إلى الجريد التونسي،بعدما أعطيت له ضمانات وتوصيات لازمة من ممثل فرنسا بتونس فرديناند دوليسيبس،فزّار عدة مدن تونسية كنفزاوة وقابس وتوزر وقفصة،ثم عاد بعدها مجددا إلى بسكرة في العاشر أفريل من نفس السنة،حيث كُلّف بعدها برحلة أخرى إلى بلاد التوارق من أجل

[1] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص ص 70،71.عبد القادر بوباية:مرجع سابق،ص79.

[2] René Caillé:**voyage d'un faux Musulman a travers l'Afrique Tomboctou le Niger**,**Jenné et le Désert**,limoges engène ardant et c, éditeurs, p 180.

[3] عبد القادر بوباية:مرجع سابق،ص ص 79،80.

[4] رحالة ومستكشف فرنسي ولد في باريس سنة 1840،في عمر الأربعة عشر سنة أرسله والده لألمانيا لدراسة التجارة ،لكن ميولاته كانت للسفر والمغامرة،قام برحلة تمهيدية للجزائر سنة 1857 وزار خلالها مدينة الجزائر،الهضاب العليا،الأغواط،ثم عاد بعدها إلى بلده،ونشر ما شاهده في الجمعية الشرقية في برلين رغم أن سنه حينها لا تتجاوز السابعة عشر ،وبعدها عاد مجددا للجزائر وزار عدة مناطق كغرداية والمنيعة،وجنوب قسنطينة وتونس،ثم اتجه إلى غدامس وغات التي كانت تحت حماية الطوارق،ودون ما شاهده عن التوارق في كتاب قيم بعنوان:طوارق الشمال.أنظر: إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص ص 82،87.

التمهيد لإقامة علاقات تجارية بينهم وبين فرنسا،فانطلق من بسكرة ووصل إلى واد سوف ثم غدامس التي مكث بها مدة طويلة وقام بأبحاث عن ثراتها الفكري والحضاري[1]ومن بعده كانت رحلة جيرهارد رولفس سنة 1862م التي كانت من الرحلات الهامة لاستكشاف الصحراء،فبعد تعلّمه اللغة العربية نجح رولفس في الوصول إلى ليبيا عبر الصحراء الجزائرية قادما من المغرب،بعدما تمكّن من الدخول إلى عين صالح في سبتمبر من سنة 1864م.

وتوالت بعدها البعثات الاستكشافية كرحلة بول سولاييه الذي غادر مرسيليا في السادس ديسمبر 1872م وتوجه للجزائر العاصمة ليبدأ رحلته نحو عين صالح،فوصل إلى قصر مليانة،أحد القصور الخمسة لعين صالح،في السادس من مارس من سنة 1873م ،لكنه لم يتمكّن من دخول عين صالح رغم محاولاته العديدة،إلا أنه قدَّم معلومات هامة حول هضبة تادميت وما جاورها،استفادت منها الحكومة الفرنسية في عملية التوسع نحو الجنوب.[2]

أما ورقلة بحكم موقعها الاستراتيجي وأهميتها الاقتصادية فقد كان النشاط الاستكشافي واسعا بها،فقد زّارها العديد من الرحالة والمستكشفين خلال القرن التاسع عشر،بداية بالضابط دوماس سنة 1842 الذي قدّم معلومات في غاية الأهمية عنها،تتعلق بموقعها الجغرافي وبنيتها الاجتماعية،عمرانها والمواد المستعملة فيه،و الأنشطة الاقتصادية السائدة بها كالزراعة والحرف،إضافة إلى علاقاتها التجارية الداخلية والخارجية،ومجمل الصادرات والواردات الخاصة بها[3]ثم زارها بعد ذلك أدريان بربروجر A.Berbrugger سنة 1850 في إطار استكشاف الخط الصحراوي،حيث مر بقابس ووصل إلى واحات واد ريغ وورقلة وسوف،ثم المنيعة وتوات،وعاد بعدها إلى الجزائر عن طريق متليلي

[1] إبراهيم مياسي: مرجع سابق،ص ص 37،39.

[2] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص ص34،33.

[3] Daumas : Le Sahara Algerien..,op.cit,p p72,90.

وغرداية،كما تحدّث النقيب باجول Capitaine Bajolle هو الأخر عنها وقدّم معلومات تتعلّق بالتكوين الطبوغرافي والآبار المائية الموجودة بها[1].

أما ترومليTrumelet الذي زار ورقلة سنة1853،فقد قدّم معلومات متنوعة عن جغرافيتها ومواردها المائية،سكانها و الأعراش الموجودة بها،ووصف مبانيها وقصورها ومساجدها،وتحدث عن زراعة النخيل السائدة بها،وبعض الحرف التقليدية،دون إغفال للوضع السياسي القائم بها في تلك الفترة حيث تحدث عن حركة الشريف محمد بن عبد الله منذ دخوله إليها وتعيينه سلطانا عليها.[2]

ثم توالت بعدها رحلات الضباط والعسكريين الفرنسيين الاستكشافية نحو أعماق الصحراء والتي كانت ورقلة ضمن محطاتها الرئيسية كرحلة أوغست شوازي Auguste Choisy الذي زار ورقلة في إطار دراسته لمشروع سكة الحديد العابرة للصحراء[3] والعقيد فلاترس Flatters[4]الذي ترأّس آخر بعثة أرسلت للجنوب من أجل وضع تصميم للخط الذي ستمر عبر السكة الحديدية الذي سيمتد في جنوب قسنطينة من ورقلة إلى الهقار[5]حيث قدَّم بعض المعلومات عن مدينة ورقلة والمناطق المحيطة بها من خلال تواجده بها[6] وزارها كذلك الرحالة لارجو Largeauسنة1871،وتحدّث عن الوضع

[1] رضوان شافو:**الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة (قراءة في الدوافع والعراقيل)**،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة حمة لخضر واد سوف،ع2،ديسمبر2011،ص85.

[2] Trumelet :op.cit 515,516.

[3] Auguste choisy:**Le Sahara**.**souvenirs d'une mission à Goléa**,paris,1881,p278.

[4] بول فلاتيرس:عسكري فرنسا ولد بفرنسا سنة 1832،درس بالكلية العسكرية بفرنسا وتخرج منها سنة 1853،عمل بالجيش الفرنسي في الجزائر بداية من سنة 1856،حيث تقلد بعدها عدة مناصب وترقى لرتبة كولونيل،قام برحلات داخل الصحراء بعدما كُلف بانجاز تصميم لخط الطريق جنوب قسنطينة يمتد من ورقلة للهقار،في إطار مشروع مد سكة الحديد نحو الصحراء،أغتيل من طرف الطوارق سنة 1881.أنظر:. Narcisse Faucon:**Livre d'or de l'Algérie**,paris,1989,p242.

[5] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص102.

[6] Henri Brosselard :**Les Deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar**,paris,1889,p28 ,73.

السياسي والاقتصادي الخاص بها ودوّن هذه المعلومات في كتابيه الصحراء الجزائرية،صحاري العرق، وبلاد ريغة،وقبله الرحالة شارل فيرو الذي قدم هو الأخر معلومات هامة عن ورقلة تتعلّق بأنشطتها الاقتصادية وأوضاعها الداخلية وصراعاتها مع مشيخة نقوسة،وقدوم الشريف محمد بن عبد الله إليها وإعلانه الثورة على فرنسا.[1]

ب/ المعاهدات والاتفاقيات:

سعت فرنسا منذ الوهلة الأولى لتواجدها بالجزائر للوصول إلى بعض الأطراف الفاعلة بالصحراء،التي كان لها نشاط تجاري كبير على الصعيد الداخلي والخارجي،من أجل الحصول منها على بعض المكاسب الاقتصادية التي تخدم مصالحها،عن طريق إبرام معاهدات معها تكفل لها الحق في التنقل بحرية وأمان في بعض المناطق التي لم تصل لها قواتها العسكرية بعد ومن بينها:

***1*– معاهدة الحماية مع بني ميزاب 1853م**[2]:

بعد انتهاء فرنسا من احتلال المناطق الشمالية للبلاد،ورغبة منها في تحقيق مصالحها،قامت بعقد معاهدة الحماية مع بني ميزاب[3] كأسلوب جديد اتخذته في تعاملها مع بعض الجزائريين قائم على بعض الحقوق والواجبات التي يلتزم بها الطرفين تجاه بعضهما البعض دون اللجوء للحرب[4] من خلال رسالة وجهّها الوالي العام للجزائر الجنرال راندون لجماعة بني ميزاب في 24جانفي 1853م،أبلغهم فيها استعداده لتوفير الأمن للميزابيين المسافرين،ولتجارتهم عبر أنحاء المناطق الخاضعة للسيطرة الفرنسية،مقابل خضوعهم للسلطة الفرنسية،واختم رسالته بتهديد شديد اللهجة[5]وهو ما جعلهم يوافقون على توقيع هذه المعاهدة،لشعورهم بالقلق من احتمال الزحف الفرنسي نحو ميزاب بين ليلة

[1] Charles Féraud :(**Notes historiques**…),op.cit,R.A ,vol 30, 1886, p 263.

[2] انظر نص المعاهدة بالملحق 8 ص ص 159، 160.

[3] عميراوي احميدة:**موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**،دار الهدى للنشر،عين مليلة،الجزائر،2004،ص ص 103،104.

[4] أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية … ،مرجع سابق،ج1،ص359.

[5] يوسف الحاج سعيد بن بكير:**تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**،م،ش،ج،الجزائر،2007، ص98.

وضحاها[1]خاصة بعد احتلال مدينة الأغواط،حيث تأكدوا حينها أن الخطر الفرنسي يهدد تجارتهم ،وأنه من المستحيل مواجهة فرنسا عسكريا،لان ذلك سيلحق بهم ضررا،ويتلقون النتائج نفسها التي تلقاها الزعماء الذين حاربوا فرنسا[2]لذلك تم توقيع هذه المعاهدة،بحضور مجموعة من أعيان بني ميزاب مع حاكم الأغواط الكومندان دوباراي Dobaraille، الذي حضرها نيابة عن الحاكم العام الجنرال راندون وذلك في افريل1853م[3]،وقد ضّمت جماعة الميزابيين التي وقّعت الاتفاقية إحدى عشر شخصا من أعيان القرى السبع[4]وطالبت هذه المعاهدة الميزابيين بغلق أسواقهم في وجه أعداء فرنسا الثائرين عليها ودفعهم بالقوة مع دفع ضريبة سنوية لفرنسا[5] قدرها خمسة وأربعون ألف فرنك،تجمع المدن السبع[6]وتكون قيمة هذه الضريبة باتفاق فيما بينها،وبالمقابل تسمح فرنسا للميزابيين بمزاولة أنشطتهم التجارية مع المغرب وتونس بكل حرية ودفع ضريبة جمركية على البضائع في حدود البلدين[7]كما تتعهد لهم فرنسا بموجب هذه المعاهدة أيضا على حفظ بلادهم،وحماية معتقداتهم،وعدم التدخل في الشؤون الداخلية الخاصة بهم،و أن يكون دورها مقتصرا على حفظ النظام العام بالمنطقة وحماية حقوق الفرنسيين بها[8]وبذلك يصبحون تحت الحماية الفرنسية[9].

---

[1] حمو عيسى النوري:**دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا** ،دار البعث،قسنطينة،الجزائر، ج1،ص ص 271،272.

[2] عميراوي احميدة:**من الملتقيات التاريخية الجزائرية**،دار الهدى للطباعة والنشر،الجزائر،ط2،2007،ص144.

[3]Charles Amat:**le Mzab et les Mozabites**,challamel et cie editeurs,paris,1888,p20

[4] حمو عيسى النوري :مرجع سابق،ص271.

[5] يوسف الحاج سعيد بن بكير:مرجع سابق،ص98.

[6] هي:بلديات العطف،مليكة،بن يزقن،القرارة،بريان،غرداية،بونورة،أنظر:صالح بن عمر اسماوي:**العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب–الحلقة الأولى–**،نشر جمعية الثرات،غرداية،ط1، 2005،ص437،هامش 3.

[7] أبو القاسم سعد الله:مرجع سابق،ص360.

[8] حمو عيسى النوري:المرجع السابق،ص272.

[9] E.Rouard de Card traités : **De la France avec les pays de l'Afrique dunord**, pédone, editeur,1906,p94.

2- معاهدة غدامس1862م[1]:

من أجل كشف أسرار الصحراء،والبحث في المجالات الواسعة فيها،ورغبة في إيجاد طرق جديدة للتجارة الفرنسية،قامت فرنسا بالتمهيد لإبرام معاهدة مع زعيم التوارق الشيخ ايخنوخن،من خلال استدعائه رفقة أعيان وزعماء المنطقة إلى الجزائر العاصمة وباريس،لربط صداقة معه،أتمرت في الأخير بموافقته على توقيع المعاهدة مع فرنسا في 26نوفمبر1862م بغدامس مع أعضاء البعثة الفرنسية التي توجهت إلى هناك،واجتمعت مع أعضاء الوفد التارقي المكون من الحاج جابور رئيس قبيلة أمانغازاتن،و الشيخ عثمان الزعيم الديني لقبيلة أفوغاس،وعمار الحاج أخ الشيخ ايخنوخن ونائبا عنه، حيث تم توقيع المعاهدة بعد مباحثات ومحادثات مطولة بين الطرفين[2]وجاء في مضمونها:

- تدفع القوافل الجزائرية والفرنسية القادمة من السودان الإتاوة للشيخ اخنوخن أو لممثليه أو لورثته وفق ما يحددها فيما بعد الشيخ والوالي العام،وذلك حفاظا على سلامتهم.

- تضمن عائلة الشيخ ايخنوخن سلامة القوافل التي ستمر من منطقتهم نحو دول شمال إفريقيا مع الإبقاء على الاتفاقيات التجارية بين الشعانبة وسوف والأزقريين ثابتة.

- تحل المشاكل التي تحدث بين التجار ومرافقيهم من الطوارق بالإنصاف وفقا للأحكام التقليدية في البلاد.[3]

- يلتزم الطوارق بفتح طرق التجارة نحو السودان للفرنسيين ،مع إزالة العراقيل التي تواجه التجار الفرنسيين.

- إقرار الصداقة والتبادل بين السلطات الفرنسية وقبائل الطوارق مع منح الحرية التامة للطوارق في ممارسة التجارة دون قيود[4].

- تلتزم الولاية العامة للجزائر وزعماء الطوارق بتحديد الطرق التجارية المربحة ،وفتح السبل للتجارة

[1] انظر نص المعاهدة بالملحق 9ص ص 160، 161.

[2] إبراهيم مياسي:مرجع سابق ،ص ص 42،41.

[3] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص72.

[4] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر.... ،مرجع سابق،ص ص 152،151.

الفرنسية للسودان،على أن يعود ريع هذه التجارة بالفائدة على الجميع وذلك من خلال حفر آبار جديدة،وإصلاحها،وتحسين أحوال الطرق.

– يلتزم الشيخ أيخنوخن،والقادة السياسيين الآخرين لتوارق أزجار،عند عودتهم من غات،بربط علاقات طيبة مع قادة قبيلة كلوي،من أجل تهيئة الظروف الحسنة لاستقبال المفاوضين الفرنسيين والجزائريين،وكذلك مرور قوافلهم عبر بلاد الأيير.

وبعد الاتفاق النهائي بين الطرفين تم إمضاء هذه المعاهدة،واحتفظ كل طرف بنسخة مكتوبة بالعربية والفرنسية لضمان تطبيقها.[1]

ج–الإرساليات التنصيرية:

اعتبر الكثير من الباحثين أن الإرساليات التنصيرية في إفريقيا كانت جزءًا من الاستعمار الأوروبي ،فلم يوجد بلد إفريقي وطأته أقدام الاستعمار إلا ورافقهم أو لحّق بهم جنود التنصير[2]خاصة وان هذه الفرق الدينية قد وجدت الميادين فسيحة لممارسة نشاطها التبشيري بالاعتماد على الإعانات المادية والمعنوية الكبيرة التي تتلقاها من حكومات بلدانها التي كانت تعتمد على رجال الدين بالدرجة الأولى لبعث نفوذها السياسي،وذّلك لما امتاز به رجال الدين من مهارات وأساليب مهّدت الطريق للتوسع الاستعماري[3].

وبالنسبة للجزائر فقد توافدت عليها العديد من الجمعيات التبشيرية التي استقرت بها بعد الاحتلال على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى:وهي الفترة الممتدة من *1830*إلى *1845* التي تتزامن مع تعيين القس ديبيش أسقفا للجزائر.

[1] إبراهيم مياسي:مرجع سابق،ص ص42،43.

[2] عبد الرزاق عبد المجيد ألارو:**التنصير في إفريقيا**،مجلة دعوة الحق ،الإدارة العامة للثقافة والنشر،رابطة العالم الإسلامي، السعودية، 2008، ع227،ص 35.

[3] خديجة بقطاش:**الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر من 1830– 1871**،منشورات دحلب،الجزائر،2007،ص 9.

المرحلة الثانية:مابين *1846*و*1866* وهي الفترة التي توافق رئاسة بافي للأسقفية.

المرحلة الثالثة: التي تتراوح مابين *1867*و*1892*، وهي المرحلة التي اشتد فيها النشاط التبشري أكثر لأنها شهدت تعيين الكاردينال لافيجري[1]على رأس أسقفية الجزائر ،ومندوبا رسوليا للكنيسة الإفريقية في الوقت ذاته[2]حيث بلغت في عهده بلاد المغرب وإفريقيا قمة النشاط التبشيري،من خلال الحماس الذي أبداه في نشر المسيحية،وفي مواقفه التي تستهدف خدمة المصالح الفرنسية في الجزائر وإفريقيا،وذلك لمكانته الكبيرة والمرموقة لدى سلطات الفاتيكان وبعض المسؤولين الكبار في الجزائر وحكومة باريس.

فقد اعتبر لافيجري الجزائر البوابة الرئيسية لانطلاق الاستعمار والتبشير نحو إفريقيا[3]فشرع في تأسيس الجمعيات الدينية،كفرقة الآباء والأخوات البيض سنة *1871*،كما طالب بإنشاء مراكز للآباء البيض في منطقة القبائل،وتحقق له ذلك سنة *1873*،وبعدها امتد نشاطه إلى منطقة الأوراس والجنوب الجزائري[4]فجعل من بسكرة مركزا رئيسيا لنشاطه التبشيري نحو الصحراء والسودان

---

[1] الكاردينال لافيجري قس مدينة نانسي بفرنسا،ولد في بايون سنة 1825نشارك في توزيع المساعدات على النصارى أثناء أحداث سورية سنة 1860،وعمل على توسيع النشاط الكاتوليكي في المشرق حتى قيل أن الحكومة الفرنسية عجزت عن الحد من نشاطه الديني هناك،وكوّن مع غيره سلسلة من المدارس تسمى (مدارس الشرق)،وصل إلى الجزائر أثناء المجاعة الشهيرة التي اجتاحتها،حيث انطلق في مشروعه التنصيري الاستعماري الضخم بمساندة البابوية والجمعيات الخيرية،كذلك السلطات الفرنسية التي كانت تتغاضى عنه وتحميه وتوفر له المساعدات المادية والمعنوية،خاصة بعد حرب 1870،أنشأ مؤسسة القديس اغسطين، وجمعية الآباء والأخوات البيض لبعث الدين المسيحي.أنظر:أبو القاسم سعد الله:**تاريخ الجزائر الثقافي**،مرجع سابق،ج6،ص ص 119،121.سعيدي مزيان:**النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867–1892**،دار الشروق للطباعة والنشر،الجزائر،ط1،2009،ص ص75،85.

[2] محمد الطاهر وعلي:**التعليم التبشيري في الجزائرمن1830إلى 1900**،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2013، ص34.

[3] خديجة بقطاش: مرجع سابق،ص ص 100،107.

[4] محمد الطاهر وعلي: مرجع سابق،ص ص 114،115.

الغربي،واشترى فيها أراضي من أجل بناء بيوت للآباء والأخوات،وتولّى الآباء مهمة حفر الآبار،كما أنشأ ببسكرة أيضا فرقة إخوان الصحراء المسلحين les freres armes du sahara [1] لإيمانه بضرورة فتح الصحراء في وجه فرنسا ،ثم ضم السودان بعدها لكونها منطقة غنية بالثروات ومكملة للجزائر في نظره[2].

أما ورقلة فحسب دنيس بيلي فكان أول وصول لثلاثة من الآباء البيض إليها كان في شهري جوان و جويلية من سنة1875،وباشروا في إسداء العلاج والتعليم لسكانها[3]إلى غاية سنة 1881،أين غادروها بسبب اندلاع ثورة الشيخ بوعمامة،لكن سرعان ما عادوا إليها بعد سنة 1891،وتوسع نشاطهم فيها وصاروا يشرفون على بعض المنشآت،وأسسوا دار للأيتام ،ومصحة وورشة للنجارة والخياطة،ومدرسة كان يتردد عليها سبعين تلميذا.

أما الأخوات البيض فقد أقمن بعض المشاريع لاستقطاب نساء المدينة والتغلغل في المجتمع الصحراوي،حيث كانت لهن ورشات لتعليم النساء نسيج الزرابي من الصوف والوبر،تأوي مائتي تلميذة،وبمرور الوقت تطور المركز وأصبح يعقد ندوات أسبوعية سينمائية للتعليم والتوجيه.

والواقع أن الهدف من نشاط هذه الجمعيات التبشيرية بورقلة هو التجسس على الناس ومعرفة أنماط تفكيرهم وعقائدهم وعلاقاتهم من أجل تسهيل مهمة فرنسا في السيطرة عليهم وعلى المناطق الصحراوية الشاسعة،من خلال تقديم معلومات هامة حول المدينة تتعلق بقوافلها التجارية والزوار الوافدين إليها والثورات القائمة بها[4]فقد شكّلوا طلائع الاستعمار وعيونه وقواه الخفية التي تسهر على خدمة القوى الاستعمارية التي تبحث عن مصالحها الاقتصادية[5].

---

[1] سعيدي مزيان:مرجع سابق،ص ص 351،366.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي... ،مرجع سابق،ج6،ص130.

[3] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص 13.

[4] أبو القاسم سعد الله:مرجع سابق،ص ص 129،130.

[5] عبد العزيز الكحلوت:**التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء**،منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ليبيا،ط2،1992،ص ص 67،68.

وقد اعتمد الآباء البيض على وسائل عديدة للوصول إلى أهدافهم كإقامة المستشفيات والملاجئ،وتوفير الخدمات الإنسانية،وهي بلا شك من أنجع الوسائل لكسب القلوب وإخضاعها من أجل تهيئة الظروف المناسبة لتنفيذ مخططاتهم[1]وهي نفس الوسائل التي وظفتها فرنسا في غرب إفريقيا بإنفاقها على المدارس التبشيرية بكثرة[2]وبمرور الوقت استقر العديد من الآباء و الأخوات البيض بورقلة و أصبح لديهم العديد من الممتلكات من ديار ونخيل[3] وتحصلوا على امتيازات في بامنديل لغراسة النخيل وحفر الآبار بدعم من الحكومة الفرنسية التي وفّرت لهم الحماية بها[4].

د–المشاريع الإقتصادية:

***1*– مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء[5]:**

بعد نجاحهم في السيطرة على القسم الشمالي من الجزائر تحمّس الفرنسيون لبسط نفوذهم في مختلف أرجاء الصحراء الإفريقية،لكنهم اصطدموا بمقاومة عنيفة أعاقت تقدمهم إلى كامل الصحراء إلى غاية نهاية القرن التاسع عشر،لذلك وعملا على تسهيل سبل التنقل في ظروف آمنة لقواتها العسكرية بين مختلف المناطق الصحراوية سعت فرنسا لوضع شبكة من طرق المواصلات الحديدية[6]على غرار الخط العابر لكندا الذي أنجز مابين(1878–1886م)على مسافة أربعة ألاف وسبعمائة كيلومتر،والخط العابر لسيبيريا مابين (1891–1898) على مسافة سبعة ألاف وخمسمائة كيلومتر.

---

[1] عبد الجليل التميمي:**دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830–1881**،المجلة التاريخية المغربية،تونس،1975،ع 3، ص15.

[2] أمادو جبريل أمادو:**العلاقات العربية الإفريقية الواقع والتحديات وآفاق المستقبل**،معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،2007،ص8.

[3] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص 191.أنظر:M.R.Brigol :op.cit,p238

[4] أبو القاسم سعد الله:مرجع سابق،ص 130.

[5] انظر الخريطة بالملحق 7 ص 158.

[6] عبد القادر بوباية:مرجع سابق،ص ص 76،77.

وفيما يتعلق بفكرة مشروع الخط الحديدي العابر للصحراء،فهي تعود للمهندس دوبونشال Duponchel الذي قدم الدراسات الأولى منذ1874م وأشار خلالها للأهمية الكبيرة التي ستتحقق لفرنسا في حال إنجاز هذا المشروع والمتمثلة في:

- السماح لفرنسا بالتوغل داخل الأوطان السودانية والاستحواذ على تجارتها.
- منافسة خط انجلترا من الرأس (الكاب) إلى القاهرة.
- الاستجابة لحاجيات المستعمرات المدنية والعسكرية.[1]
- إنعاش وتطوير المناطق التي يمر عبرها الخط الحديدي خصوصا الواحات الشرقية كواد ريغ،ورقلة و المناطق الغنية بالمياه الجوفية التي يتوجب تفجيرها حتى يعم الخير والنماء بلاد التوارق، وبذلك تخدم التنمية المحلية والتي هي بالأساس لصالح الاستعمار الفرنسي.[2]

وبعد طرحه لهذا المشروع والأهداف المحققة منه،قامت الحكومة الفرنسية بإرساله في مهمة دراسة إلى الصحراء،ورغم أن أسفاره لم تتجاوز مدينة الأغواط،إلا أنه وجد المادة الكافية لوضع تقرير أولي عن المشروع الذي كان بعنوان«دراسات تمهيدية عن السكة العابرة للصحراء»،استطاع من خلاله أن يحظى بموافقة وزير الأشغال العمومية الذي صرّح قائلا:«إن السكة الحديدية سوف تربط الجزائر بالسنغال،وستفتح سوقا هائلة بمائة مليون من المستهلكين للمنتجات الفرنسية»[3] وبموافقة الحكومة الفرنسية على تنفيذ المشروع،بدأت في تجهيز برنامج طويل للأشغال العمومية من أجل تدقيق هذا المشروع[4]فأرسلت ثلاثة وفود لحسم الأمر ودراسة المسألة محليا،الوفد الأول يمثل بعثة بويانة التي ستقوم بكشف مشروع السكة الحديدية من جنوب وهران نحو توات،أما الوفد الثاني فكان بقيادة شوازي الذي قام بكشف مشروع خط الأغواط المنيعة بسكرة ورقلة،حيث جاء تقريره الذي وضعه بعد رحلته

[1] إبراهيم مياسي:**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837-1934**،دار هومة،الجزائر،2012،ص ص 437،438.

[2] نفسه:ص443.

[3] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص 102.

[4] إبراهيم مياسي:**الإهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية**،مجلة طريق القوافل،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر2001م،ص91.

ما بين عامي(1879-1880) يشير إلى أن هذا الخط هو الصحيح والمرجَّح عن بقية الخطوط الأخرى،أما الوفد الثالث فكان بقيادة فلاترز الذي أسندت له مهمة الكشف عن ممر السكة الحديدية بين النيجر والسودان عبر غدامس.[1]

وبعد تنفيذ المشروع بمعظم مدن الشمال،سعت فرنسا لتوسيعها نحو المناطق الداخلية والصحراوية،لكن ضخامة التكاليف حّالت دون تحقيق هذا المشروع رغم إعادة طرحه في عدة مناسبات.

2- مشروع البحر الداخلي الصحراوي:

بعدما واجهت الحكومة الفرنسية عدة صعوبات في عملية التوغل نحو الصحراء الجزائرية،بسبب صلابة المقاومة من جهة،وقساوة المناخ من حرارة وجفاف وتباعد للمراكز العمرانية من جهة أخرى،بدأت في البحث عن مشروع إحداث بحر داخلي صحراوي[2]ليسهل عليها مهمة التوسع نحو بقية المدن الصحراوية،وتغيير الظروف المناخية القاسية،خاصة بعد النجاح الكبير لفرديناند دوليسيبس في حفر قناة السويس،حيث شرعت فرنسا في الإعداد لتنفيذ هذا المشروع من خلال تكوين هيئة خاصة بالمشروع،لدراسته من الناحية العلمية،فتوجه روبير من قسنطينة إلى بسكرة نحو أحواض شط ملغيغ وقام بدراسة تاريخها،وجغرافيتها الطبيعية ومناخها وتضاريسها ومستواها عن سطح البحر،ومواردها الاقتصادية،وأهمية هذا البحر والمناطق التي سيغمرها،والنتائج المحققة من انجازه بوضع عدد من الخرائط والمقاييس والأشكال[3].

[1] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص91.

[2] انطلقت فكرة المشروع على ضوء النظريات الجغرافية والجيولوجية،التي كانت تدعي أن هذه الأحواض كانت تمثل في عصور ماقبل التاريخ بحرا داخليا واحدا يدعى بحر تريتون،الذي تحدث عنه الرحالة اليوناني هيريدوت وسيلاكس،حيث كان لهذا البحر ثلاث منافذ إلى البحار المجاورة،الأول يصل الى البحر المتوسط شمالا عبر مجرى نهر الشلف،والثاني إلى المحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة،والثالث إلى خليج قابس شرق تونس،لذلك تولد لدى الجيولوجيين فكرة إمكانية خلق بحر داخلي بهذه المنطقة أو إعادة إحيائه من جديد.أنظر:يحي بوعزيز:ثورات الجزائر.. ،مرجع سابق،ج1،ص 329.

[3] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ج1،ص ص 328،330.

كما قام هنري دوفيري الذي عين كعضو في هذه البعثة[1]بدراسة مستوى الشطوط عن البحر وهندستها الجغرافية،وتم تحديد منطقة الجريد التونسي كنواة لهذا البحر الداخلي،الذي سيمتد من خليج قابس شرقا إلى هضبة ميزاب وجبال أولاد نايل غربا،ومن جبال الأوراس والنمامشة وتبسة والظهير التونسي شمالا إلى جبال مطماطة والهقار جنوبا،وهي المنطقة التي تحتوي على عدد كبير من الأحواض والشطوط الداخلية المالحة كشط ملغيغ،الجريد وشط الغرسة وعسلوج و فجاج[2]خاصة منطقة الجنوب الشرقي للجزائر التي تقع في أكبر حوض ارتوازي في المنخفض الصحراوي ،المعروف بوفرة مياهه الجوفية الموجودة على عمق يتراوح مابين 25و44م[3].

وتكمن أهمية هذا المشروع في النتائج القيّمة التي ستتحقق في حال تم تجسيده على أرض الواقع،فمن الناحية الاقتصادية يسمح هذا البحر برفع منسوب المياه الجوفية،وخلق مساحات واسعة للاستغلال الزراعي بالصحراء،ورفع نسبة الرطوبة في الجو بفعل تبخر مياه البحر،وبالتالي الزيادة في معدل الأمطار النازلة سنويا،وبذلك خلق حاجز طبيعي قوي ضد جو الصحراء القاسي،ومن الناحية السياسية والعسكرية،يسمح هذا المشروع بنقل القوات الفرنسية بسهولة إلى جنوب الجزائر وتونس،ومنع السكان من الثورة على فرنسا.

ولكسب الموافقة على المشروع أعدَّ رودير ملفا ضخما قدّمه للمجلس العلمي للأكاديمية الفرنسية بباريس،فحوّله إلى دوليسيبس الذي استحسنه وشجّعه كثيرا،غير أن الآراء في المجلس كانت متضاربة حوله،لذلك تَّم وضع اعتماد مالي جديد سنة 1878 للقيام بدراسات جيولوجية جديدة حول المنطقة يشترك فيها دوليسيبس بنفسه،ثم تألفت بعدها لجنة رسمية للمشروع عامي 1881و1882،لدراسة التعقيدات المالية والمشاكل المتعلقة به،واكتشفت أن تكاليفه تزيد عن

[1] إسماعيل العربي:مرجع سابق،ص 89.

[2] يحي بوعزيز: مرجع سابق،ص ص 328،331.

[3] J.Flandrin :**Monographies régionales**,**Les chaines atlasique et la bordure Nord du Sahara** ,Aperçu d'ensemble,p57.

الثلاث ملايير،وأن ما سيحفر من التربة يزيد ستة أضعاف عما حفر بقناة السويس،لكن رغم ذلك فالحكومة الفرنسية ظلّت مهتمة بالمشروع حتى بعد وفاة صاحبه سنة1883،فقد ظلَّ دوليسيبس متحمسا له بشدة وحاول إقناع العديد من الشخصيات الفاعلة مثل جول فيري،ثم بقي بعدها المشروع محل نقاش إلى غاية السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر،حيث طرح مجددا للنقاش سنة 1896،لكن كانت هناك معارضة كبيرة له بسبب تكاليفه الباهظة،والصعوبات التقنية الخاصة به،واكتشاف وجود شط الجريد فوق مستوى سطح البحر،لذلك دُفن المشروع مدّة من الزمن ثم أعيد بعته من جديد في النصف الثاني من القرن العشرين،واقترح استخدام القنابل الهيدروجينية من أجل شقه في وقت قصير[1]لكن انشغال فرنسا بالقضاء على الثورة التحريرية التي أجبرتها على الانسحاب نهائيا من الجزائر،حالت دون انجاز المشروع رغم الأهمية الكبيرة التي كانت ستتحقق من ورائه.[2]

المبحث الرابع:انعكاسات الاحتلال الفرنسي على تجارة القوافل بالمدينة.

أ-الانجازات الفرنسية:

1- تطوير الإنتاج الزراعي:

قام الفرنسيون أثناء تواجدهم بورقلة بإحداث تغيرات كبيرة على قطاع الزراعة، بعد ما لاحظوا الوضعية الكارثية التي وصلت إليها الواحة ،فعملوا على إيجاد العلاج لهذه الحالة ليس بزيادة مصادر المياه فقط،بل من خلال تحسين المحاصيل والاعتماد على تقنيات جديدة[3] أكثر حداثةً وتطورا،لخلق نوع جديد من غابات النخيل بالمنطقة،وذلك بتوسيع المساحات الزراعية الخاصة بها،تكون هندسية الشكل،وتأخذ بقاعدة تباعد منظم وأوسع بين النخيل،يتم سقيها بطريقة دورية منتظمة،والأمر ذاته بالنسبة للمنتجات الأخرى كالخضر والفواكه التي كانت تلقى عناية كبيرة من أجل رفع الإنتاج وذلك بوضع الأسمدة وتقليب التربة بانتظام وزرع البذور،و السقي بكثرة ،وهو ما نتج انتعاش القطاع

[1] يحي بوعزيز:مرجع سابق،ص ص 332،334.

[2] نفسه،ص335.

[3] M.R.Brigol :op.cit,p 232.

الفلاحي وتشكل الحدائق وازدهار زراعة الخضروات [1]، كما قام الآباء البيض المستقرين بورقلة بشراء بعض الأجنة الصغيرة لإعطاء التلاميذ وسكان المنطقة دروسا تطبيقية حول علم النخيل والفلاحة.[2]

وتعتبر حديقة القصبة الواقعة غرب القصر وحديقة عين الزاوية الموجودة ببني ثور من أهم الحدائق البلدية الرئيسية التي تحوّلت إلى حدائق تجريبية، أجريت فيها العديد من التجارب التي صلح البعض منها ،وأهمل البعض الآخر بسبب عدم المتابعة الميدانية كزراعة السانفوان،البرسيم،القطن،التبغ،في حين البعض الآخر سمح بإعادة إحياء بعض المزروعات عند الفلاحين الورقليين كالأشجار المثمرة مثل البرقوق،التوت،الرمان،الكروم.[3]

وقد جاء في رسالة نابليون الثالث في1863/02/06م إلى الوالي العام للجزائر الماريشال دوق مالاكوف قوله :«...وأما النصارى المميزين بالفهم والنشاط في العمل فلهم جلب المنافع من الغياب والمعادن وتغوير المعادن والغدران وحفر القنوات والأخذ بالأسباب الجديدة المستحسنة في إصلاح أمر الفلاحة...».[4]

2- حفر الآبار وتوسيعها:

تعّهدت فرنسا للطوارق في أحد بنود معاهدة غدامس التي عقدتها معهم سنة 1862،بالعمل على حفر آبار جديدة وإصلاح ما هو قائم بها[5]،وقد كان لورقلة نصيب منها حيت أرسلت الحكومة الفرنسية سنة 1883فرقة مكونة من أربعين رجلا تابعا لكتيبة إفريقيا التأديبية من أجل ثقب آبار ارتوازية جديدة باستخدام آلة مخصصة لذلك،أسفرت العملية الأولى عن تفجير الماء من الحفر الأول بنسبة 150لتر في الدقيقة،ثم توالت بعدها عمليات الحفر وصارت أكثر قوة، ووصل منسوب المياه

[1] أحمد رضوان شرف الدين:مرجع سابق،ص91.أنظر: M.R.Brigol :op.cit,pp229,230.

[2] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص ص 39.

[3] M.R.Brigol: ibid, p 232.

[4] عبد الحميد زوزو:**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر1830-1900**،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2009، ص161.

[5] إبراهيم مياسي: مقاربات.. ،مرجع سابق،ص 42.

الى7740لتر في الدقيقة سنة 1892 وساعد ذلك في عملية توسعة زراعة النخيل والقطن[1] خاصة بعد استعمال المضخات التي وسّعت مساحة السقي لتصل إلى مسافة تتراوح مابين 200م إلى250م بعدما كانت لا تتجاوز 150م عن البئر[2]،وقد أشار الشيخ إبراهيم أعزام إلى أن الفرنسيين بورقلة أدخلوا تقنيات حديثة لعيون المياه دفعت بالعديد من سكانها لاعتمادها في حياتهم اليومية حيث يقول:«العيون الفرنسية عبارة عن العيون المخدومة بقنوات من الحديد،سواء خدمها نصارى أو عرب،وهاته الخدمة أحدثت عند احتلال الدولة الفرنسية احتلالا كليا سنة 1872م/88-1289هـ أول من شرع في خدمتها بإذن الدولة المسيو لوشاتولي المتقدم ذكره،ولما انتشرت هذه الخدمة بالبلاد،ترك الناس إحداث العيون القديمة والبحت عن التي تحت أطباق الرمال،فكثر تعدادها وترفه الناس منها...».[3]

3- تحسين الطرقات وتطوير وسائل النقل:

أولت السلطات الفرنسية اهتمامها بالطرق التجارية التي تربط ضفتي الصحراء الشمالية والجنوبية لكونها المنفذ الأساسي نحو تجارة السودان الغربي،لذلك عملت على شق طرق صحراوية تكون في مستوى منافسة الطرق التي تصل عبرها السلع الإنجليزية نحو المنطقة[4]من أجل تسهيل تنقل قواتها العسكرية في ظروف آمنة بين مختلف المناطق الصحراوية[5]حيث جنّدت لذلك إمكانيات كبيرة بداية بطرح فكرة مد خط حديدي يربط المدن الصحراوية ببعضها البعض ينطلق من ورقلة ويصل إلى النيجر،وما إن استقر الفرنسيون بورقلة حتّى شرعوا في صيانة وتشييد طرق المواصلات من أجل فك

[1] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص ص23،30.

[2] M.R.Brigol :op.cit, p 242.

[3] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،201.

[4] عبد الحميد زوزو:مرجع سابق،ص 100.

[5] عبد القادر بوباية:مرجع سابق،ص77.

العزلة بين ورقلة والمناطق المجاورة لها،بداية بتعبيد أول طريق بين ورقلة وعين صالح[1]ثم وضع تخطيط للطريق الرابط بينها وبين غرداية سنة 1895.[2]

وفي فترات لاحقة مع مطلع القرن العشرين تمَّ إدخال السيارات العسكرية والنفعية إلى المدينة[3]التي اختصرت الوقت والجهد،وكان لها الأثر الأكثر أهمية دون سواها،فيما قام به الفرنسيون،وذلك لإحداثها تغييرا في نمط حياة الصحراء التي بدأت تتلاشى عزلتها كحاجز رهيب.[4]

4- تحقيق الأمن في الصحراء:

من أهم الانجازات التي حققتها الحكومة الفرنسية بالصحراء هو توفير الأمن بها،فبعدما كان التجار يتخوفون في رحلاتهم بشكل كبير من هجمات قطاع الطرق الذين يسطون على قوافلهم ويسلبونها حمولتها،بدأت هذه الهجمات تتلاشى تدريجيا بعدما قامت السلطات الفرنسية باتخاذ إجراءات أمنية سّاهمت في توفير الأمن للقوافل التجارية[5]العابرة للصحراء ،من خلال بنائها لأبراج عسكرية لمراقبة الطرقات،والاستعانة ببعض القبائل العربية بالمنطقة التي كانت لها دراية كبيرة بمسالك التجارة،كقبيلة الشعانبة التي انخرط عدد منها في فيلق الجمالة الفرنسي[6]،أو ما كان يعرف بالكتائب الصحراوية.

5- تمدن واستقرار الرحل:

بعد سيطرة فرنسا على تجارة الصحراء التي كانت مصدر دخل للعديد من القبائل الصحراوية التي كانت توفر الحماية للتجار وتقدم لهم أدلاء للطريق،وبعد قيامها بعمليات حفر للآبار الارتوازية التي ساهمت في زيادة منسوب المياه وتوفره بكميات أكثر،بدأت العديد من القبائل البدوية في

---

[1] رضوان شافو:(**الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا1844-1962**،أطروحة دكتوراه،إشراف د.بن يوسف تلمساني،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2011-2012،ص 217.

[2] دنيس بيلي :مرجع سابق،ص31.

[3] نفسه،ص 43،47.

[4] بوفيل:مرجع سابق،ص ص 406،407.

[5] محمد حوتية: **توات والأزواد**،مرجع سابق،ج1،ص149.

[6] بوفيل:مرجع سابق،ص405.

الاستقرار والتمدن بعد حياة مليئة بالترحال،كقبيلة الشعانبة العربية التي استقرت بورقلة[1] سنة 1896،بعد تخّليها عن الترحال،وبذلك أخذت البداوة بمعناها العام تنكمش وتتداعى أركانها،بعدما شعر الجميع سواء الذين يمارسون الرعي ويحترفون النهب،أو القلة المستقرة داخل الواحات أنهم باتوا مدفوعين للتكيف مع هذه الظُّروف بالبحث عن عمل جديد لا علاقة له إطلاقا بماض صار وشيك الانتهاء.[2]

ب–الآثار السلبية:

بعد علاقات تجارية واسعة ربطت ورقلة ببلاد المغرب و السودان الغربي،لفترة طويلة تعود إلى العصور الوسطى،بدأت هذه التجارة تصاب بالتراجع والانكماش بعد الاستعمار الفرنسي الذي وصل إلى المدينة وقام فيها بسياسات متنوعة بهدف إحكام قبضته على تجارتها،وهو ما خلّف عدة انعكاسات على وضعها الاقتصادي والاجتماعي وأحدث تغييرا في نمط الحياة بها وتشمل :

1–السيطرة على الأراضي الزراعية ومصادر المياه:

بعد تسعة وعشرين سنة من السيطرة الفرنسية الغير مباشرة على ورقلة من خلال القياد الذين عينتهم لتسيير شؤون المدينة وإحاطتها بكل جديد،بدأ الحكم المباشر والتمركز الفعلي للقوات الفرنسية بورقلة سنة1883 بتعيين أول ضابط فرنسي[3] يدعى الفريد لوشاتولي،الذي قال أعزام بأنه قبل تنصيبه على إدارة ورقلة كان يقف على خدمة الآبار الارتوازية رفقة مجموعة من العساكر،ولاحظ حينها التعامل الغير جيد تجاه الرعية الذي كان يقوم به الآغا،فقام بإرسال رسالة للوالي العام،يوضح له فيها ما يحصل بالمدينة،فردّ عليه هذا الأخير بتعيينه على رأس القيادة بورقلة من أجل إدارة وتسيير شؤونها بعدما عزل قائدها.[4]

[1] دنيس بيلي: مرجع سابق،ص 32،39.

[2] بوفيل:مرجع سابق،ص407.

[3] Denys pillet:op.cit,p9.

[4] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص ص 178،179.

إن إقدام السلطات الفرنسية على توظيف جيشها في عملية حفر الآبار والإشراف عليها لدليل واضح على سعيها منذ بداية تواجدها بالمدينة للسيطرة على مصادر المياه والآبار الارتوازية الموجودة بها،خاصة وأنها منطقة غنية بالمياه الجوفية لوقوعها في المنخفض الصحراوي للجنوب الشرقي للبلاد.

ولتحقيق ذلك انتهجت فرنسا سياسة تهدف إلى استغلال الثروة المائية لصحراء الجزائر بإقامة سدود كبيرة الحجم،وآبار كبيرة يبلغ منسوبها أزيد من 15000لتر/ثا[1]وبدأت في ذلك سنة 1883 عن طريق إرسال آلة لثقب الآبار مع فرقة مكونة من أربعين رجلا تابعين لكتيبة إفريقيا التأديبية،أفضت العملية الأولى للحفر بتفجر الماء بحجم150لتر في الدقيقة،لتتوالى بعدها عمليات الحفر والتي وصلت إلى أربعة وخمسون محاولة سنة 1892نجح معظمها في رفع منسوب المياه.[2]

إلا أن عمليات الحفر المتكررة كان لها بمرور الوقت آثار سيئة على الفلاحين حيث تسببت الآبار الفرنسية الجديدة في سرقة مياه الآبار العربية التقليدية وجفافها،مثلما حدث لواحة سيدي خليل التي بدأت تجف رغم احتوائها على سبعة وعشرين بئرا[3].

كما تعرضت الطبقة الارتوازية بمرور الوقت إلى الانخفاض [4]بسبب الحفر في حيز جغرافي ضيق لايتعدى 10٪من المساحة المخصصة له.[5]

والواقع أن الأراضي الزراعية هي الأخرى كانت محل أطماع السلطات الاستعمارية،التي سعت للسيطرة عليها بشتى الوسائل،فكان العسكريين الأوائل منهم على وجه الخصوص يروجون لفكرة

---

[1] عميراوي احميدة وآخرون:**آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري(1830-1954)**،سلسلة المشاريع الوطنية للبحث،م ،و،د،ب،ح،و ،ث،أ،ن،الجزائر،2007،ص65.

[2] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص ص 28،30.

[3] أحمد رضوان شرف الدين :**الاحتلال والاستعمار الزراعي من خلال كتاب**...،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة،فيفري1999،ص94.

[4] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص36.

[5] عميراوي احميدة وآخرون:**السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-1916**،دار الهدى للنشر،عين مليلة،الجزائر ،2009 ،ص136.

مفادها أن همهم الأساسي وغايتهم الجوهرية لم تكن سوى ترقية الإصلاح الاقتصادي،وأن غايتهم تختلف عن غاية الاستعمار[1]لكن استقرار الفرنسيين بورقلة قد صاحبه سيطرة على العديد من الأراضي الزراعية،حيث شرعت الإدارة الاستعمارية حينها في إنشاء مراكز دائمة لمواطنيها،وثكنات عسكرية وأبراج في مناطق متعددة بالمدينة[2]ثم مجيء الآباء البيض وتمركزهم بورقلة قد صاحبه أيضا توسع في البناء،وتأسيس عدة مراكز ومؤسسات تابعة لهم،وامتلاك ديار وأراضي كثيرة[3]وحدائق خاصة بهم[4].

وقامت السلطات الفرنسية كذلك بتأسيس الشركة الفلاحية والصناعية لصحراء الجزائر التي صارت تسيطر على أربعة وعشرين ألف نخلة بالجنوب،ثم بدخول الرأسمال الأوروبي المستثمر للجزائر بعد سنة 1870،عمدَت فرنسا على تطوير تقنيات زراعية وإدخال أساليب تتناسب مع الشكل الجديد للإنتاج الرأسمالي الذي يعتمد على المردود العالي والجودة[5] بخلق واحات رأسمالية وسط الواحات القائمة غايتها إنتاج سلع للتصدير[6] بعدما كان الإنتاج موجها للاستهلاك المحلي،وهو ما تسبب بفقر كبير لدى الفلاحين والسكان[7] دفع بهم إلى اقتراض الأموال بفوائد ربوية كبيرة جدا تصل أحيانا إلى 200% سنويا ،ويضطرون في معظم الأحوال إلى رهن نخلهم وأملاكهم مقابل ذلك،وفي نهاية المطاف وأمام عجزهم عن تسديد هذه القروض تصبح هذه الأملاك ملكا للدائن في فترة وجيزة [8]،وما زاد من معاناة الأهالي الضرائب القاسية التي أقرتها الحكومة الفرنسية على الأهالي منذ الاحتلال

[1] أحمد رضوان شرف الدين:مرجع سابق،ص 90.

[2] عبد الله السائح: مرجع سابق،ص 118.

[3] إبراهيم أعزام:مرجع سابق،ص ص 190،191.

[4] M.Rovilois Brigol :op.cit ,p 238.

[5] عميراوي احميدة وآخرون:**آثار السياسة الإستعمارية**...،مرجع سابق،ص 60.

[6] أحمد رضوان شرف الدين:مرجع سابق،ص 93.

[7] Pierre Robert Baduel :J.J Perennes :**Structures agraires et décolonisation de l'oued R'hir** (**Algérie**) ,R ,O,M,M, n30, 1980,p146.

[8] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص 16.أنظر:Largeau : **Le pays de Rirha**.,op.cit,p181.

بموجب المرسوم الصادر في 17 جانفي من سنة 1845 الذي يتضمن ترسيم مجموعة من الضرائب من بينها ضريبة اللزمة التي إستحدثتها سنة 1858،والتي صنفت تصنيفا جهويا ،وكان لمدن الجنوب نصيب منها ،حيث كانت خاصة بالنخيل[1].

إن هذه الإجراءات الفرنسية كان لها تأثير كبير على الوضع الاجتماعي والاقتصادي بالمدينة ،فقد أشار ألفريد لوشاتولي أن ملكية الارض بورقلة 40% منها صارت ملكا للرحل،و*40%* الأخرى ملك للإباضية ،في حين لم يتبقى منها للورقليين إلا نسبة *20%* فقط[2]،وفي نفس الوقت اشتدت الهجرة من ورقلة نحو الشمال ونحو تونس[3]بحثا عن فرص أفضل للعمل والحياة ،حيث بلغ عدد المهاجرين نحو تونس حسب لوشاتولي حوالي ثلث رجال ورقلة[4] وذلك بسبب تدهور وضعية السكان المعيشية بشكل مخيف،إذ أصبحت ترزح تحت وطأة المجاعة.[5]

2- السيطرة على التجارة الصحراوية ومسالكها:

يعد السبب الرئيسي للاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية لرغبتها في التحكم في تجارة الصحراء والسودان،ومراقبة المسالك التجارية التي تصل بينهما[6] فجندت لذلك العديد من المستكشفين الذين كان لهم الفضل بموافاتها بمعلومات هامة عن النشاط التجاري الخاص بهذه المناطق،والطرق التجارية التي تسير عبرها القوافل التجارية[7]كالضابط لابي الذي وضع خريطة قيمة

[1] عميراوي احميدة وآخرون:المرجع السابق،ص ص 56،57.

[2] Le Chatellier :op.cit ,p45.

[3] عبد الحميد نجاح:مرجع سابق،ص 112.

[4] دنيس بيلي:مرجع سابق،ص 22.

[5] إبراهيم لونيسي:**أهمية الصحراء في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي**،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة،فيفري1999، ص 129.

[6] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص53.

[7] رضوان شافو: الإحتلال الفرنسي.. ،مرجع سابق،ص 86.

أبرز فيها تضاريس المنطقة الجنوبية،استفادت منها بشكل كبير،حيث كانت أحسن أداة للتوسع في الصحراء.[1]

وبعد تمكنها من التوغل في المناطق الجنوبية،سعت إلى الشروع في فرض هيمنتها على التجارة الخاصة بهذه المناطق،من خلال مراقبة تحركات القبائل،والتجار بها،[2]وتأسيس لجنة مختصة لتنظيم وتطوير تجارة القوافل بين الأسواق الشمالية والجنوبية كمنطقة توات على وجه الخصوص سنة *1880* تمهيدا لاحتلالها.[3]

فعلى صعيد التجارة الداخلية،سمحت فرنسا لقافلتين تجاريتين فرنسيتين بالانطلاق من بسكرة إلى جنوبها في *1844/07/13* من أجل معرفة أسواق المدن الداخلية،فتوجهت الأولى إلى تقرت والثانية إلى عين صالح تمهيدا للسيطرة على تجارتها[4]،ثم مارست بعدها مضايقات على التجار،خاصة بعد انطلاق مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بها،كان لها أثر سيء على سكان وتجار مدينة ورقلة، حيث منعت فرنسا قوافل ورقلة من دخول أسواق بني ميزاب بمقتضى الاتفاقية الموقعة بينها وبين الميزابيين والتي تنص على غلق أسواقها في وجه أعداء فرنسا[5]،والمقصود بهم المقاومين والثائرين عليها. ;

ولم تكتف بذلك فقد قامت كذلك بمهاجمة والتعرض للقبائل التي كانت ترافق القوافل التجارية وتوفر لها الحماية،مما جعلها تتخلّى عن هذا الدور الذي عرفت به ومارسته منذ القدم[6]،كما قامت الحكومة الفرنسية أيضا بمنع القوافل القادمة من بعض المدن في الشمال من دخول ورقلة أثناء مرورها بورقلة بحجة أن السلع التي تحملها موجهة لتقديم الدعم لمقاومة محمد بن عبد الله.[7]

---

[1] عميراوي احميدة:**من تاريخ الجزائر الحديث**،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،ط2، 2009،ص99.

[2] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص148.

[3] صالح بوسليم:مرجع سابق،ص239.

[4] عميراوي احميدة: المرجع السابق،ص 100.

[5] Charles Amat :op.cit,p20.

[6] محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص161.

[7] أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء... ،مرجع سابق،ج5،ص ص 265،267.

أما النشاط التجاري الذي ربط ورقلة مع بقية بلدان المغرب والسودان الغربي،كان هو الأخر محل استهداف من الفرنسيين وجنّدت للسيطرة عليه عديد الوسائل نظرا للفوائد والأرباح الكبيرة المحققة منه،فللوصول إلى السودان الغربي سعت فرنسا لكسب ود الطوارق الذين كان لهم خبرة بالمسالك التجارة من أجل استغلالهم لصالحها،حيث نجحت بتوقيع معاهدة معهم تحصلت من خلالها على حماية ومرافقة الطوارق لها أثناء عبورها إلى بلاد السودان،واطلاعها على الطرق التجارية الهامة[1] .

ولضمان إحكام قبضتها على الطرق التجارية قامت بتشييد العديد من الأبراج العسكرية للمراقبة كبرج بني ثور (البرج الأحمر)[2] وبرج حاسي إنفل،وحاسي الشبابة،وبرج مريبل وحاسي الحمور و برج مكمهان بالقرب من عين صالح.[3]

أما بالنسبة لعلاقات ورقلة التجارية مع تونس وليبيا فلم تسلم هي الأخرى من التدخلات الفرنسية التي أعاقت تنقل القوافل التجارية بحرية مثل ما كانت عليه،فقد تعرضت بعض القوافل القادمة من الجريد التونسي للتوقيف والمنع من دخول ورقلة من طرف القوات الفرنسية بحجة أنها تحمل مساعدات للثوار الموجودين وأجبرت على الرجوع أدراجها[4]في حين كانت تراقب عن كثَب الدخول والخروج من غدامس من خلال تشييد برج لالمان Lallmand الذي أقامة بين تقرت والوادي[5]خاصة وأن غدامس وبقية المدن الليبية الأخرى قد حافظت على نشاطها التجاري مع بلاد السودان لكونها لم تكن قد خضعت للاستعمار الإيطالي بعد،فبرزت جهود فرنسية حثيثة للسيطرة على تجارة غدامس وجلب تجارة السودان لممتلكاتها،وقد وصل إلى غدامس في شهر مارس من سنة 1894وفد باسم مكتب السودان–ورقلة ووقع عقدا لشراء العاج بأسعار طرابلس،لكن قائد غدامس

[1] إبراهيم مياسي: مقاربات... ،مرجع سابق،ص42.

[2] عبد الله السائح: مرجع سابق،ص118.

[3] التواتي بومهلة:مرجع سابق،ص 51.

[4] أبو القاسم سعد الله:مرجع سابق،ص265،267.

[5] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص148.

تدخل عند سماعه الخبر واتضح أن الشاري جاسوس فرنسي يحاول نقل تجارة السودان من طرابلس إلى الجزائر،وطلب من البائع فسخ العقد سريعا،وأبلغ السكان بأن التعامل مع الفرنسيين ممنوع،وهو ما أثار إستياءا كبيرا لدى الحكومة الفرنسية،وجعلها تشرع مباشرة في احتلال بلدان السودان الغربي لتحقيق أهدافها[1]بعدما صارت تجارة ورقلة بيد السلطات الفرنسية،تسيطر عليها وتقوم بتسييرها وفق ما يخدم مصالحها الاقتصادية،وهو ما ساهم في تراجعها وتوقف العديد من التجار من ممارستها بسبب التدابير والإجراءات الفرنسية المستحدثة،وهو ما يفسر الاستياء الكبير الذي شعر به سكان تنبكتو،من الوهلة الأولى لاحتلال فرنسا لورقلة،استياء دفع بزعيمها الشيخ سيدي أحمد البكاي [2]لاستنفار جميع أنصاره بالمنطقة وإعدادهم للهجوم على القوات الفرنسية بها،لولا وجود الرحالة هنري بارث الذي كانت تحت حمايته الذي عمل الكثير لثني الشيخ البكاي عن محاولته إتمام ما خطط له،ونجح في ذلك.[3]

3- إلغاء تجارة الرقيق:

بعد إصدار بريطانيا لقرار بمجلس العموم سنة *1833* يقضي بمنع تجارة الرقيق وتطبيقه في مستعمراتها،عملت على حث بقية الدول الأوروبية للقيام بذلك،فاستجابت لها كل من إسبانيا والبرتغال،وقاما بتحرير كافة العبيد في مستعمراتهما بأمريكا الجنوبية،وصارت على نهجهم فرنسا من خلال إصدار قانون يقضي بإلغاء تجارة الرقيق في مستعمراتها في *27*أفريل من سنة *1848*[4]وشرعت

---

[1] عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق ص ص 151،153.

[2] أحمد البكاي بن محمد بن الشيخ سيدي مختار الكنتي،ولد بتنبكتو ونشأ بها وتعلم على يد أبيه محمد علوم الدين وحفظ القرآن،من قبيلة كنتة أحد أهم القبائل العربية في الصحراء الكبرى،كان شيخا للطريقة القادرية بالصحراء،كان قائد قبيلة كنتة في حروبها مع القبائل المجاورة كالأنصار،وأدو الحاج.أنظر:محمد سعيد القشّاط:**أعلام من الصحراء**،دار الملتقى للطباعة والنشر،لبنان، ط1، 1997،ص ص 19،20.

[3] عبد القادر زبادية: ورقلة عروس... ،مرجع سابق،ص 146.

[4] عبد السلام ترمانيني:**الرق ماضيه وحاضره**،سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع23،ص ص 156،157.

في تطبيقه بعد ذلك،ففي ورقلة كانت القوات الفرنسية تقوم بالقيام بعمليات عسكرية من أجل استرجاع العبيد وتحريره،كما حدث سنة *1883* حينما تمكنت القوات الفرنسية من استرجاع حوالي مائة عبد من أصل ثمانمائة تَم جلبهم من تنبكتو وعين صالح ووجهوا بعدها إلى المغرب وطرابلس وورقلة وهو إجراء دفع بالعديد من العبيد للهروب من ملاكهم واللجوء إلى القوات الفرنسية،كما حدث مع أحد العبيد،الذي كان أصله من بورنو،اشتراه أحد الشعانبة في جانت في عمر التسع سنوات،ثم فرَّ عنه بعد ستة سنوات ولجأ إلى تقرت،فأخذه عسكر ورقلة وبعثوه إلى بسكرة،وانتقل منها إلى المنيعة للعمل في أحد المؤسسات الزراعية فيها.[1]

إن هذا الإجراء قد ساهم في انخفاض التجارة عبر الصحراء وتراجعها، وكان مؤشرا بالغ الخطورة على اقتصاديات المنطقة، وذلك لكون تجارة الرقيق قد كانت تمثل نصف كامل التجارة التي تجتاز نطاق الصحراء شمالا[2]خاصة ورقلة التي كانت مستودعا كبيرا للعبيد في الجنوب تمَون مختلف مدن الجزائر،وتزود تونس ما تحتاجه على الدوام[3]لذلك تأثر اقتصادها بشكل كبير،لكون هذه التجارة قد شكّلت مصدر دخل بالنسبة للعديد من تجارها الذين كانوا يحققون من خلالها أرباحا كثيرة.

وأهم ما نتج عنها بالنسبة لتجار ورقلة فقد اكتفوا بالحصول على العبيد من المراكز التجارية القريبة كتوات وغدامس،وبأسعار أكثر من قبل،كما أن إلغاء النخاسة ساهم في ارتفاع أسعار العبيد سبب نقص الأعداد التي يتم جلبها [4].

والواقع أن إلغاء فرنسا لتجارة الرقيق،والقضاء على القرصنة كانت في البداية الذريعة الأساسية التي اتخذتها فرنسا لضرب البحرية الجزائرية،والتأثير على الوضع الاقتصادي الخاص بها بعد ذلك،خاصة وأن العبيد يشكّلون يدا عاملة في العديد من المجالات.[5]

---

[1] دنيس بيلي :مرجع سابق،ص ص 26،29.

[2] بوفيل:مرجع سابق،ص ص 402،403.

[3] ابن سعيد المغربي: مصدر سابق،ص126.

[4] J.Letilleux:op.cit,p228.

[5] يحي جلال:**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،المكتب الجامعي الحديث،مصر،1999،ص204.

4- إلغاء تجارة القوافل الصحراوية:

لقد كان التوسع الفرنسي بالصحراء الجزائرية كارثة كبيرة على الاقتصاد الجزائري والإفريقي على حد سواء،لاسيما بعد سيطرتها على الموارد الطبيعية والنشاط التجاري القائم بها،حيث تسبب ذلك في تراجع نشاط القوافل التجارية التي بدأت تتلاشى تدريجيا منذ سنة *1890*،وما صاحبها من ضعف في تسويق السلع والبضائع خاصة التمور التي سُدت أمامها كل الطرق خاصة نحو السودان،كما أن العديد من المنتجات أصبحت غير رائجة بسبب المنافسة القوية من السلع الأوروبية المستوردة،التي اجتاحت المنطقة بعد إنشاء فرنسا لشبكة من الطرقات المعبدة والسكك الحديدية،ساهمت في نقل السلع والبضائع عبر العربات والشاحنات بشكل سريع،وهو ما أدى في الأخير إلى القضاء على تجارة القوافل [1] بعد ظهور وسائل النقل الحديثة.

[1] عميراوي احميدة:السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية...،مرجع سابق،ص137،138.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ميلادي خلصنا إلى مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات ،يمكن إيجازها في الآتي:

- بينت الدراسة أن مدينة ورقلة ذات تاريخ عريق ضارب في القدم بعود إلى فترة ماقبل التاريخ ، امتزجت فيه دماء العديد من الأجناس التي توافدت إلى المنطقة في فترات مختلفة ،وانصهرت في بوثقة وتأسيسها حسب أغلب المؤرخين و الباحتين المهتمين بتاريخ المدينة يعود إلى قبائل بني واركلا واحدة، الزناتية البربرية التي هاجرت إلى ورقلة قادمة من الشمال هربا من الاحتلال الروماني والبطش الممارس ضدهم.

- ساهمت الهجرات المتوالية نحو المدينة في تنوع تركيبتها البشرية ،التي أصبحت تضم كل من البربر السكان الأصليين لها ، والعرب الذين وصلوا للمدينة بعد الهجرة الشهيرة للقبائل العربية الهلالية والسلمية لبلاد المغرب ،إضافة إلى الزنوج الأفارقة الذين كان يتم جلبهم من مختلف بلاد السودان ، والذين شكّلوا جزءا هاما من النسيج الاجتماعي لورقلة، حيث انصهروا في المجتمع الورقلي تدريجيا، و يضاف إلى ذلك اليهود الذين كانوا يتوافدون بشكل مستمر إلى مدينة ورقلة من أجل مزاولة بعض الأنشطة الاقتصادية.

- يعود تطور المدينة وازدهارها اقتصاديا وحضاريا إلى جملة من العوامل من بينها موقعها الجغرافي الاستراتيجي الواقع على خط الطريق المؤدي إلى بلاد السودان ،إضافة إلى قربها الجغرافي من تونس وليبيا التي كانت من أهم المراكز التجارية بإفريقيا ،وثرواتها الطبيعية المتنوعة، إضافة إلى هجرة بعض العائلات الرستمية نحوها بعد خراب دولتهم على يد أبي عبيد الله الشيعي ،والتي كانت تضم العديد من العلماء والفقهاء الذين ساهموا في إثراء الحركة العلمية، وفي دفع عجلة التعليم بها من خلال تأسيس نظام تعليمي قيّم يعرف بنظام الحلقة ،وتأسيس مدينة سدراته التي عرفت بجمال عمرانها وبازدهارها الحضاري ،فصارت حينها ورقلة حاضرة علمية كبرى يقصدها العديد من طلبة العلم ،كما لا يخفى دورها في تجارة القوافل الذي كان الحكام المحليين يدعّمونه بشكل كبير، وهو ما ساهم في تطورها وازدهارها الاقتصادي.

- لعبت مدينة ورقلة دورا هاما في تجارة القوافل الصحراوية لفترة زمنية طويلة، فقد كانت منطقة تجتمع فيها القوافل القادمة من مختلف المدن الشمالية للبلاد أو من تونس، من أجل التوجه إلى بلاد

السودان الغربي، إضافة إلى كونها محطة رئيسية لقوافل الحجيج المغربية التي كانت تمر عبرها باستمرار وتقف للتبادل التجاري فتتزود منها بما تحتاجه من سلع ،وتصرف ما تحمله من منتجات قبل التوجه للحج، كما كانت مدينة ورقلة أيضا مركزاً تجاريا ضخما جمع بين بلدان المغرب والسودان الغربي على حد سواء، وزود مختلف المدن الجزائرية بالسلع السودانية.

– شكّلت مدينة ورقلة مركزا تجاريا ضخما في قلب الصحراء ،وربطتها علاقات تجارية قوية مع عدّة مناطق من إفريقيا، كبلدان المغرب وبلاد السودان ،فقد كانت قوافلها التجارية تجوب أعماق الصحراء عبر مسالك معينة، يتم المرور عبرها تكون آمنة وتحتوي على آبار للمياه، لتصل إلى المراكز التجارية الهامة وتلتقي بقوافل تجارية من مناطق أخرى فتقف للتبادل التجاري معها، وتمكث فيها لمدة ثلاثة أشهر، ومن أهم هذه المراكز نجد غدامس، غات ،مرزق ،تافيلالت ،تنبكتو، جني ،اغادس، كتشنة وغيرها.

– أكدت الدراسة أن أهم السلع والبضائع التي كانت تحملها قوافل ورقلة إلى بلاد السودان تتمثل في التمور، والفواكه ،الملح وريش النعام وبعض الأقمشة المتنوعة(صوفية وقطنية)،الأسلحة ،بعض المنتجات الزجاجية والنحاسية التي يتم استخدامها للزينة كالأساور والأقراط، إضافة إلى الشاي والسكر وبعض الأدوية العشبية والبهارات التي يجري استخدامها بشكل واسع بالمنطقة، في حين كانت تحمل بعض المواد المنتجة محليا أو مستوردة من الخارج كالتمور والعبيد والأسلحة ،وبعض الأقمشة الصوفية والقطنية إلى الأسواق الليبية حيث تلتقي هناك بقوافل ليبيا وتونس، بينما تكتفي بتصدير بعض المواد الكمالية نحو أسواق المغرب كالأقمشة المصنعة محليا، ريش النعام ،بعض السلع التونسية ،و الخردوات المستوردة .أما السلع والبضائع التي تقوم باستيرادها من بلاد السودان فتشمل على الذهب والعبيد، العاج، وبعض المواد الغذائية الأخرى كالكوروا، وجوزة الكولا ،الفول السوداني ،العسل، والجبن المجفف، وبعض الأقمشة الإفريقية والجلود المدبوغة ،وكذا الأحجار الكريمة ،في حين تستورد كل من سلع السودان كالعبيد، والذهب وجثث النعام والعاج من أسواق ليبيا ومعها بعض المنتجات التونسية الأخرى كالأحزمة والشواشي ،وبعض الخردوات المستوردة من الدول الأوروبية، وتجلب من المغرب الفلالي والأسلحة والخيول.

- وضّحت الدراسة أن مدينة ورقلة قد شهدت منذ مطلع القرن التاسع عشر ميلادي أوضاعا سياسية متدهورة، تمثلت في الصراعات المتكررة بين أفراد أسرة بني علاهم حول حكم المدينة ،والتي أفضت باغتيال وتصفية أفرادها تباعا، وبعد فترات وجيزة من اعتلائهم الحكم لا تتجاوز الثلاثة أيام في بعض الأحيان، وهو ما انعكس سلبا على وضع السكان الاجتماعي ،ودفع بمشايخ انقوسة للاستغلال هذه الفرصة لإعلان سيطرتها على المدينة ،بعدما تقدمت بطلب إلى الحاكم العام الفرنسي بتيارت ليدعمها في حكم المدينة مقابل إعلان الطاعة والولاء للفرنسيين في المنطقة، وهو ما قابلته فرنسا بالموافقة ،تمهيدا لتغلغلها نحو المدينة ومنها نحو بقية المدن الصحراوية، لكن ظهور المقاومة التي تزعمها الشريف محمد بن عبد الله حال دون تحقيق فرنسا لمبتغاها وأخّر من عملية تمركز القوات الفرنسية بالمدينة ،التي اكتفت بتنصيب قياد موالين لها تحكم من خلالهم ورقلة بطريقة غير مباشرة ،لكن استمرار مقاومة الشريف محمد بن عبد الله وظهور شخصيات ثورية أخرى ؛كابن ناصر بن شهرة والشريف بوشوشة كبّد الفرنسيين وأعوانهم من السكان المحليين خسائر مادية وبشرية كبيرة دفعت بالقوات الفرنسية للتدخل عسكريا عدّة مرات من أجل حسم المعركة، والتي انتهت في نهاية الأمر بالاستقرار النهائي للفرنسيين بها وبداية حكمهم المباشر لها.

- يعود الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية عموما و ورقلة خصوصا لعدّة عوامل سياسية واقتصادية وعسكرية، من موقع استراتيجي هام قريب من الأسواق التونسية والليبية، على خط الطريق المؤدي إلى بلاد السودان المنطقة المعروفة بثرواتها الطبيعية الكبيرة وبنشاطها التجاري المزدهر الذي سعت فرنسا من الوهلة الأولى إلى السيطرة عليه بطرق وأساليب متنوعة.

- وظّفت السلطات الفرنسية العديد من السياسات الاستعمارية بهدف السيطرة على التجارة الصحراوية القائمة بورقلة والصحراء من جهة ،ورغبتها في الوصول إلى بلاد السودان الغربي مصدر الثروة الاقتصادية من جهة أخرى، لذا فقد مزجت فيها بين الجوسسة التي قام بها المستكشفين ورجال الدين، وبين المشاريع الاقتصادية التنموية ،كمشروع سكة الحديد العابر للصحراء ،ومشروع البحر الداخلي، وبعدها الدبلوماسية من خلال عقد معاهدات مع أطراف فاعلة بالصحراء ؛ كمعاهدة الحماية مع بني ميزاب سنة1852 ،ومعاهدة غدامس مع الطوارق سنة1862،استطاعت من خلالها تحقيق أهدافها الاقتصادية والسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية، ثم النفاذ إلى بقية بلدان إفريقيا جنوب الصحراء واحتلال أجزاء كبيرة منها.

- تبين من خلال الدراسة أن سياسة الاحتلال الفرنسي كان لها انعكاسات وخيمة على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لمدينة ورقلة، حيث ساهمت بشكل كبير في تراجع ونهاية نشاطها التجاري بعدما سيطرت عليه وتحكّمت فيه السلطات الفرنسية، من خلال التضييق على التجار ومراقبتهم وملاحقتهم في الكثير من الأحيان ،وذلك من خلال إقامة أبراج للمراقبة وإلغاء تجارة الرقيق التي كان النشاط التجاري الأوسع الذي يمارسه تجارها، وإجبارهم على دفع ضرائب للمرور عبر المسالك التجارية، وهو ما دفع بالكثير من التجار إلى إلغاء رحلاتهم التجارية، كما أنها سيطرت على الأراضي الفلاحية ومصادر المياه ،وجعلت الإنتاج موجها للتصدير بعدما كان موجها للاستهلاك المحلي، وهو ما ساهم في تفقير المجتمع الورقلي وتدهور أحواله المعيشية، لكن بالمقابل هناك بعض الانجازات التي حققتها السلطات الفرنسية بالمدينة، والتي كانت بالأساس تهدف إلى خدمة مصالح المعمرين والقوات الفرنسية ،كحفر الآبار ورفع منسوب المياه ،و تطوير الإنتاج الفلاحي وإدخال تقنيات حديثة لم تكن مستعملة من قبل، إضافة إلى تحقيق الأمن عبر الطرق الصحراوية والقضاء على هجمات قطاع الطرق واللصوص التي كانت تعاني منه القوافل التجارية لعدة عصور، وهو ما دفع ببعض القبائل الرحل البدوية إلى الاستقرار والتمدن بعد حياة طويلة مع الترحال.

الملاحق

الملحـــــــــق رقم 01: بعض الادوات الحجرية بورقلة التي تعود لفترة لما قبل التاريخ.

المصـــــــــــــدر : المتحف الصحراوي ورقلـــــــة

الملحـــــــــق رقم 02: مقارنة بين رمز تانيت ولام ألف المنتشر بورقلة.

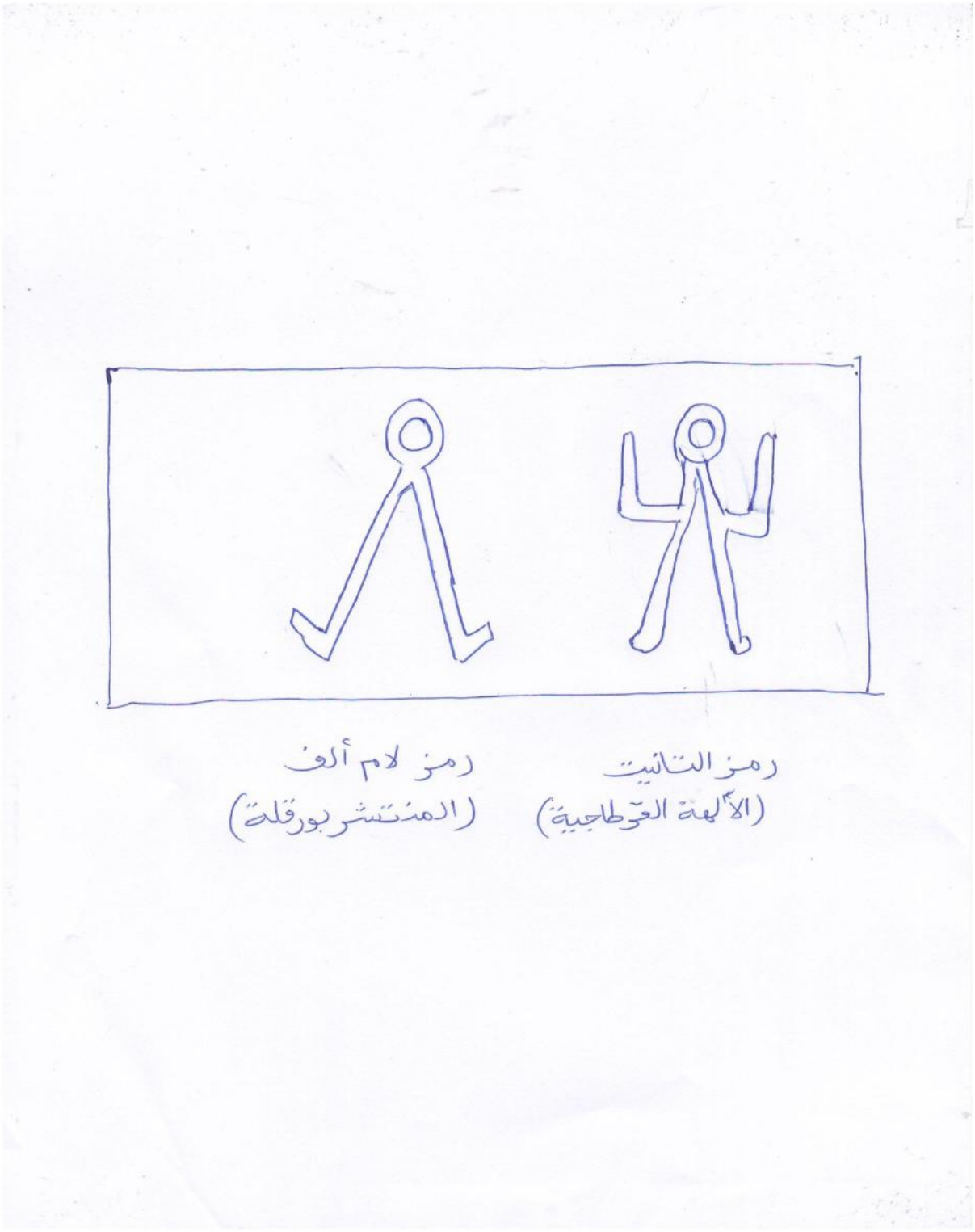

المصـــــــــــــدر: دنيس بيلي:لام ألف..،مرجع سابق،ص8.

الملحـــــــــق رقم 03: بعض آثار مدينة ســـــدراتة

المصـــــــــــــدر : المتحف الصحراوي ورقلـــــــة

الملحـــــــــق رقم 04: خريطة المسلك التجاري بين ورقلة والمغرب الأقصى.

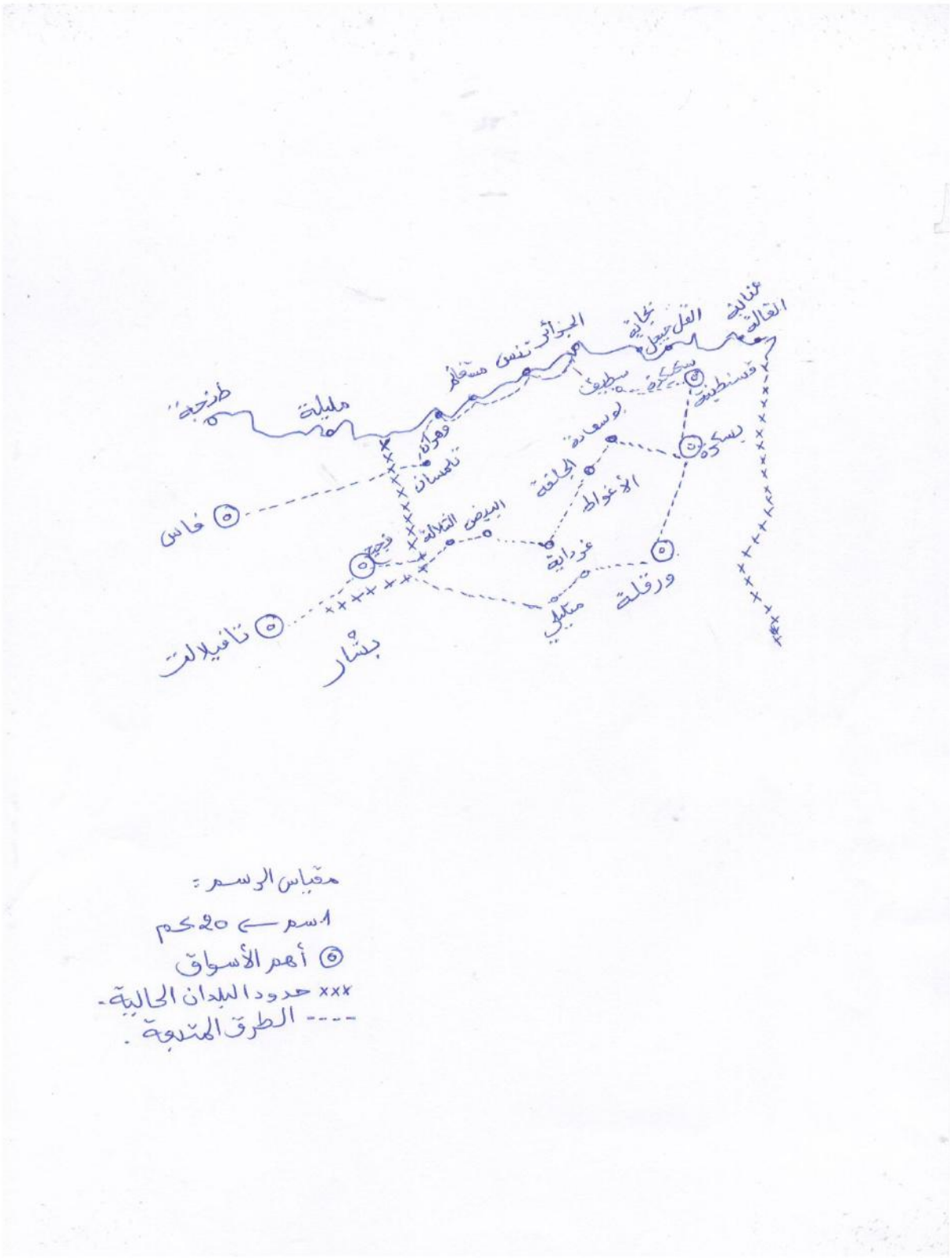

المصـــــــــــــدر : محمد العربي الزبيري:مرجع سابق،ص181.

الملحـــــــــق رقم 05: خريطة المسالك التجارية بين ورقلة وليبيا والسودان الغربي.

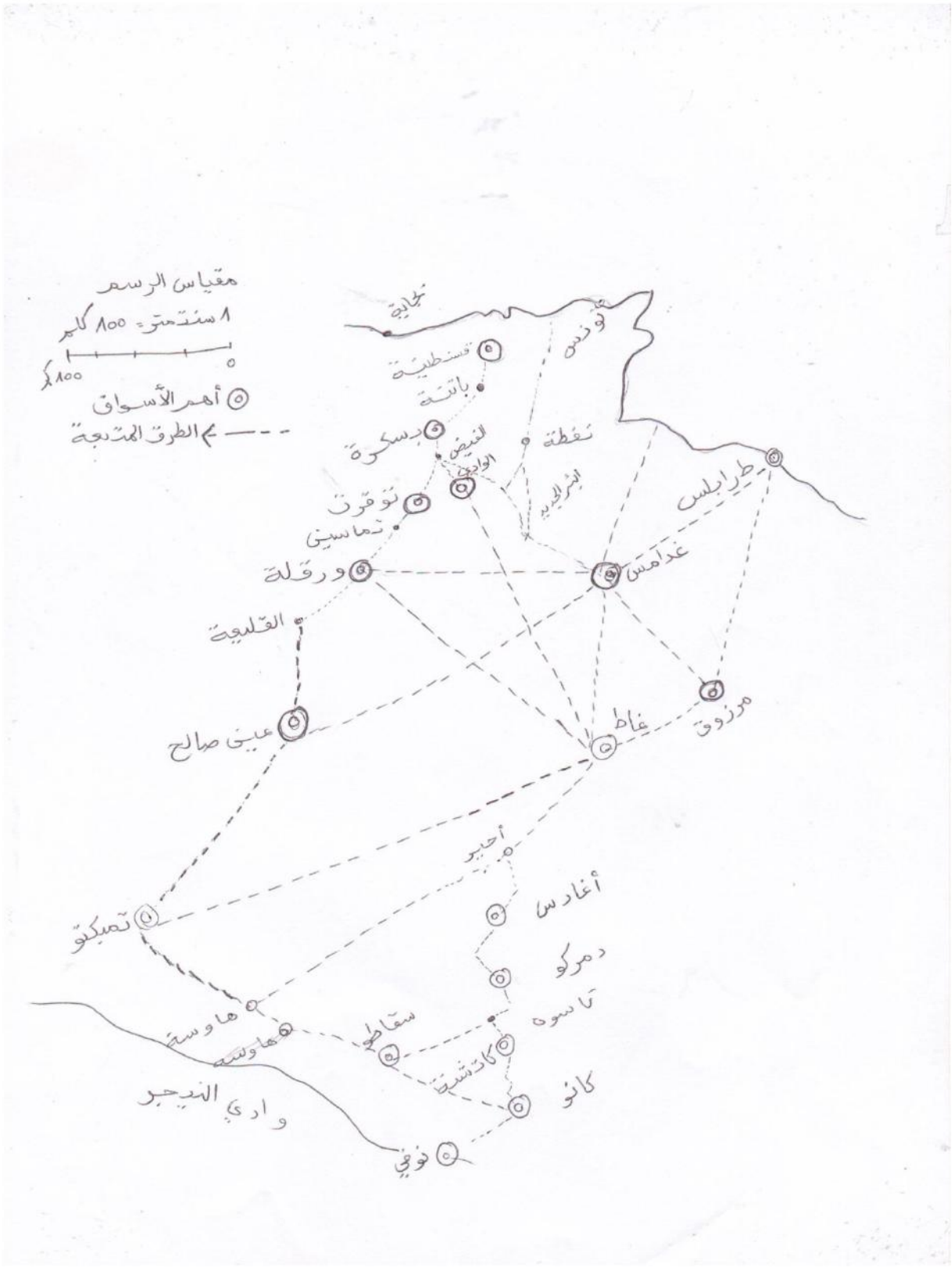

المصـــــــــــــدر: محمد العربي الزبيري: مرجع سابق، ص172.

الملحـــــــــق رقم 06: خريطة منافذ توغل الاحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية.

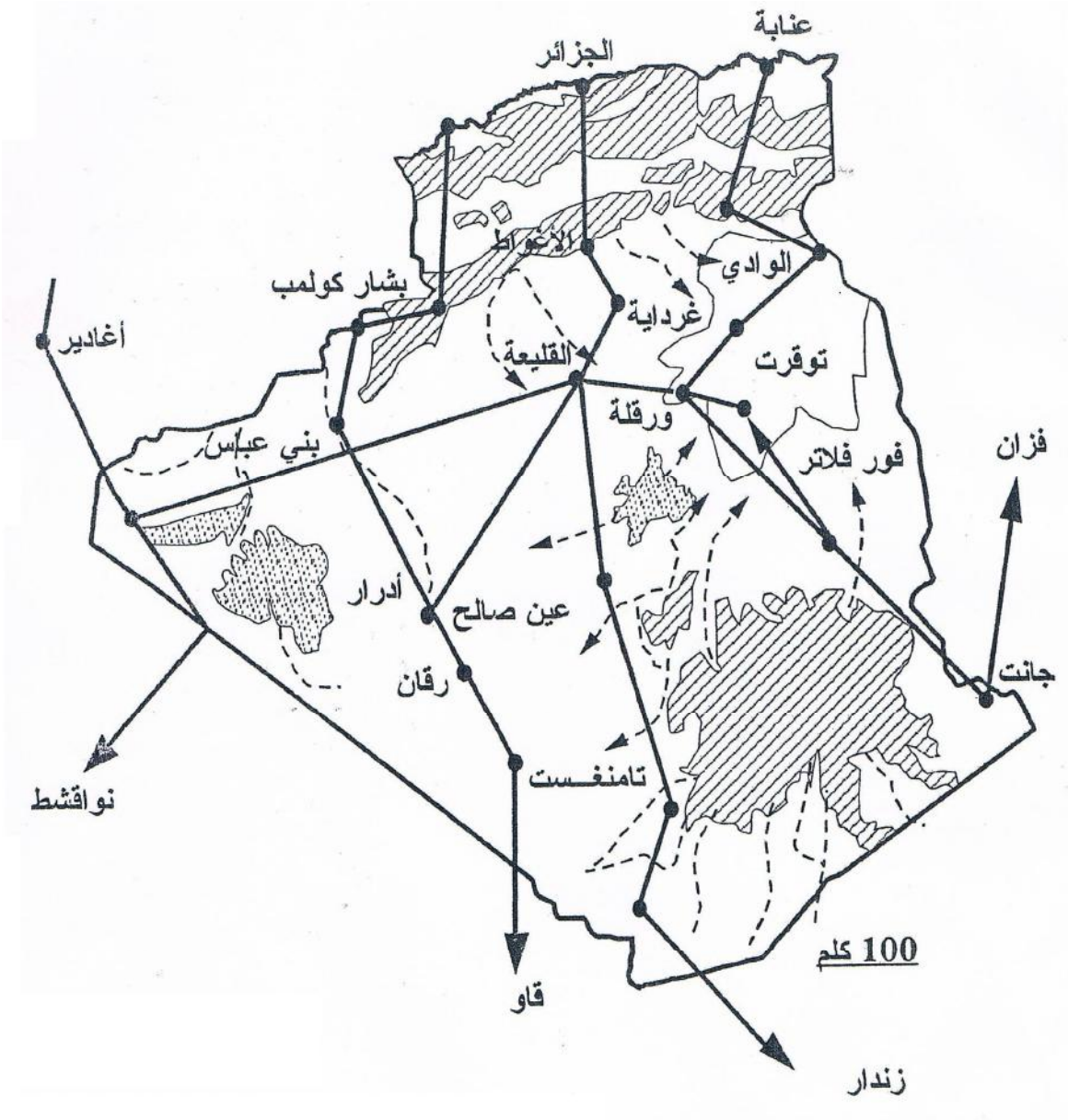

المصـــــــــــدر:عميراوي احميدة:السياسة الفرنسية في الصحراء،مرجع سابق،ص156.

الملحـــــق رقم 07: مخطط مشروع سكة الحديد العابرة للصحراء.

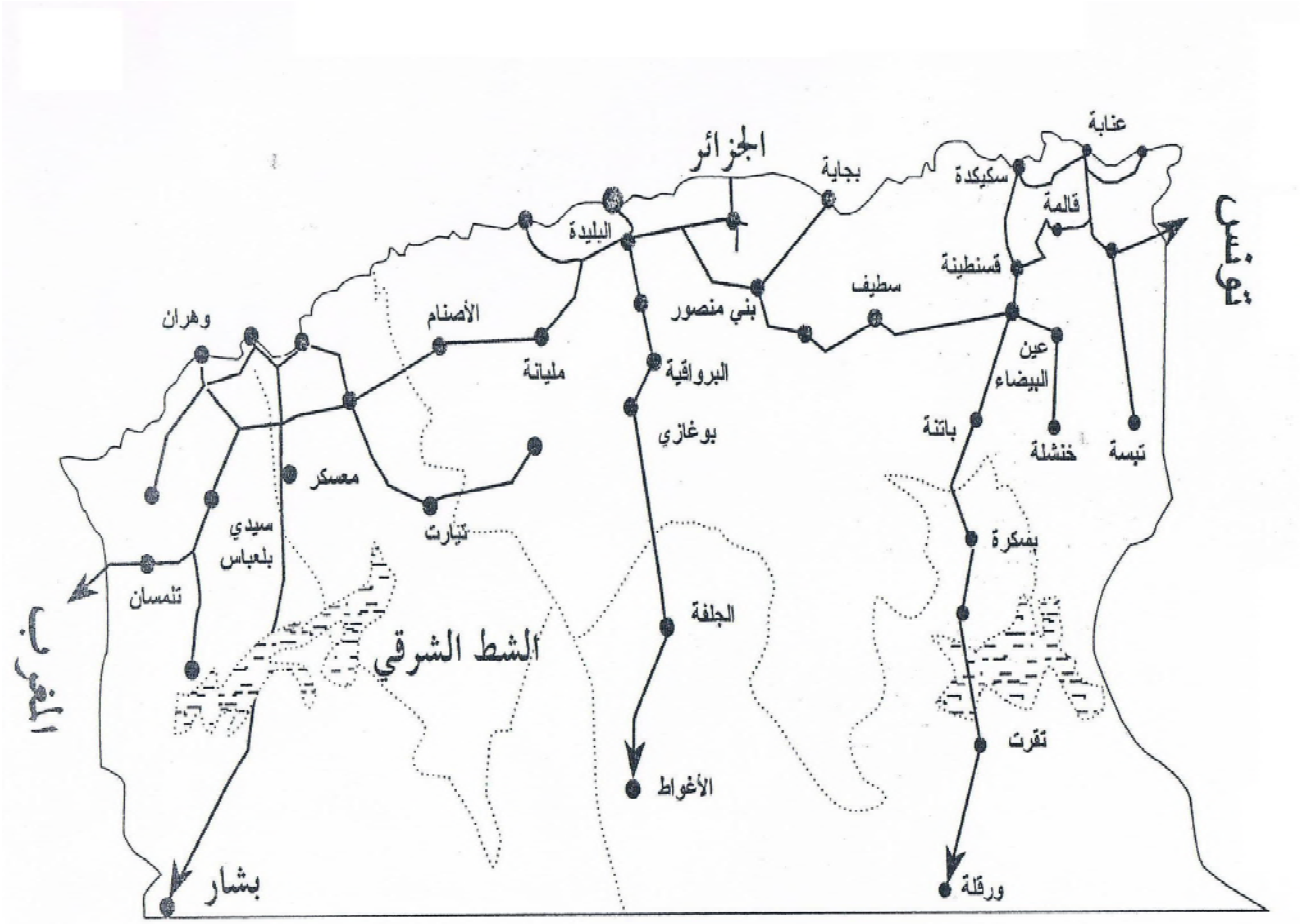

المصـــــــــــدر:اعميراوي احميدة: مرجع سابق،ص157.

الملحـــــق رقم 08: معاهدة الحماية مع بني مزاب 1853.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذا
لحاجة ما نصه بعد الحمدلة من الحاكم الكبير بلاد الاغواط سعادة السيد
الكمندان دوبرك الى جماعة بني مزاب كبيرهم وصغيرهم كافة اهل بريان وغر
دية وبني يسقن وبونورة وتغرارت والمليك والعطف السلام عليكم الآب والرحمة
والبركة اضعافا اما بعد اعلموا ان الميعاد صناعكم من بريان بابو هود ومن
غرديه باعيسى بن موسى هرو داود باحمد ومن اليكه بنوح بن الحاج احمد ومن
بونورة باكبير بن علي ومن بني يسقن ارفود ومحمد بن الحاج وعمر بن داود
ومن العطف بكير بن سليمان ومن القرارة بكير بن كاسي وعيسوة لدريب وحلنا
ببلاد الاغواط الرخيم وعلمنا على وانكم اجتمعتم واتفقتم على ان تخضعوا الدولة
الفرانسوية وتحملوا ما اشترطه عليكم سيدنا المرشال والي عمالة
الجزاير ونزاهم دفعوا الينا الخيل صناع الفادة وقبلناهم منهم وهم حنا كتبنا
بوعا فكم على ذلك وهو عيناها دنكم وبه يكون صلاحكم وسعادكم
وقابلت الوادكم المذكورين اعلاه باحساد وخطبتهم باطيب كلام وذاكر
لما ان ظهر لي ذكاء عقولهم وانهم بحر امنكم وما بعلوه فد بعلتهده وكررنا
عليهم الشروط التي وضعها المرشال وقبلوا ذلك وهم قادمين يوم السبت لاجل ان
يدفعوا الخيل بانفسهم الى سعادة السيد الفارنوح واليوم نعيد لكم الشروط
التي جعلها لكم عليكم سيدنا المرشال لجل ان تذهب الوهم والغلط وهذا امر
ابرمناه ولا يحل ومن نقض العهد فسطو ننا تتركه وذلك الشروط اللازمة
لكل منة وهي التي جعلها سعادة الفارنوح خمسة واربعين البدام انكم
والاخوانكم ناس فقراء ووقع عندكم الشر وسنطلب من جوده وحنانته
ان يحط عليكم شيء من ذلك وكونوا خدام طايعين ونحن نكون لكم حفاظ
واماناً بجملة رعيتنا يد السعي والعفاف ولا يكونا قمرق على سلطنتكم وايضا
بان

المصـــــــــــدر : حمو عيسى النوري : مرجع سابق، ص 273،274.

الملحـــــــــق 09: معاهدة غدامس 1862(النسخة الفرنسية).

TRAITE DE GHADAMES

1-Il y aura amitié et échange mutuel de bons offices entre les autorités françaises et indigènes de l'Algérie, ou leurs représentants, et les chefs des différentes fractions de la nation Touareg.

2- Les Touaregs pourront venir commercer librement des différentes denrées et produits du Soudan et de leur pays, sur tous les marchés de l'Algérie, sans autre condition que d'acquitter, sur ces marchés, les droits de vente que paient les produits semblables du territoire français.

3-Les Touaregs s'engagent à faciliter et à protéger, à travers leur pays et jusqu'au Soudan, le passage tant à l'aller qu'au retour, des négociants français ou indigènes algériens et leurs marchandises sous la seule charge, par ces négociants, d'acquitter entre les mains des chefs politiques, les droits dits coutumiers ceux de location des chameaux et autres, conformément au tarifs ci-annexé, et lequel recevra, de part et d'autre, toute la publicité nécessaire pour prévenir les contestations.

4-Le gouvernement Général de l'Algérie s'en remet à la bonne foi et à l'expérience des chefs des touaregs, pour la détermination des routes commerciales les plus avantageuses à ouvrir au commerce français vers le Soudan, et, comme témoignage de son bon vouloir envers la nation touareg, il fera volontiers, lorsque ces routes seront fixées, les frais de leur amélioration matérielle au profit de tous, soit par des travaux d'art, soit l'établissement de nouveaux puits, ou la remise en bonnes conditions, de ceux qui existaient antérieurement. Après acceptation de la présente convention par l'assemblée des chefs touaregs et signature des contractants, pour garantie solennelle de son exécution dans le présent et dans l'avenir, une expédition, écrite en français et en arabe, restera entre les mains de chacune des parties.

ARTICLES ADDITIONNELS

1-Conformément aux anciennes traditions, qui règlent les relations commerciales entre les Etats du nord de l'Afrique et les différentes fractions des Touaregs, la famille du cheikh El Hadj Ikhenoukhen restera chargée de soin d'assurer, aux caravanes de l'Algérie, une entière sécurité travers tout le pays des Azgueurs.

Toutefois, les usages particuliers de garantie commerciale existant actuellement entre d'autres familles des Azgueurs et différentes fraction de Chaamba et du Souf , restent maintenues.

2- En raisons de ces garanties de sécurité, il sera payé par les caravanes françaises ou algériennes allant au Soudan, au cheikh Ikhenoukhen, ou à ses mandataires, ou enfin héritiers de son pouvoir politique, un droit qui sera réglé ultérieurement entre S.Exc. M.le Maréchal Gouverneur général et le cheikh.

3- Les contestations qui pourraient surgir les négociants et les convoyeurs touaregs seront réglées à l'amiable et avec équité par le cheikh ou son représentant, d'après les traditions en vigueur dans le pays.

4-Le cheikh El Hadj Ikhenoukhen et les autres chefs politiques du pays d'Azgueurs , s'engagent à mettre au profit, dès leur retour à R'hat, leurs bonnes relations avec les chefs de la tribu des Kelloui, pour préparer, au x négociants français et Algériens, le meilleur accueil de la part de cette tribu , afin que les caravanes traversent également en sécurité , le pays d'Air.

26 novembre 1862

M.MIRCHER — AMEUR EL HADJ

L. de POLIGNAC — OTHMAN BEN EL HADJ BECHIR

المصـــــــــــــدر : عبد الرحمان تشايجي:مرجع سابق،ص ص268،269.

الملحـــــــــق 10:جدول لصادرات وواردات ورقلة من وإلى البلدان المغاربية والسودانية، وأهم الأسواق التي ترتادها قوافلها التجارية.

المنطقة	أهم الأسواق	الصادرات	الواردات
المغرب الأقصى	فقيق،تافيلالت،	منتجات صوفية مصنوعة محليا ، ريش النعام،خردوات مستوردة، وبعض المنتجات التونسية التي يعاد بيعها بأسواق المغرب.	خيول،أسلحة،فيلالي، أحذية جلدية(بلاغي)، أقمشة حريرية،صابون، حبال،مصنوعات أوروبية مستوردة.
تونس وليبيا	غدامس،غات، مرزق	تمور، أسلحة،حبوب، زيوت، أقمشة قطنية وحريرية،بعض أنواع العملة.	تبر،عبيد، بخور سوداني جثث النعام، العاج، سلع تونسية (أحزمة، شواشي)،مواد أوروبية مستوردة من مالطا وايطاليا.
السودان الغربي والأوسط	جني،تنبكتو،غاو، أحير،كانو، نوفي كاتشنة، أغادس، هاوسة ،كانم.	الأقمشة الصوفية والحريرية،الفواكه الاسلحة،التمور،ريش النعام، صفائح السيوف،مصنوعات أوروبية مستوردة من المغرب.	التبر، العبيد،العاج، جثث النعام،جلود البقر الوحشي، العسل،الكورو، الحشيش، الفول السوداني، النطرون، الزبد

المصـــدر:محمد الربي الزبيري: مرجع سابق، ص ص159، 173.عمار بن خروف: مرجع سابق، ص ص 86، 87.

تبـــث المصادر

والمـــراجع

أولا: المصادر

أ-العربية:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

1-ابن الصغير:**أخبار الأئمة الرستميين،القرن الثالث الهجري**،تح وتع: محمد ناصر،إبراهيم بحاز،المطبوعات الجميلة،الجزائر.

2-ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد :**تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**،تح عبد الله التازي،أكاديمية المملكة المغربية،المغرب،1997،مج4.

3-ابن خلدون عبد الرحمان:**كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،دار الفكر للطباعة،لبنان،2000،ج6.

4-الإدريسي الشريف: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994.

5-الأرواني محمد محمود:تاريخ الصحراء والسودان وبلد تنبكت وشنقيط وأروان في جميع البلدان،تق و تح:الهادي المبروك الدالي،دار الكتب الوطنية،ليبيا،2010.

6-الأصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد:**المسالك والممالك**،مطبع بريل،ليدن،1870.

7-البكري أبي عبيد:**المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**(**المسالك والممالك**)،دار الكتاب الإسلامي ،مصر.

8-بن حوقل النصيبي أبي القاسم:**صورة الأرض**, منشورات دار المكتبة الحياة,بيروت,1992.

9-الحموي ياقوت:**معجم البلدان**،دار صادر،بيروت،لبنان، 1977،ج3،5.

10-الدرجيني أحمد بن سعيد: **طبقات المشايخ بالمغرب**، تح: إبراهيم طلاي، دار البعث،قسنطينة،الجزائر،ج2.

11-السعدي عبد الرحمان:**تاريخ السودان**،المدرسة الباريزية لتدريس الألسنة الشرقية،باريس،1981.

12-العمري شهاب الدين أحمد بن فضل الله:**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**،تح:حمزة أحمد عباس، إصدارات المجمع الثقافي،أبو ظبي،الإمارات،ط1،ج4.

13-العياشي أبو سالم عبد الله:**الرحلة العياشية1661-1663**،تح:سعيد الفاضلي،سليمان القرشي، دار السويدي للنشر، الإمارات،ط1، 2006،ج1.

14-الفشتالي عبد العزيز: **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والثقافية ،المغرب ، 1972.

15-القلقشندي الشيخ أبي العباس أحمد: **صبح الاعشى** ،المطبعة الاميرية،مصر،1915، ج5.

16-كعت القاضي محمود :**تاريخ الفتاش في أخبار البلود والجيوش وأكابر الناس**، مطبعة بردين، باريس ،1930.

17-المراكشي ابن عذارى: **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**،تح: ليفي بروفنسال ،ج.س. كولان، دار الثقافة،لبنان،ط1، 1983،ج1.

18-المغربي ابن سعيد: **الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة،لبنان،ط1، 1970.

19-الوزان حسن: **وصف إفريقيا**،تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ج2.

ب- الأجنبية:

1-Brosselard Henri :**Les Deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar**,paris,1889.

2-Choisy August :**Le Sahara**. **Souvenirs d'une mission à Goléa**,paris,1881.

3-Daumas : **Le Sahara Algérian**, paris, 1845.

4-Daumas :**mœurs et coutumes de l'Algérie**(**Tell – Kabylie – Sahara**),Paris, 1853.

5-Largeau. V :**le Sahara Algerian**, **les deserts de lèrg** ,paris,1881.

6-Largeau.V :**le pays de rirha Ouargla**,paris,1879.

7-Passager :**Ouargla**(**Sahara Constantinois**),Institut pasteur d'Algérie,1957

8-Rinn Louis: **Histoire de l'insurrection de1871 en Algérie**, Alger,1891.

9-Solleillet Paul : **l'Afrique occidentale**:**Algérie**,**Mzab**,**Tildikelt**,France,1877.

10-Trumelet :**Les Français dans les Désert**,challamel ainé,2eme édition,1885.

ثانيا:المراجع.

أ–العربية:

1–الأحمد امحمد مصباح:**تاريخ العلاقات العربية الإفريقية**،دار الملتقى للنشر،لبنان،ط1،2001.

2–اسماوي صالح بن عمر:**العزابة ودورهم في المجتمع الإباضي بميزاب–الحلقة الأولى–**،نشر جمعية الثرات،غرداية،ط1، 2005.

3–أعزام إبراهيم:**غصن البان في تاريخ وارجلان**،تح: إبراهيم بحاز،سليمان بومعقل،مطبعة العالمية ،غرداية الجزائر،ط1،2013.

4–أمادو جبريل أمادو:**العلاقات العربية الإفريقية الواقع والتحديات وأفاق المستقبل**،معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة،مصر،2007.

5–باري محمد فاضل على ، كريدية سعيد:**المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة**،دار الكتب العلمية، لبنان،ط1،2007

6–بحاز إبراهيم: **الدولة الرستمية (160–296هـ/777–909م)**، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، منشورات ألفا، الجزائر، 2010.

7–بشار أكرم الملاح:**التحولات التي أحدثها الإسلام في المجتمع الإفريقي**،دار غيداء للنشر،ط1،2013.

8–بشاري لطيفة:**العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد (7–10هـ/13–16)**، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف،الجزائر،2011.

9–بشير عبد الرحمان: **اليهود في المغرب العربي(462.22 هـ/1070.642م)**، عين للدراسات والبحوث الإسلامية،مصر، ط1،2001.

10–بكاي منصف:**أضواء على تاريخ إفريقيا**،دار السبيل للنشر،الجزائر،ط1،2009،ص 67.

11–بلحميسي مولاي: **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للتوزيع، الجزائر ،ط2، 1981م.

12–بن بكير يوسف الحاج سعيد:**تاريخ بني ميزاب دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية**،المطبعة الشعبية للجيش ، الجزائر،2007.

13-بن خروف عمار:**العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن10هـ /16م** ، دار الأمل للطباعة والنشر، الجزائر،2008.

14-بن موسى جميلة:**تجارة الذهب بين المغرب الإسلامي والسودان الغربي من القرن 9م إلى 11م**، منشورات بلوتو ،قسنطينة الجزائر،ط1،2011.

15-بن يوسف سليمان بن الحاج داوود:**ثورة أبي يزيد جهاد لإعلاء كلمة الله**،دار البعث،قسنطينة الجزائر،ط1، 1981.

16-بوحوش عمار:**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان ،ط1،1997.

17-بورويبة رشيد وآخرون:**الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984.

18-ـــــــــــــــ:**الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،1977.

19-بوسليم صالح:**إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 18و19الميلاديين**،المطبعة العالمية،غرداية، الجزائر،ط1، 2015.

20-بوعتروس أحمد:**الحركات الإصلاحية في إفريقيا جنوب الصحراء إبان القرن الثالث 13هـ/19م**،دار الهدى للنشر،الجزائر، 2009.

21-بوعزيز يحي: **مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية**،دار البصائر للنشر،الجزائر،2009.

22-ـــــــــــ:**الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا وآسيا وجزر المحيطات**،عالم المعرفة للنشر، الجزائر ،2009.

23-ـــــــــــ:**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن16إلى نهاية القرن18**،عالم المعرفة للنشر، الجزائر،2009.

24-ـــــــــــ:**ثورات الجزائرفي القرنين التاسع عشر والعشرين**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد،الجزائر ،ط2، ج1.

25-ـــــــــــ:**كفاح الجزائر من خلال الوثائق**،عالم المعرفة للنشر،الجزائر،2009.

26-بوعصبانة عمر سليمان: **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان ورقلة من نهاية الدولة الرستمية إلى زوال سدراته (296-626هـ/909-1229م)**،دار غرناطة ،الجزائر،2010.

27-بومعقل سليمان وآخرون:**سدراتة**،م،ث،و،ص وجمعية القصر للثقافة والإصلاح،2010.

28-بومهلة التواتي:**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837-1934**،دار المعرفة للنشر،الجزائر،2012.

29-ترمانيني عبد السلام:**الرق ماضيه وحاضره**،سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع23.

30-جلال يحي:**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،المكتب الجامعي الحديث،مصر،1999.

31-جمعة علي:**المكاييل والموازين الشرعية**،القدس للنشر والتوزيع،مصر،ط2،2001 .

32-الجمل شوقي عطا لله ، إبراهيم عبد الله عبد الرزاق: **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**،دار الزهراء للنشر، الرياض،السعودية، ط2، 2002.

33-الجمل شوقي عطاالله:**المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا-تونس-الجزائر-المغرب)** ،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،ط1،1977.

34-جودت عبد الكريم يوسف:**العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1984.

35-الحريري محمد عيسى: **الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقاتها الخارجية بالمغرب والأندلس (160-296هـ)** ،دار القلم،مصر،ط3،1987.

36-حسن إبراهيم حسن:**انتشار الإسلام في القارة الإفريقية**،مكتبة النهضة المصرية،مصر،ط3،1984.

37-حليمي عبد القادر: **جغرافية الجزائر (طبيعية،بشرية،اقتصادية)**،المطبعة العربية،الجزائر، ط1، 1968.

38-حوتية محمد الصالح:**توات والأزواد،خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة(الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية**،دار الكتاب العربي،الجزائر،2007،ج1.

39-ـــــــــــــ:**آل كنتة(دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية في القرنين12-13هـ/18-19م)** ، دار الكتاب العربي، الجزائر،ط1، 2008

40-الدالي الهادي المبروك: **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر الى بداية القرن الثامن عشر**، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة،مصر ،ط1، 1999، ص284.

41-دبوز محمد علي:**تاريخ المغرب الكبير**،مؤسسة تاوالت الثقافية،ليبيا،2010،ج.3

42-دندش عصمت عبد اللطيف:**دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430.515هـ /1038 .1121 م) مع نشر وتحقيق رسائل أبي بكر العربي ،دار الغرب الإسلامي** ، لبنان،ط1، 1988.

43-ذهني إلهام محمد علي:**جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار(1850م-1914م)** ،دار المريخ للنشر،السعودية،1988.

44-الرزاق محمود إسماعيل عبد:**الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة،المغرب ، ط2، 1985.

45-زبادية عبد القادر:: **مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين (1493-1591م)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

46-ـــــــــــ:**الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الإسلامية جنوب الصحراء**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1989.

47-زغلول سعد: **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال**، شركة الجلال للطباعة،مصر

48-زوزو عبد الحميد:**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900**،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2009.

49-ـــــــــــ:**محطات في تاريخ الجزائر دراسات في الحركة الوطنية والثورة التحريرية على ضوء وثائق جديدة** ،دار هومة،الجزائر ،2011.

50-زيادة نقولا:إفريقيات،**دراسات في المغرب العربي والسودان الغربي**،رياض الريس للنشر،لندن،ط1،1991.

51-السائح عبد الله بن جيلالي:**صفحات من تاريخ ورقلة مند أقدم العصور حتى الاحتلال الفرنسي**،الآمال للطباعة،الجزائر، ط1، 2010.

52-السجستاني أبي حاتم:**كتاب النخلة**،تح:حاتم صالح الضامن،دار البشائر الإسلامية،لبنان،ط1،2002.

53-سعد الله أبو القاسم:**تاريخ الجزائر الثقافي1830-1954**،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان ،ط2 ،2005،ج6.

54-ـــــــــــ:**مجموع رحلات (رحلة ابن الدين الأغواطي)**،المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011.

55-ـــــــــــــــــ: **الحركة الوطنية الجزائرية(1830-1900)**،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، لبنان ، ط1 ،1992 ،ج1.

56-ـــــــــــــــــ:**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي،لبنان،ط2، 1990 ،ج2،5.

57-سعيدوني ناصر الدين: **ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)**، دار الغرب الإسلامي، لبنان،ط1، 2000م .

58-ـــــــــــــــــ :**النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني(1792-**1830)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، ط2،1985.

59-شارن شافية: **الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م،طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر ،2007.

60-الشكري أحمد:**الإسلام والمجتمع السوداني.إمبراطورية مالي(1230-1430)**،المجمع الثقافي، الإمارات، ط1، 1999.

61-شنيتي محمد بشير:**صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي**،دار البيارق،الأردن،ط1، 1998

62-ـــــــــــــــــ:**الجزائر في ظل الاحتلال الروماني،بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس الموريطاني) ومقاومة المور** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1999، ج1.

63-شيت خطاب محمد:**قادة فتح المغرب العربي**،دار الفكر ،لبنان،ط8،2002،ج1.

64-الصلابي محمد علي:**دولة الموحدين**،دار البيارق للنشر،الأردن،1998.

65-عبد الرزاق محمود إسماعيل:**الخوارج في بلاد المغرب حتى النصف الثاني من القرن الرابع الهجري**،دار الثقافة،المغرب، ط2 ،1985م .

66-عثمان شوقي عبد القوي:**التجارة بين مصر و إفريقيا في عصر المماليك**،المجلس الأعلى للثقافة،مصر ،2000

67-العربي إسماعيل:**الصحراء الكبرى وشواطئها** ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1983.

68-علوي حسن حافظي:**سجلماسة وأقاليمها في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي**،مطبعة فضالة، المغرب ،1997.

69-عميراوي احميدة :**موضوعات من تاريخ الجزائر السياسي**،دار الهدى للنشر،عين مليلة،الجزائر،2004.

70-ـــــــــــ:**من تاريخ الجزائر الحديث**،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر،ط2، 2009.

71- ـــــــــــ:**من الملتقيات التاريخية الجزائرية**،دار الهدى للطباعة والنشر،الجزائر،ط2،2007.

72-عميراوي احميدة وآخرون:**السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية 1844-**1916،دار الهدى للنشر،عين مليلة، الجزائر، 2009.

73-ـــــــــــــــــــ:**آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري(1830-1954)** ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م ،2007.

74-عيسى الذيب وآخرون:**الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر خلال العصر الوسيط**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م، دار القصبة للنشر ،الجزائر،2007.

75-غانم محمد الصغير:**مقالات وآراء في تاريخ الجزائر القديم**، دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر، 2010،ج2.

76-فرج محمود فرج:**إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي**،الجزائر،1977.

77-فركوس صالح:**المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814م.1962م)**، دار العلوم للنشر ، الجزائر،2003.

78-الفيتوري عطية مخزوم:**دراسات في تاريخ شرق إفريقيا وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)**،دار الكتب الوطنية،بنغازي ليبيا،ط1،1998.

79-قداح نعيم: **إفريقيا الغربية في ظل الإسلام**،مراجعة:عمر الحكيم،مكتبة أطلس،دمشق،سوريا.

80-القشاط محمد سعيد:**صحراء العرب الكبرى**،دار الرواد للنشر،ليبيا،ط1،1994.

81-الكحلوت عبد العزيز:**التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء**،منشورات كلية الدعوة الإسلامية،ليبيا،ط2 ،1992 .

82-كواتي مسعود:**اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين** ،دار هومة،الجزائر ،ط2،2009.

83-لعوامر إبراهيم محمد الساسي:**الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**،تع:الجيلاني بن إبراهيم العوامر، منشورات ثالة، الجزائر 2007.

84-لقبال موسى: **الحسبة المذهبية ببلاد المغرب العربي (نشأتها وتطورها)**،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، ط1،1971.

85-المبروك يونس محمد:**موضوعات من التاريخ العربي الإفريقي**،اللجنة الشعبية العامة للثقافة والإعلام،دار الكتب الوطنية،بنغازي ،ليبيا،ط1 ، 2007.

86-المدني أحمد توفيق:**هذه هي الجزائر**،مكتبة النهضة المصرية،مصر،2001.

87-ـــــــــــــ:**أبطال المقاومة الجزائرية** ، دار البصائر، الجزائر، 2009.

88-مزهودي مسعود: **الإباضية في المغرب الأوسط**، نشر جمعية التراث،غرداية،الجزائر، 1996، ص163.

89-مزيان سعيدي:**النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892**،دار الشروق للطباعة والنشر،الجزائر، ط1،2009.

90-معيوف مفتاح صلاح:**جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف القرن 2هـ إلى أواخر القرن3هـ**، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،ليبيا،2006.

91-مقدم مبروك:**الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية في إفريقيا الغربية خلال القرن 9هـ/15م**،دار الغرب للنشر ،وهران الجزائر.

92-المنجد صلاح الدين:**مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين**،دار الكتاب الجديد،بيروت،لبنان،ط2، 1982.

93-موسى عز الدين عمر أحمد: **دراسات إسلامية غرب افريقية** ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان ،ط2، 2003.

94-ـــــــــــــــ:**دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي**،دار الشروق،مصر،ط1،1983.

95-موهوبي عبد القادر: **ومضات تاريخية واجتماعية لمدن وادي ريغ ووادي ميزاب وورقلة والطيبات والعلية والحجيرة**، دار البصائر، الجزائر،2011.

96-مياسي إبراهيم:**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية1837-1934**،دار هومة،الجزائر ،2012 .

97-ـــــــــــ : **مقاربات في تاريخ الجزائر 1830-1962**،دار هومة للنشر،الجزائر.

98-ـــــــــــ: **توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري(1881-1912)**،منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1990.

99-الميلي مبارك :**تاريخ الجزائر في القديم والحديث**،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ج2.

100-نجاح عبد الحميد:**منطقة ورقلة وتقرت وضواحيها من مقاومة الاحتلال إلى الاستقلال**،دار الآمال للطباعة ،الجزائر.

101-النوري حمو عيسى:**دور الميزابيين في تاريخ الجزائر قديما وحديثا** ،دار البعث،قسنطينة، الجزائر، ج1.

102-هريدي فرغلي علي تسن:**تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر(الكشوف-الاستعمار-الاستقلال)**، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، مصر،ط2008،1.

103-وعلي محمد الطاهر:**التعليم التبشيري في الجزائرمن1830إلى 1900**،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2013.

104-ولد أيدة أحمد مولود :**الصحراء الكبرى مدن وقصور**،ج1،دار المعرفة،الجزائر،2009.

ب-الأجنبية:

1-Amat Charles :**Le Mzab et les Mozabites**,challamel et cie editeurs,paris,1888.

2-Armagnac. D:**Le Mzab et les Pays Chaamba**,edition Baconnier4,paris,1934.

3-Brigole Madeleine Rovilois : **Le pays de Ouargla** (sahara Algerien),paris 1975.

4-Caillé René:**voyage d'une faux Musulman a travers l'Afrique Tomboctou le Niger**,**Jenné et le Désert**,limoges engène ardant et c,éditeurs.

5-Cauneille .A:**Les Chaanba leur nomadisme**,paris.1968.

6-Delheure.J :**vivre et morir a ouargla**.paris1988.

7-Flandrin. J :**Monographies régionales**,**Les chaines atlasique et la bordure Nord du Sahara Aperçu d'ensemble**,

8-Gautier E.F :Le **Sahara**,Paris,1928.

9-Gouvernement général de l'Afrique occidental Francaise :**Notice sur la région de Tombouctou**,Saint Louis imprimerie,1896

10-Jardon Maurice :**Ouargla**, tradition: J.Delheure,Algérie,1970.

11-Lenz Oskar:**Tombouctou Voyage au Maroc au Sahara et au Soudan**, tra :Pierre Lehautcourt, librairie Hachbtb et Gie , Paris,1886.

12-Lethielleux Jean : **Ouargla cité Sahariennes au début du xxe siècle**, Paris, 1984.

13-Mauroy:**Du commerce des peuples de l'Afrique septentrionale**, paris, 1845.

14-Pillet Denys: **Histoire de Ouargla essai de chronologie**, Ouargla,2011.

15-Romey Alain:**Histoire toponymie et tradition orale d'une oasis arabo-berbere** :**Ngoussa**,1974.

16-Rozet et Carette :**l'Algérie**,paris,1850

ج-المعرّبة:

1-أرلوند توماس:**الدعوة إلى الإسلام،بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية**،تر:حسن إبراهيم حسن وآخرون ،مكتبة النهضة المصرية،مصر،1971.

2-برناديت سافيلي:**ماقبل التاريخ في ورقلة**،تر:ح.زعطرط،هـ.دادان، ،ورقلة،الجزائر،2011.

3-بوفيل:**تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير**،تر:الهادي أبو لقمة،محمد عزيز،منشورات جامعة قاريونس،ليبيا،ط1988،2.

4-بيلي دنيس:**لام ألف بورقلة**،تر: الشيخ صالح، ورقلة،الجزائر،2010.

5-بيلي دنيس:**معالم تاريخ ورقلة1872-1992**،تر:علي إيدير،ورقلة ،1995.

6-تشايجي عبد الرحمان: **الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى**،تر:علي اعزايزي، مراجعة محمد الأسطي ، تقديم محمد الطاهر الجراري،دار الكتاب للنشر،ليبيا،ط2، 1993.

7-جاكو فليكس:**حملة الجنرال كافينياك في الصحراء الجزائرية أفريل-ماي 1847**،تر: حليمي بابوش،دار الرائد للكتاب،الجزائر،2013،

8-رودني والتر:**أوروبا والتخلف في أفريقيا**،تر:أحمد القصير،مراجعة ابراهيم عثمان،سلسلة عالم المعرفة، ع132،1988.

9-سامح عزيز ألتر:**الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية**،تر:محمود علي عامر،دار النهضة العربية، لبنان، ط1،1989.

10-كربخال مارمول:**إفريقيا**،تر: محمد حجي وآخرون،دار المعرفة للنشر،المغرب، 1998،ج3.

11-ليفيتسكي تادايوش:**دراسات شمال افريقيا**،تر:أحمد بومزقو،منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية،ليبيا، 2005،ج1.

12-نيابي ج.ت:**تاريخ إفريقيا العام(إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر)**،المطبعة الكاتوليكية، لبنان، 1998، مج4.

13-هوبكنز أ.ج.: **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، تق:محمد عبد الغنى سعودي ،تر: أحمد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر،1998.

14-يانيكار ك مادهو:**الوثنية والإسلام تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا**،تر وتح:أحمد فؤاد بلبع،المجلس الأعلى للثقافة،مصر، ط2.

ثالثا: المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية:

1- ابن صغير حاضري يمينة: **قصري تقرت وتماسين خلال فترة حكم بني جلاب (9-13هـ/15-19م)**، دراسة تاريخية أثرية،إشراف: علي حملاوي ،جامعة الجزائر،(قسم الآثار)،2001.2000.

2- بن عمر حاج عيسى إلياس: **مدينة وارجلان دراسة في النشاط الاقتصادي والحياة الفكرية (04-10هـ/10-16م)**، مذكرة ماجستير، إشراف: عبد العزيز لعرج،جامعة الجزائر،(قسم التاريخ)، 2009/2008م،ص59.

3- بيشي محمد عبد الحليم:**تطور الثورة الجزائرية في ناحية غارداية(1374-1382هـ/1954-1962م)**،مذكرة ماجستير، إشراف :شاوشي حباسي،جامعة الجزائر (قسم التاريخ)،2002.2001 .

4- جنيدي عبد الحميد:**مدينة تنبكتو ودورها الحضاري خلال القرن10هـ/16م**،مذكرة ماجستير تحت إشراف د.عبد القادر زبادية،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2008-2009.

5- حساني عثمان:**الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للصحراء الجزائرية من خلال تقارير الأجانب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**،مذكرة ماجستير،إش: بن يوسف تلمساني،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2006-2007.

6- ذكار أحمد:**حاضرة وارجلان وعلاقاتها التجارية بالسودان الغربي (1591-1883م)**، مذكرة ماجستير تحت إشراف د. محمد حوتية،جامعة أدرار (قسم التاريخ)، 2009-2010م.

7- شافو رضوان:(**الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة أنموذجا1844-1962**،أطروحة دكتوراه،إشراف د.بن يوسف تلمساني،جامعة الجزائر(قسم التاريخ)،2011-2012.

8- ـــــــــ:**مقاومة منطقة تقرت وجوارها للاستعمار الفرنسي (1852-1875م)**،مذكرة ماجستير ،إشراف: أبو القاسم سعد الله،جامعة الجزائر (قسم التاريخ)،2006-2007.

9- مقري سامية:**التعليم عند الإباضية في بلاد المغرب من سقوط الدولة الرستمية إلى تأسيس نظام العزابة ((296-409 هـ/909-1018م)**،مذكرة ماجستير،إشراف:بوبة مجاني،جامعة منتوري قسنطينة،(قسم التاريخ والآثار)،2005-2006.

رابعا:مقالات المجلات و الملتقيات والدوريات:

أ-العربية:

1-أبو أسعد عبد السلام:**العلاقات الثقافية بين الشعوب الإفريقية وأثر الإسلام واللغة العربية في ترسيخها،** ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس ،ليبيا،1999 .

2-ألارو عبد الرزاق عبد المجيد:**التنصير في إفريقيا**،مجلة دعوة الحق ،الإدارة العامة للثقافة والنشر،رابطة العالم الإسلامي، السعودية، 2008، ع227.

3-بلحميسي مولاي: **ورقلة من خلال النصوص الأجنبية**،مجلة الأصالة، ع41،مطبعة البعث،قسنطينة، الجزائر، 1977.

4-بلعربي خالد:**تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط**،مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15،جامعة غرداية،2011.

5-بن اصغير حاضري يمينة: **الحركة التجارية بالجنوب الشرقي الجزائري**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع16،جامعة غرداية.

6-بن معمر محمد:**علاقة السنوسية بثورة الشريف محمد بن عبد الله**،ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة(1842-1895)،ورقلة 25-27فيفري 1998.

7-بوباية عبد القادر:**دور الرحالة والمستكشفين في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1827-1877)**،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة ،فيفري1999.

8-بوسعد الطيب: **الصحراء الجنوبية الشرقية من خلال المصادر الجغرافية الإسلامية وكتب الرحلات المغربية خلال العهد العثماني (وادي ريغ أنمودجا)**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع15، جامعة غرداية،2011 .

9-البوعبدلي المهدي:**لمحات من دور الدولة الرستمية في ميادين الفكر والثقافة**، مجلة الأصالة، ع41، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1977.

10-بوعزيز يحي:**أضواء على كفاح الشريف بوشوشة**،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة فيفري 1999..

11-ـــــــــــ:**وثيقتان جديدتان عن كفاح الشريف محمد بن عبد الله**،مجلة الثقافة،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،جوان 1976، ع33.

12-البيلي محمد بركات:**مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان الغربي في العصر الإسلامي** ، مجلة المؤرخ المصري، جانفي 1889، ع3.

13-تلمساني بن يوسف:**دراسة وصفية اجتماعية لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي** ،مقال بملتقى حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة ،مديرية الثقافة ورقلة،1999.

15-ثورة الشريف محمد بن التومي (بوشوشة)،إعداد مصلحة البحوث والأرشيف،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة ،فيفري1999،ص20.

16-حجيدر عمار:**واحة غدامس منطلقا للتواصل الثقافي بين ليبيا وجنوب الصحراء(ملاحظات أولية من خلال مخطوط تذكير الناسي)**، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس 1999،ليبيا.

17-حسين محمد:**أهمية التاريخ والثورات الشعبية بالجنوب**،ثورة الشريف محمد بن عبد الله بورقلة (1842-1895)،ملتقى مقاومة الشريف محمد بن عبد الله (1842-1895)،ورقلة 25-27فيفري1998.

18-الحلوي عبد العزيز:**الأحوال الاجتماعية لسكان الصحراء الكبرى والسودان الغربي من خلال كتب بعض الرحلات**، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة،منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس 1999،ليبيا.

19-حوتية محمد:**توات والقوافل التجارية**، مجلة طريق القوافل ،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر،2001.

20-الختلان سعد بن حمد: **دور التجار المسلمين في رواج التجارة بين بلاد المغرب والسودان الغربي فيما بين القرنيين الثالث والخامس الهجريين** ،مجلة جامعة الملك عبد العزيز،الآداب والعلوم الإنسانية، ع5،1992.

21-خياط سليم:**إزدواجية مكانة الرجل الأسود عبر تقديرات الأصناف السوسيولسانية**،مجلة طريق القوافل،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر2001م.

22-الراجي خديجة: **التجارة الصحراوية توابت ومتغيرات** ،مقال بكتاب مدخل إلى تاريخ الصحراء الأطلنتية، تنسيق :رحال بوبريك ،دار أبي الرقراق للنشر،المغرب،2010.

23-الرياصي مفتاح يونس:**ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم والبرنو في العصور الوسطى** ، مجلة الساتل، جامعة 7أكتوبر، ليبيا.

24-رمضان رابح: **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي** ،الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 13-12هـ/19-18م من خلال المصادر المحلية،جامعة الوادي ،يومي:24.25جانفي 2012.

25-زبادية عبد القادر: **ورقلة عروس مدائن الجنوب**،مجلة الأصالة، دار البعث للنشر، قسنطينة،الجزائر، ع41،1977.

26-زنبير محمد: **تجارة القوافل في المغرب**،مقال ضمن كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية،بغداد1404هـ/1984.

27-سعيدوني ناصر الدين:الوضع في ورقلة خلال العهد العثماني،مجلةالأصالة، ع41، مطبعة البعث،قسنطينة، الجزائر ،1977.

28-السوري صلاح الدين حسن:**العلاقات بين ليبيا وشعوب الصحراء في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين من خلال بعض الوثائق العثمانية**،ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة: عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس، ليبيا، 1999.

29-شافو رضوان:**الاحتلال الفرنسي لمنطقة ورقلة (قراءة في الدوافع والعراقيل)**،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة حمة لخضر واد سوف، ع2،ديسمبر2011.

30-شرف الدين أحمد رضوان:**الاحتلال والاستعمار الزراعي من خلال كتاب...**،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية، مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة،فيفري1999.

31-شلبي شهرزاد:**الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية**، مجلة كان التاريخية،2011، ع11.

32-شنيتي محمد بشير: **التوسع الروماني نحو الجنوب وآثاره الاقتصادية والاجتماعية** ، مجلة الأصالة، ع41، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1977.

33-الطيبي أمين توفيق:**أثر الإسلام الحضاري في غانة ومالي في العصر الوسيط(القرن10 إلى القرن 14م)** ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م) مراجعة عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات الدعوة الإسلامية، طرابلس،ليبيا، 1999.

34-عباس إحسان:**مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد**،مجلة الأصالة ،دار البعث،قسنطينة، الجزائر، ع41 ، 1977.

35-العماري الحسن:**العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي بداية العصر الحديث من خلال كتاب "وصف أفريقيا"**، دورية كان التاريخية، ع9، 2010.

36-عوض الله الشيخ الأمين: **تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية حتى القرن السادس عشر الميلادي**،(كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،معهد البحوث والدراسات العربية،بغداد1404هـ/1984.

37-غرايسة عمار: **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية وارجلان أنموذجا**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، ع15،2011.

38-الغزالي علي كسار الغدير:**الجذور والأصول التاريخية لسكان بلاد المغرب القديم وموقفهم من السيطرة البيزنطية قبيل الفتح الإسلامي لها**،مجلة كلية الإسلامية،النجف العراق،2012.

39-قويدر بشار: **القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجارة وآثارها)**، مجلة طريق القوافل ،المركز الوطني للبحث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر،2001م.

40-الكرباسي باقر محمد جعفر:**النقود والمكاييل والأوزان في المعجمات العربية**،مجلة مركز دراسات الكوفة، ع6، 2007.

41-كريم عبد عباس: **الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي** ،مجلة كلية التربية الأساسية،جامعة بابل،العراق، ع4, 2010م .

42-لونيسي إبراهيم:**أهمية الصحراء في إستراتيجية الاستعمار الفرنسي**،ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية،مقاومة الشريف بوشوشة،ورقلة،فيفري1999.

43-الماحي عمر عبد الرحمان:**مساهمة قوافل الصحراء في نشر الإسلام والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط**، مجلة طريق القوافل،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر ،2001 .

44-محمود محمد: **العلاقة الثقافية بين السكان في شمال وجنوب الصحراء الكبرى**، مقال ضمن ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء(12. 14 ماي 1998م)،مراجعة عبد الحميد عبدالله الهرامة،منشورات الدعوة الإسلامية،طرابلس، 1999.

45-مديني بشير: **تقرير الولاية العامة الفرنسية بالجزائر حول احتلال ورقلة** ،مصلحة الشؤون العربية 1885، مقال من ملتقى التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية مقاومة الشريف بوشوشة مديرية الثقافة لورقلة،2000.

46-مريوش أحمد:**التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار1916**،مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954م،الجزائر،2005، ع11.

47-مياسي إبراهيم:**الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية**،مجلة طريق القوافل،المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ،الجزائر2001.

48-يوسف راضية:**التفاعل الحضاري في إفريقيا**،مجلة إفريقيا قارتنا ،2013، ع4.

ب-الأجنبية:

1-Adu Boahen.A :**The Caravan Trade in the Nineteenth Century**,The Jornal of African History ,Vol 3,1961.

2-Baduel Pierre Robert:j.j perennes :**structures agraires et décolonisation de l'oued R'hir** (**Algérie**) ,Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée,vol30, 1980.

3-Berchem Marguerite van :**Sadrata**,Ars Orientalis,vol 1,1954.

4- Blauchet.P : **l'Oasis et le pays de Ouargla**, annales de géographie ,vol 9.

5-Délafosse Mourice :**Les relations du Maroc avec le Soudan à travers les âges**, R.H,vol4,1924.

6-E.rouard de Card traités : **De la France avec les pays de l'Afrique du nord**, pédone, editeur,1906.

7-Féraud Charles :**Notes historiques sur la province de Constantine Ouargla**, Revue Africaine, Vol 30,1886.

8-Féraud Charles :**Pointes de flèches en silex de Ouargla**, Revue Africaine ,vol 16 ,1872.

9-Feraud Charles:**Les bani Djellab sultans de Touggourt**.**notes historiques sur la province de constantine**, Revue Africaine,n 23,1879.

10-Gognalons.L: **Fêtes principales des sédentaires d'Ouargla**(**Rouagha**), Revue Africaine , Vol 51,1909.

11-Gouvernement Général de l'Algérie :« **Notes pour Servir a l'Historique d'Ouargla 1885**» Revue Africaine,Vol64,1923.

12-Haarmann Ulrich :**The dead ostrich life and trade in Ghdames**(**Libya**) **in the nineteenth centry**,die.welt des Islams,news series,vol 38,1998.

13-Le Chatellier (Capitaine d'infanterie) :**Les medaganat**, Revue Africaine, n30 , 1886.

14-Le gouverneur général d'Alger :**Notes pour servir a l'histoire de Ouargla** ,Revue Africaine, n64,1923

رابعا: الموسوعات والمعاجم العربية.

1-أبو خليل شوقي: **أطلس التاريخ العربي الإسلامي**،دار الفكر،سوريا،2008.

2-ـــــــــــــ:**أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية** ،دار الفكر،دمشق سوريا،2009.

3-بحاز إبراهيم وآخرون:**معجم أعلام الإباضية.من القرن 1ه إلى15ه،قسم المغرب**،نشر جمعية التراث،غرداية الجزائر، 1999 ،ج4.

4-بن نعمية عبد المجيد وآخرون:**موسوعة أعلام الجزائر(1830-1954)**،منشورات م،و،د،ب،ح،و،ث،أ،ن الحركة الوطنية 1954الجزائر،2007.

5-حساني مختار:**موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية، مدن الجنوب**، دار الحكمة للنشر ،الجزائر، 2007م، ج2.

6-الشيخ أبو عمران وآخرون:**معجم مشاهير المغاربة**،منشورات دحلب،الجزائر،2007.

7- قطش الهادي،إدريس عبد الرحمان أحمد:**أطلس الجزائر والعالم**،دار الهدى للنشر،عين مليلة،الجزائر،2013.

8- القشّاط محمد سعيد:**أعلام من الصحراء**،دار الملتقى للطباعة والنشر،لبنان، ط1، 1997.

9-**المنجد الأبجدي**،دار المشرق للنشر،بيروت،لبنان،ط 1، 1967.

9-موهوبي عبد القادر:**معجم الصفوة**،تين وزيتون للنشر،الجزائر،2012م، ج1.

10-نويهض عادل:**معجم أعلام الجزائر،من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**،مؤسسة نويهض للنشر،لبنان،ط2،1980

خامسا:المقالات الإلكترونية.

1-إبراهيم عبد الله عبد الرزاق:**دور تمبكتو الجغرافي والاقتصادي في التجارة الصحراوية**،مقال بموقع منارات افريقية، http://www.islam4africa.net/ar/more.php?cat_id=18&art_id=138 أطلع عليه بتاريخ 18جويلية2015 على الساعة09:45.

2-الجمل شوقي عطاالله:**التجارة بين شمال افريقيا وغربها وأثرها في انتشار الإسلام والحضارة العربية الإسلامية في هذه البلاد**،مقال بموقع salehkamel.net أطلع عليه بتاريخ 2015/09/21 على الساعة18:55.

3-نبذة عن تاريخ تافيلالت ،http://www.oasistafilalet.ma/ar/main.php?id=113 اطلع عليه يوم2015/08/05م. على الساعة 14:25

الفـــهـــارس

أ–فهرس الأعلام:

إبراهيم أعزام	17، 23، 50، 135، 137
إبراهيم بن الساسي العوامر	11
ابن الدين الأغواطي	55، 59،119
ابن بطوطة	62، 69، 70، 85، 87، 92،
ابن حوقل	64، 68،
ابن سعيد المغربي	10 ،38 ،72
أبو القاسم يزيد بن مخلد الوسياني	26
أبو بكر بن الحاكم	114
أبو بكر بن حمزة ولد سيدي الشيخ	109
أبو حفص بن بابية	105.103
أبو زكرياء بن عبد الواحد الحفصي	30
أبو صالح جنون بن يمريان	22، 24، 40
أبو عمار عبد الكافي بن أبي يعقوب	35
أبو يعقوب يوسف بن محمد التناوتي	35
ابوحفص بن أحمدبن بابية	103، 105
أبي الخير الشطي	50
أبي خزر	26
أبي زكرياء الوسياني	26
أبي عبد الله محمد بن بكر	35، 36، 40

الفرسطائي	
أبي عبيد البكري	11، 84، 67، 119
أبي عبيد الله الشيعي	22، 44
أبي يزيد مخلد بن كيداد	24، 25، 26، 43
أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم	28
أحمد بن بابية	103، 105
أحمد بن سالم	108
أدريان بروبرجر	121
الإدريسي	38، 64، 65، 73، 89، 95
استرابون	18
إسحاق الميورقي(ابن غانية)	28، 43
اسماعيل المنصور	25
أفريقش بن قيس بن صفي	42
ألان رومي	15
الأمير حماد	27
الأمير عبد القادر	117
أوغست شوازي	122، 130
أوغستين	117
باجول	122
بارال	108
بافي	127
بر بن قيس عيلان	42
بطليموس	19
بعج بن قدور	113
بلكين بن زيري	26

بن إدريس بن قانة	106
بن الناصر بن شهرة	،107، 108، 109، 110، 111، 112
بوشمال بن قبي	111
بوفيل	96
بول سولاييه	11، 121
بول ليروا بوليو	115
بولخراس بن قانة	112
بونمان	120
ترومليي	122
جول فيري	133
جون ليتيو	12
جيرهارد رولفس	121
الحاج جابور	125
الحداد	109،112
الحسن الوزان	11، 73، 78، 85، 87، 91، 119، 17
حليمة السعدية	104
الدرجيني	11، 36
الدرعي	119
دنيس بيلي	128
دوباراي	124
دوبونشال	130
دوق مالاكوف	134
دوماس	11، 59، 121
دييبش	126
ديرپو	105، 108

ديغول	118
الدين بن يحي	108
راندون	123، 124
رشيد بورويبة	23
رودير	131، 132
روني كاييه	119
الزبير بن سيدي الشيخ	105، 108، 112
زهير بن قيس البلوي	20
زيروش	111
سالم بن الشراير	113
سعيد بن إدريس	112، 113
سليمان بن جلاب	107، 108
سيد أحمد البكاي	143
سيدي خويلد	51
شارل فيرو	18، 123
شارل لافيجري	127
الشيخ ايخنوخن	125، 126
الشيخ بوعمامة	128
الشيخ عثمان	125
صالح رايس	31، 32
الضابط لابي	140
عاصم السدراتي	86
عاصم السدراتي	35، 88
عبد الرحمان الجيلالي	23
عبد الرحمان السعدي	84

عبد الرحمان بن الحجاب	67
عبد الرحمان بن خلدون	10، 12، 42، 45، 65، 119
عبد الرحمان بن رستم	21
عبد العزيز سالم	23
عبد القادر بن جلاب	107
عبد الله المهدي	25
عقبة بن نافع الفهري	20، 44
علي باي بن بوعكاز	110، 111
عمار الحاج	125
العياشي(الرحالة)	10 ،34، 49، 55، 72، 75، 83، 92، 119
العيتروسي	28
فاطمة بنت جلول	112
فرديناند دوليسيبس	120، 131، 132، 133
الفضل بن علي بن مزني	29
فكتور لارجو	11، 12، 80، 122
فلاترس	78، 122، 131
القلقشندي	95
كارات	75
كنبر	84
كولومييه	106
لاكروا	106
لوشاتولي	135، 137، 140
ليبير	112
مادلين روفيلواز بريقول	.11
مارغريت فان برشم	11، 23

الماريشال سولت	115
محمد التومي بوشوشة	106، 109، 110، 111، 112، 113، 114
محمد الصغير التيجاني	111
محمد بن عبد الله	105، 107، 108، 109، 123، 141
محمد بن علي السنوسي	106
محمود إسماعيل عبد الرزاق	56
محمود كعت	86
مسعود مزهودي	19
مسعود ميموني	58
المعز لدين الله الفاطمي	26
معطالله بوظفر	113، 114
المقراني	109، 112
المقري التلمساني	67
مناد بن عبد الله	27
المنصور بن بلكين بن زيري	26
المنصور بن ناصر علناس	27
مورو	68
موري	116
موريس جاردن	58
مولاي الذهبي	102
مولاي الطيب اولاد علاهم	105
مولاي سليمان	102
مولاي عبد القادر	102
مولاي علاهم	31
مولاي علي	102

مولاي موسى الفيلالي	30
نابليون الثالث	116، 134
النعيمي ولد سيدي الشيخ	108
نيقو	108
هنري بارث	82، 143
هنري دوفيري	120، 132
هيريدوت	18، 41
ياقوت الحموي	11، 55، 80
يعقوب المنصور	43
يعقوب بن أفلح(الإمام)	22، 24 ، 35
يوسف باشا	32
يوسف بن عبد المومن	28

ب–فهرس الأماكن والبلدان:

أحير	73، 78، 88
أدرار	114
أركلى	11
إسبانيا	143
أسفي	20
آسيا	116
اعجاجة	50، 59
أغادس	72، 78، 86، 87
الأغواط	43، 105، 108، 109، 130،
إفريقيا	11، 38، 41، 33، 63، 72، 115، 117، 127، 138، 145

إفريقيا الاستوائية	117
إفريقيا الرومانية	19
إفريقيا السوداء	115
إفريقيا ما وراء الصحراء	10، 73، 82
إفريقية	25، 29، 47، 55، 72، 89
بورنو	81، 82، 29، 144
إليزي	13
أمريكا الجنوبية	143
أمقيد	78
أنبارة	84
انجلترا	130
الأندلس	26
أودغشت	67
الأوراس	25، 43، 107، 127، 132
أوروبا	72، 74، 85، 88، 91، 97، 116، 118، 126، 145
أولاد نائل	132
إيطاليا	32، 93، 142
ايفراون	78
ايولاتن	62
باتنة	120
باريس	125، 127، 132
باغاي	26
بامنديل	17، 51، 129
بجاية	10، 27، 30، 77
البحر الأحمر	118

البحر المتوسط	118
البرتغال	143
برقة	43
بريزينة	108
بريطانيا	115، 117 ،118، 143
بسكرة	13 ،19، 20 ،25، 82 ،111 ،121 ،127، 128، 130، 131، 140، 141، 144
بلاد الأبير	126
بلاد الجريد	11، 34، 77، 108، 120، 132، 142
بلاد السودان (السودان الغربي)	20، 23، 29، 31، 33، 36، 38، 39، 47، 48، 55، 56، 61، 63، 65، 66، 68، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 79، 82، 84، 86،87، 88، 89،، 90، 91، 92، 93، 94، 96، 97، 98، 115، 119، 125، 126، 128، 140، 142، 143، 145
بلاد المغرب(المغرب العربي)	10، 20، 27، 28، 33، 42، 44، 48، 79، 83، 84، 87، 92، 96، 99، 119، 127، 137، 142
بلما	78
بمبوك	94
بني ثور	53، 134، 142
بني يزقن	46
بوسعادة	108
الصحراء الافريقية	117، 120، 129
تاجرونة	46
تاجموت	46
تادمكت	78
تافيلالت	75، 76، 81، 82، 83، 120

تبسبست	111
تبسة	132
تسابيت	92
تشاد	82، 87، 117
تغازى	62
تقرت	30، 31، 49، 91، 105، 107، 108، 109، 110، 111، 112، 141، 144
تكدة	80
تلمسان	20، 34، 42، 81، 82
تماسين	46، 111
تمنراست	13
تمنطيت	42
تنبكتو	34، 36، 37، 68، 72، 73، 78، 81، 83، 84، 85، 86، 89، 91، 97، 98، 120، 142، 143
تندوف	83
توات	15، 42، 64، 81، 83، 86، 92، 109، 110، 119، 120، 121، 130، 141، 144
توزر	120
تونس	30، 73، 74، 75، 76، 79، 80، 88، 106، 108، 109، 116، 120، 124، 132، 140، 144
تيارت	103
تيقورارين	15، 42
تيميساو	78
تيهرت	21، 23، 24، 34، 35
جاغ	85

جانت	144
جبال القصور	46
جبال مطماطة	132
جبل إدرار	67
جبل عمور	43، 107، 108، 114
جبل كيانة	25
جربة	26
جرمة	81
الجزائر	13، 26، 27، 31، 32، 36، 47، 59، 71، 79، 82، 88، 97، 103، 106، 107، 108، 113، 111، 116، 125، 126، 127، 130، 133، 143، 145
الجلفة	13، 58، 108
الجنوب الجزائري	127
الجنوب الشرقي الجزائري	71، 75، 80
جني	83، 120
حاسي التامزقيدة	112
حاسي الغر	69
حاسي كلوة	112
حاسي وشن	69
الحامة	26
الحضنة	104
حوبيت القائد	111
روما	34
الرويسات	31، 36، 24، 51، 53، 107، 108، 110
الزاب	10، 20، 29، 38، 89، 107، 119

الزعاطشة	107
زغاوة	88
الزيبان	72، 91
سبها	82
سجلماسة	24، 34، 38، 82، 83، 89
سدراته	23، 24، 28، 29، 35، 43، 50
سكرة	53
سكيكدة	74، 120
السنغال	117، 130
سنغاي	74، 83، 84، 85، 89
السودان الأوسط	78، 87
السوس الأقصى	42، 67
سيبيريا	129
سيدي خليل	138
سيدي خويلد	51
سيكاسو	94
شبه الجزيرة العربية	97
الشط	47، 50، 91
شط الغرسة	132
شط عسلوج	132
شط فجاج	132
شط ملغيغ	130، 132
الشمال الإفريقي	20، 48، 66، 85، 87، 96، 98، 117، 125
الصحراء الجزائرية	14، 36، 37، 71، 92، 32، 104، 114، 115، 116، 117، 118، 119، 120، 121، 123، 131، 138، 139، 140،

	145
الصحراء الكبرى	13، 33، 40، 61، 63، 64، 65، 67، 71، 77، 80، 85، 94، 95، 116
الصحراء المنخفضة	13، 15
صحراء النيل	44
صحراء نوميديا	11، 17
صور	48
طرابلس	26، 42، 70، 75، 79، 80، 81، 28، 88، 106، 142، 143، 144
طنجة	120
العالية	112
عرق الطوارق	14، 17
عرق الطويل	14
العرق الغربي	109
عرق بوخزنة	14
عرق بوصلاح	14
العطف	111
عين البيضاء	52
عين الرق	108
عين صالح	46، 78، 81، 109، 111، 112، 121، 136، 141، 142، 144،
عين طيبة	112
عين عمر	50
غات	34، 75، 77، 78، 80، 81، 82، 126
غانا	34، 73، 74، 84، 94، 96

غاو	74، 84، 85، 78، 96، 120
غدامس	34، 42، 64، 75، 77، 79، 80، 82، 86، 88، 120، 121، 125، 131، 134، 142، 144
غرب إفريقيا	59، 85، 87، 95، 115، 117، 129
غرداية	13، 38، 76، 122، 136
غيارو	95
الفاتيكان	127
فارس	99
فاس	26، 82، 86، 120
فرسطاء	35
فرنسا	102، 104، 105، 106، 108، 109، 110، 116، 11، 120، 121، 123، 124، 125، 127، 128، 129، 13، 131، 132، 133، 134، 138، 139، 136، 141، 143، 144
فزان	81، 82، 86
فقيق	76، 82
قابس	120، 121، 132
قارة الشوف	14
قارة أم الأرانب	14
قارة كريمة	14، 23، 51
القاهرة	86، 130
القرارة	76، 112
قرطاجة	26، 27
قسنطينة	10،30، 32، 82، 91، 97، 106، 113، 117، 120، 122، 131
قفصة	18، 41، 76، 120

القليعة	45
قمار	76، 110
قناة السويس	133
القيروان	20، 22، 24، 86
الكاب	130
كابسي(قفصة حاليا)	40
كاتشنة	73، 88
كاغ	85
كانم	82، 87، 88
كندا	129
كوار	88
كوغة	84
كوكو	85
كويف خلبة	112
لبيض سيدي الشيخ	46
ليبيا	45، 73، 75، 76، 80، 86، 87، 88، 93، 121، 142
مالطا	93
مالي	74
عين موسى	49
مبروك	78
متليلي	45، 46، 71، 76، 107، 110، 120، 121
المحرق	109
المحيط الأطلسي	70، 118
مرزوق	75، 81
مرسيليا	121

المشرق(العربي)	28، 72، 75
مصر	26، 75، 81، 86، 87، 96
المغرب الأقصى	20، 34، 73،75، 76، 81، 83، 85، 86، 89، 96، 95، 116، 121، 124، 144
المغرب الأوسط	10، 21، 27، 30، 33، 38، 46، 47، 72
المقارين	108
مكة المكرمة	106
مكوسا	49
مليانة	121
منطقة القبائل	127
المنيعة	110، 113، 120، 121، 130، 144
المهدية	25
موريطانيا	117
ميزاب	29، 46، 48، 50، 71، 72، 91، 123، 124، 132، 141
النطرون	82
نفزاوة	114، 120
نفطة	76
نقوسة	49، 103، 107، 108، 110، 123
نهر النيجر	36، 85، 86، 94
النومرات	112
نيامي	86
النيجر	86، 88، 131، 135
النيل	88، 94، 95، 118
هرقلة	11
هضبة تادميت	121

الهقار	19، 27، 70، 122، 132،
الهند	97، 99
الهوسا	85
واد النسا	37
واد ايغرغر	37
واد سوف	13،74، 76، 105، 107، 108، 110، 116، 120، 125، 142
واد مية	37
وادي المحفين	46
وادي تارجا	67
وادي دراع	114
وادي درعة	67
وادي ريغ	10، 15، 26، 27، 34، 47، 49، 108، 119، 121، 130
وادي زرقون	46
وادي عقاربة	113
وادي غير	108، 112
وادي مزي	110
وارجلان	11
وارقلان	38، 89، 95
واركلا	10، 43، 49
واركلان	10،42
واركلي	10
ورجلان	11، 15، 40
ورقلة	10، 11، 13، 14، 15، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30،31، 32، 33، 34، 35، 37، 38،

	39، 40، 41، 42، 43، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 55، 56، 57، 58، 59، 60، 64، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 80،79، 81، 82، 83، 86، 88، 89، 91، 92،93، 95، 96،98، 97، 99 ،100، 102، 103، 104، 105، 106، 107، 108، 109 ،110، 111، 112، 113، 114، 119، 121، 122، 123،128، 129، 130، 133، 134، 135، 136، 137، 139،140، 141، 142، 143، 144
وركلان	10
وركلة	11، 17، 55
ونقارة	73، 94
وهران	46، 105، 130
يفرن	23، 29، 52

ج– فهرس القبائل والشعوب والجماعات:

الآباء البيض	127، 128، 129
الإباضية	24، 25، 26، 30، 34، 43، ،52، 140
الأخوات البيض	127، 128، 129
إخوان الصحراء المسلحين	128
أزقريين	125
الأسيكيين	85
الإغريق	18
الأفارقة	97
أفوغاس	125
أمانغازاتن	125
أوروبيين	114

أولاد اسماعيل	
أولاد بن زكري	111
أولاد دري	22
أولاد زايد	22
أولاد زياد	69
أولاد ساعد بن سالم	107
أولاد سيدي الشيخ	70، 108
أولاد سيدي الشيخ	53، 71، 106، 109
أولاد علاهم	48، 102
أولاد عمر	111
أولاد نائل	91، 111
أولاد نصير	23
البدو الرحل	69، 140
البربر	11، 19، 20، 21، 34، 41، 42، 44، 52، 61، 70
برزقة	112
بنو حسن	23
بنو يفرن	43، 52
بني إبراهيم	43، 104
بني أمية	26
بني بابية	102، 103
بني ثور	46، 53
بني جلاب	102، 103، 107
بني رمان	29
بني سليم	44
بني سيسين	43، 51، 104

بني علال	71
بني علال	71
بني غابول	30
بني غانية	30
بني قانة	111
بني منصور	23
بني هلال	27، 29، 34، 44، 45
بني واجين	27، 43، 104
بني واركلا	12، 43
بني يفرن	19
بوروبة	45، 72
تركي	31
التيجانية	110، 111
الجيتول	41
رجال الحشان	47
الرستميين	23، 44، 67
الرواغة	47
الرومان	18، 19، 21، 34، 42، 44، 48،79
زناتة	12، 21، 27، 42، 43، 67
الزنوج	40، 43، 47، 61، 96، 98
الزواودة	10
السدراتيين	43، 88
سعيد عتبة	32، 34، 46، 47، 51، 102، 104، 112، 113
السنّة	24
السوافة	80

السودانيين	90، 93، 97، 98
الشعانبة	34، 36، 37، 45، 46، 47، 52، 53، 71، 80، 104، 105، 110، 112، 113، 136، 137، 144.
الشيعة	24
صنهاجة	26، 27
الطوارق	69، 70، 80، 114، 120، 125، 126، 130، 134
طوارق مقشرن	85
العباسيين	27
العبرانيين	48
العبيديين	24، 25، 26
عثماني	31، 32
العرب	21، 34، 44، 45، 53
غدامسية	87
الغرامنت	41، 80
الفاطميين	23، 24، 26، 27، 34
فرس	21
الفرنسيين	124، 125، 127، 133،135، 142، 143
الفوارس	23
الفيلاليين	30، 40
الفينيقيين	48
قبائل الأرباع	71، 72، 75
قبائل المخزن	32، 104
قبلي	111
قبيلة كلوي	126

قريش	60
القوط	41
الكتائب الصحراوية	136
لملم(دمدم)	96
لواتة	43
مالكية	52
مجانة	11
المخادمة	34، 46، 47، 52، 72، 112
المدقنات	113، 114
المرابطين	28
مزاتة	26
مسوفة	34
معقل	44
مغراوة	12، 27، 43
المقرانيين	112
المماليك	29
المواضي	45، 112
موحدية	36، 37، 66
ميزابيين(بني ميزاب)	71، 123، 124، 141
نزلة	110
النصارى	134، 135
النكارية	25
النوميديون	11، 17، 19
الورقليين	140
الوندال	21، 41

الوهبية	25
اليهود	48، 59

فهرس المحتويات

شكر وتقدير
الإهداء
قائمة المختصرات
المقدمة.....(1-8)
الفصل الأول: مدينة ورقلة النشأة والتطور.....(10-53)
المبحث الأول:التسمية والموقع.....10
أ- معنى التسمية:.....10
ب-الموقع وخصائصه الجغرافية.....13
1- المناخ:.....13
2- التضاريس: 14
3- الموارد المائية:.....15
المبحث الثاني:نشأة المدينة وعوامل تطورها. 17
- الموقع الجغرافي:.....33
- الهجرات المتوالية عليها: 34
الموارد الطبيعية المتنوعة: 37
- النشاط التجاري المتنوع: 38
-عناية الحكام بالحياة الثقافية والاقتصادية:.....40
المبحث الثالث: عناصر السكان.....40
أ- البربر:.....42
1-قبيلة زناتة:.....42
2-قبيلة سدراته: 43
ب- العرب: 44
1- قبيلة الشعانبة : 45
2- قبيلة سعيد عتبة : 46
3- قبيلة المخادمة: 46

ج-العبيد:(رجال الحشان) 47
د-اليهود: 48
المبحث الرابع:ضواحي المدينة و المناطق المحيطة بها:.....49
- قرية نقوسة:.....49
- قرية الشط: 50
- قرية اعجاجة:.....50
- قرية الرويسات: 51
- قرية سيدي خويلد: 51
- قرية بامنديل: 51
- قرية يفرن: 52
- قرية عين البيضاء : 52
- قرية بني ثور: 52
-ديار سكرة: 53
الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية لمدينة ورقلة خلال القرن19 م.....(55-100)
المبحث الأول: الزراعة والحرف.....55
أ- الزراعة:.....54
ب- الحرف: 57
1- النجارة: 57
2- الحدادة: 58
3- الصناعة النسيجية والجلدية:.....58
4- الصياغة: 59
5- صناعة الأسلحة:.....59
6- صناعة الفخار:.....59
المبحث الثاني: التجارة الداخلية والخارجية لمدينة ورقلة.....60
أ- تجارة القوافل: 60

1- مفهومها:.....60
2- أعضاؤها: 61
-قائد القافلة: .....61.
-الدليل(الكشاف): 61
- الحراس: 62
- الطبيب: 61
- الفقهاء والدعاة: 63
- المؤذن: 63
- الإمام: 63
- الخوجة (الكاتب) 63
البراح.....63
3- تنظيم القافلة وإعدادها:.....64
4- المخاطر التي تواجه القوافل:.....67
- قلة المياه: 68
- العواصف والرياح:.....68
- التيه في الصحراء: 69
- قطاع الطرق: 69
- ارتفاع ضرائب العبور: 70
ب- النشاط التجاري: 71
1-التجارة الداخلية: 71
2-التجارة الخارجية: 73
المبحث الثالث:المسالك والمراكز التجارية: 75
أ-المسالك التجارية:.....75
1- المسالك نحو بلدان المغرب:.....75
- نحو المغرب الأقصى.....76

- نحو تونس وليبيا:.....76
-طريق ورقلة الوادي نفطة:.....77
-طريق ورقلة الفيض غدامس:.....77
-طريق ورقلة غدامس غات:.....77
2- نحو بلاد السودان:.....77
-طريق ورقلة إلى غاو.....78
-طريق ورقلة غات أحير أغادس.....78
-طريق ورقلة عين صالح تنبكتو.....78
ب-المراكز والمحطات التجارية:.....79
1-المغاربية: 79
- غدامس: 79
- غات: 80
- مرزق: 81
- فقيق: 82
- تافيلالت:.....83
2-المراكز السودانية:.....83
- جني: 83
- غاو: 84
- تنبكتو: 85
- أغادس : .....86.
-كانم: 87
المبحث الرابع:المعاملات التجارية وأساليبها.....88
أ- الصادارت:.....88
1- نحو البلدان المغاربية:.....88
2- نحو السودان الغربي:.....89

ب-الواردات: 93
1- من البلدان المغاربية: 93
2- من بلاد السودان:.....94
ج-أساليب التعامل التجاري: 98
1-المقايضة:.....98
2- العملات النقدية :.....99
3-المقاييس والمكاييل والموازين والعملات:.....99
أ- المقاييس: 99
ب-الموازيين: 100
ج-المكاييل: 100
الفصل الثالث: الاحتلال الفرنسي لورقلة وآثره على تجارة القوافل الصحراوية.....(102-145)
المبحث الأول: الأوضاع السياسية خلال القرن التاسع عشر ميلادي:.....102
أ- الصراعات الداخلية :.....102
ب- الاحتلال الفرنسي لورقلة:.....104
ج-المقاومة الشعبية بورقلة:.....106
د- حركة المدقنات:.....113
المبحث الثاني:دوافع الاهتمام الفرنسي بورقلة والصحراء الجزائرية:.....114
أ- الدوافع الاقتصادية: 114
ب-الدوافع السياسية: 116
ج- الدوافع العسكرية والإستراتيجية: 117
المبحث الثالث:السياسة الاستعمارية الفرنسية للسيطرة على تجارة القوافل الصحراوية.....118
أ/البعثات الاستكشافية: 118
ب/ المعاهدات والاتفاقيات: 123
1- معاهدة الحماية مع بني ميزاب 1853م: 123
2- معاهدة غدامس1862م: 125

ج-الإرساليات التنصيرية: 126
د-المشاريع الإقتصادية.....129
1- مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء: 129
2- مشروع البحر الداخلي الصحراوي: 131
المبحث الرابع: انعكاسات الاستعمار الفرنسي على تجارة القوافل بالمدينة.....133
أ-الانجازات الفرنسية: 133
1- تطوير الإنتاج الزراعي:.....133
2- حفر الآبار وتوسيعها: 134
3- تحسين الطرقات وتطوير وسائل النقل: 135
4- تحقيق الأمن في الصحراء: 136
5- تمدن واستقرار الرحل: 136
ب-الآثار السلبية:.....137
1-السيطرة على الأراضي الزراعية ومصادر المياه: 137
2- السيطرة على التجارة الصحراوية ومسالكها:.....140
3- إلغاء تجارة الرقيق: 143
4- إلغاء تجارة القوافل الصحراوية:.....145
خاتمة.....(147-150)
الملاحق.....(152-163)
ثبت المصادر والمراجع.....(165-183)
الفهارس.....(185-207)
فهرس المحتويات.....(209-214)
الملخص

الملخص:

العنوان:مدينة ورقلة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر.

يتطرق هذا البحث إلى مدينة ورقلة والدور الذي لعبته في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر،كواحدة من أهم مراكز التجارة الصحراوية ،ويتضمن نشأة المدينة والعوامل المساعدة على تطورها بتتبع تاريخها من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن التاسع عشر ميلادي،ثم الإشارة إلى وضعها الاقتصادي خلال القرن التاسع عشر ،من خلال تسليط الضوء على علاقاتها التجارية مع بلاد المغرب والسودان الغربي ومدى تأثرها بالاحتلال الفرنسي الذي استهدف مدينة ورقلة.

لقد كانت القوافل التجارية لورقلة تجوب أعماق الصحراء من مختلف الجهات للوصول إلى أهم المراكز التجارية بالمغرب والسودان كغدامس،وغات،وتافيلالت،وفاس،وغاو،وتنبكتو،وأغادس،وكاتشنة حاملة معها بعض المنتجات التي يجري بيعها أو مبادلتها بسلع ومنتجات هذه المراكز.

إن هذا النشاط التجاري الواسع الذي ربط بين المنطقتين منذ عصور قديمة قد أصابه الضعف والانكماش بعد الاحتلال الفرنسي لورقلة وما صاحبه من إجراءات فرنسية متنوعة تهدف للسيطرة على تجارة المدينة والصحراء ،حيث قامت ببناء أبراج عسكرية على طول المسالك التجارية لمراقبة تحركات القوافل التجارية والتضييق عليها،كما قامت بعقد معاهدة مع الطوارق تحصّلت من خلالها على بعض الامتيازات الهامة التي تكفل لها التنقل بحرية و أمان عبر الصحراء إلى بلاد السودان بحماية من الطوارق.

إن هذه الإجراءات الفرنسية قد صاحبها تأثير كبير على واقع التجارة بورقلة،حيث نتج عنها السيطرة الفرنسية الكاملة على تجارة المدينة ،وعلى مسالكها التجارية،بتحكمها في تحركات القوافل التجارية،الأمر الذي جعل العديد من التجار يعزفون عن الذهاب إلى بلاد السودان ،والاكتفاء فقط ببعض المراكز التجارية القريبة كتوات وغدامس لجلب السلع السودانية منها،كما نتج عنها أيضا إلغاء تجارة القوافل نهائيا ،وتغير نمط المعيشة بالصحراء بعد تخلي القبائل الصحراوية التي كانت ترافق القوافل لحمايتها وإرشادها للطريق عن مهمتها ولجوئها إلى الاستقرار بعد حياة مليئة بالترحال،إضافة إلى تدهور أوضاع السكان في ورقلة بعد سيطرة فرنسا على الأراضي الزراعية ومصادر المياه وتوجيه انتاجها الى التصدير بعدما كان موجها للاستهلالك المحلي،وهو مادفع بالفلاحين والسكان إلى الهجرة بحثا عن فرص أفضل للعيش والعمل.

TITRE : la ville d'Ouargla et son rôle dans le commerce des caravanes sahariennes au cours du dix neuvième siècle.

Le présent exposé traite de la ville d'Ouargla et son rôle joué dans le commerce des caravanes sahariennes au cours du dix neuvième siècle, étant donné qu'elle représente l'un des plus importants centres de commerce au Sahara. L'exposé relate la création de la ville ainsi que les conditions ayant contribué à son évolution depuis la préhistoire jusqu'à la fin du dix neuvième siècle pour arriver ensuite à traiter de sa situation économique durant le dix neuvième siècle, par l'intermédiaire de la mise en exergue de ses relations commerciales avec le Maghreb et le soudan occidental, pour aboutir enfin à l'effet causé par le colonialisme française sur la ville.

Les caravanes commerciales d'Ouargla sillonnaient les fin fons du Sahara de tous les coins pour affluer vers les principaux centres commerciaux au Maghreb et au Soudan occidental, à savoir ; Ghadamès, Gatt, Merzeg, Tafilelt, Fès, Tombouctou, Agades, Gao, Katchina, Djibni, acheminant avec elles les produits destinés à être vendu ou au troqués contre d'autres marchandises et produits de ces centres.

Cette large activité commerciale qui liait les deux régions depuis la nuit des temps, fut frappée de faiblesse et de rétrécissement par l'annexion de la ville d'Ouargla par le colonialisme français avec les diverses procédures qui y ont découlées, visant la main mise sur le commerce de la ville et du Sahara. Ainsi le colonialisme français avait érigé des tours de guet militaires tout en long des parcours commerciaux dans le but de contrôler les mouvements des caravanes commerciales et de les restreindre.

Il a également conclut un traité avec les Touaregs par le biais duquel il a pu décrocher des avantages importants qui lui permettaient de jouir da la liberté et de la paix dans ses déplacements à travers le Sahara vers le pays du Soudan, sous la protection des Touaregs.

Ces procédures français avaient crée un grand impact sur le devenir du commerce à Ouargla, donnant lieu à une domination et une suprématie française totale sur le commerce de la ville, et à une domination des mouvements des caravanes commerciales. C'est qui poussa la pluparts des commerçants à faire preuve de répugnance envers le pays du Soudan pour se contenter en revanche de quelques centres commerciaux proches tels que : le Touat et Ghadamès, ou se faisait l'importation des biens soudanais.

C'est ce qui poussa également l'abandon définitif du commerce des caravanes, d'où le changement du mode de vie au Sahara après les tribus sahariennes qui escortaient les caravanes en protecteurs et guides, eurent cessé d'assumer cette mission, ces tribus avaient pris gout à la vie sédentaire après une vie pleine de nomadisme.

Ceci en plus de la détérioration des situations des habitants à Ouargla après que la France eut mis la main sur les terres agricoles et les sources hydriques, pour orienter leur production vers l'exportation après qu'il ait été destiné à la consommation locale, ce qui poussa les agriculteurs et les habitants à opter pour la migration à la recherche d'opportunités une vie et de travail meilleure.